

شرح ورد السحر

للعارف بالله سيدي مصطفى البكري الصديقي رضي الله عنه

وهو المسمى

إرشاد المريدين إلى معرفة كلام العارفين

للعارف بالله سيدي عمر جعفر الشبراوي رضي الله عنه

تصحيح ومراجعة

مكتب الروضة الشريفة للبحث العلمي

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

☎ ٥١٢٠٨٤٧

رقم الإيداع
٢٠٠٦/٤٣٠١م
الترقيم الدولى I.S.B.N
977-315-104-6



هذا وردُ السَّحَر لسيِّدِى
مصطفى البَكْرى
رَضِىَ اللهُ عنه

الحمدُ للهِ الذى أوردَ مَنْ أرادَ المقامَ الموردَ، وخصَّ أهلَ الأورادِ منَ العبادِ بنفحاتِ الجودِ، ومنحهُمْ من الوارادتِ الإلهيةِ ما رقاهم به إلى منازلِ السُّعود، أحمدُه على ما تفضلَّ به من ملازمةِ الأورادِ مَعَ كمالِ الأدبِ والشهود، وأصلّى وأسلّمُ على الحبيبِ الشاهدِ المشهود، صاحبِ المقامِ المحمودِ واللواءِ المعقود، الذى عرّفنا ما نقولُ من الأذكارِ فى القيامِ والركوعِ والسجود، صلّى اللهُ تعالى عليه وعلى آلِه وأصحابه ذوى المنهلِ المقصود، وعلى التابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يوم الدينِ ما اهتزتْ منَ الأغصانِ قدود، وسلم تسليماً كثيراً ما دامَ الوجود.

أما بعدُ، فاعلمْ أيها المريدُ الملازمُ على اقتطافِ أزهارِ الأورادِ منْ رياضِ الإمدادِ فى حضراتِ الإسعادِ أنى لما رأيتُ النفوسَ متعشقةً فى ذلك راغبةً فيما هنالك لتنويرِ المسالكِ عَنَّ لى أنْ أصنعَ للإخوانِ ورداً يقتبسون من نُوره عجائبَ فى حنْدسِ الأوهام، ويتلقون من تغريدِ شُحْرُورةِ غرائبِ تدقُّ على الأفهام، فشرعتُ فى ذلك معتمداً على السيدِ المالكِ فأقولُ فى ترجمته راجياً فيض فضله ومنته: هذا وردٌ يتلى فى السَّحَر، نافعٌ إنْ شاءَ اللهُ تعالى لمن واظبَ عليه مع التدبُّرِ لمعانيه والتفهمِ لمبانيه، فُتِحَ به على العبدِ الفقيرِ والعاجزِ الحقيرِ مصطفى بن

كمال الدين بن علىَ بن كمال الدين بن محيى الدين الصديقى نسبا الخلوتى طريقةً الحنفى مذهباً، وكان ذلك فى أوائل شهر ربيع الأول أيامَ زيارتنا لبيت المقدس وكمُلَ فى مجلس لطيف، وأضفتُ إليه بعد ذلك قصيدةً ميميةً فُتحَ علىَّ بها سابقاً وصلوات على النبىِّ ﷺ زدتها الآن وقصيدتى التى سميتها بـ "المنبهجة فى الطريقة المنبلجة" التى على وزن المنفرجة، وزدتُ بعضَ توسلات، وقد رتبتُهُ على حروف المُعْجَم فى أوائل توسلاته ليكونَ ذلك أسهلَ فى حفظ كلماته، واللهَ أسأل أن ينفعَ به مَنْ لازمَ على تلاوته ولم يُخْلِ مصنِّفَهُ من دعواته، إنه ولىُّ مَنْ يناديه على الخصوص فى الأسحار بلسان الذل والانكسار، فإنه لا يزالُ مغموراً بآلائه وأياديه فأقولُ: أولُ ما يبدأ التالى بقوله: أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم

بسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

﴿الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمينَ الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ مَالك يَوْمِ الدِّين إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعينُ اهدنَا الصِّرَاطَ المُستَقيمَ صِرَاطَ الَّذينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ١-٧]

وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَممَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفقُونَ والَّذينَ يُؤْمنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ من قَبْلكَ وَبِالآخرَةِ هُمْ يُوقنُونَ أُولَـئكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَـئكَ هُمُ الْمُفْلحُونَ﴾ [البقرة:١- ٧]، ﴿وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]، ﴿اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِه يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ

تأخذه سنةٌ ولا نومٌ لَهُ ما في السَّمَاوَات وَمَا في الأَرْض مَن ذَا الَّذِي يشفع عنده إلاَّ بإذنه يعلم مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦]، ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥٧]، ﴿لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٨٤]، ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٨٥-٢٨٦] (ثلاثا)، ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٨-١٢٩] (سبعا).

بسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُـوًا أَحَـدٌ﴾ [الإخلاص:١-٤] (ثلاثا)، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ من شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِـن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِـن شَـرِّ حَاسِـدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:١-٥]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِـن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّـاسِ مِـنَ الْجِنَّـةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس:١-٦]

أَستَغْفِرُ اللهَ العظيمَ (٧٠ سبعين مرة) أَستَغْفِرُ اللهَ العظيمَ الَّذى لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ بَدِيعُ السَّمَٰوات وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا من جَميع جُرْمى وَظُلْمى وَمَا جَنَيْتُ عَلَى نَفْسى وَأَتُوبُ إِلَيْه. (ثَلاثاً)

بسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ الَّذى لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِه شَىْءٌ فى الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (ثلاثا).

(إلهى) أَنْتَ الْمَدْعُوُّ بِكُلِّ لِسَانٍ والْمَقْصُودُ فى كُلِّ آنٍ (إلهى) أَنْتَ قُلْتَ ادْعُونى أَسْتَجِبْ لكُمْ فَهَا نَحْنُ مُتَوَجِّهُونَ إِلَيْكَ بِكُلِيتِنَـا، فَلَـا تَرُدَّنَـا وَاسْتَجِبْ لَنَا كمَا وَعَدْتَنَا (إلهى) أَيْنَ الْمَفَرُّ مِنْكَ وَأَنْتَ الْمُحِيطُ بِالْـأَكْوَانِ؟ وكَيْفَ الْبَرَاحُ عَنْكَ وَأَنْتَ الَّذى قَيَّدْتَنَا بِلَطَائِفِ الْإِحْسَـانِ؟ (إلهـى) إِنِّـى أَخَافُ أَنْ تُعَذِّبَنى بِأَفْضَلِ أَعْمَالى فَكَيْفَ لَا أَخَـافُ مِـنْ عِقَابِـكَ بِأَسْـوإِ أَحْوَالى؟ (إلهى) بِحَقِّ جَمَالِكَ الَّذى فَتَّتَ بِه أَكْبَادَ الْمُحِبِّينَ، وَبِجَلَالِكَ الَّذى تَحَيَّرَتْ فِى عَظَمَتِه أَلْبَابُ الْعَارِفِينَ (إلهى) بِحَقِّ حَقِيقَتِكَ الَّتـى لَاتُـدْرِكُهَا الْحَقَائِقُ وَبِسِرِّ سِرِّكَ الَّذى لَاتَفى بِالْإِفْصَاحِ عَنْ حَقِيقَتِه الرَّقَائِقُ (إلهـى) بِرُوحِ الْقُدُسِ قَدِّسْ سَرائِرَنَا وَبِرُوحِ مُحَمَّدٍ ﷺ خَلِّصْ مَعَارِفَنَـا وَبِـرُوحِ

أبينا آدم اجْعَلْ أرْواحنا سابحات فى عَالَمِ الْجَبَرُوت، وَاكْشفْ لَهُمْ عَنْ حضائر اللاهُوت (إلهى) بالنُّورِ الْمُحَمَّدىِّ الَّذى رَفَعْتَ عَلَى كُلَّ رَفيعٍ مَقَامَهُ وَضَرَبْت فوْقَ خزانة أسْرَارِ أُلوهيّتك أعْلَامَهُ افْتَحْ لَنَا فتحًا صمدانياً وعلْماً ربَّانيًّا وتجلّيًا رحْمانياً وفَيْضاً إحْسانياً (إلهى) تولّنى بالهداية والرِّعاية والْحماية والْكفاية (إلهى) تُبْ علَىَّ توْبةً نصُوحًا لا أنْقُضُ عقْدَها أبدًا واحْفظْنى فى ذلكَ لأكُونَ بهَا منْ جُمْلَةِ السُّعدَا (إلهى) ثَبّتْنى لحمْل أسْرَارِكَ الْقُدْسيَّة وقوّنى بإمْدَادٍ منْ عنْدكَ حتىَّ أسيرَ به إلى حضَرَاتكَ الْعليَّة وثبّت اللَّهُمَّ قدمَىَّ علَى صراطكَ الْمُستقيمِ وطَريقكَ الْقويمِ (إلهى) جلَا لنَا هذَا الظَّلَامُ عنْ جلَالكَ أستَارًا، وأفْصحَ الصُّبْحُ عَنْ بديع جمَالكَ وبذلكَ استَنَارَا (إلهى) جمّلْنى بالْأوْصَاف الْملَكيَّة والْأفْعَال الْمرْضيَّة (إلهى) حلَا لنَا ذكْرُكَ فى الْأسْحَارِ وحسُنَ تخضُّعُنَا علَى أعْتَابكَ ياعزيزُ ياجبَّارُ (إلهى) حُلْ بيْنى وبينَ منْ يشْغَلُنى عَنْ شُغْلى بمُنَاجَاتكَ وأفضْ علَىَّ منَ الْأسْرَارِ الَّتى خبَّأْتَها فى منيع سُرَادقَاتكَ (إلهى) حُلَّ لنَا إزَارَ الْأسْرَارِ عَنْ عُلومِ الْأنْوَارِ (إلهى) خطفَتْ عُقُولَ الْعُشَّاقِ بمَا أشْهدْتَهُم منْ سنَاءِ أنْوَارِكَ معَ وُجُودِ أسْتَارِكَ، فكيْفَ لوْ كشَفْتَ لهُمْ عَنْ بديع جمَالكَ ورَفيعَ جلَالكَ؟ (إلهى) خصَّنى بمَددكَ السُّبُّوحى ليَحْيَا بذلكَ لُبىَ ورُوحى (إلهى) داونى بدوَاءٍ منْ عنْدكَ كىْ يَشْتفىَ به ألَمى الْقَلْبىُّ وأصْلحْ منى يامولَاىَ ظَاهرى ولُبىَّ (إلهى) دُلَّنى علَى منْ يدُلُّنى علَيْكَ، وأوْصلْنى إلَى منْ يُوصّلُنى إلَيْكَ (إلهى) ذَابتْ قُلُوبُ الْعُشَّاقِ منْ فَرْطِ الْغَرَامِ، وأقْلَقَهُمْ إلَيْكَ شديدُ الْوَجْدِ والْهُيَامِ، فتَعطَّفْ علَيْهمْ ياعطُوفُ

يارءوفُ يا اللهُ يَا رحْمَنْ يَا رَحيمْ رقِّقْ حجَابَ بَشَريَّتى بلطَائف إسْعاف منْ عنْدكَ لأشْهَدَ مَا انْطَوتْ عَلَيْه منْ عَجَائب قُدْسك (إلهى) رُدَّنى بِرداء منْ عنْدكَ حَتى أحتَجبَ به عَنْ وُصول أيْدى الْأعداء إلَىَّ (إلهى) زَيِّنْ ظاهرى بامْتثَال مَا أمَرْتَنى به وَنَهَيْتَنى عَنْهُ، وَزَيِّنْ سرِّى بالْأسْرَار وَعَن الْأغيَار فَصُنْهُ (إلهى) سَلّمنَا منْ كُلّ الْأسْواء وَاكْفنَا منْ جَميع الْبَلوَى، وَطَهِّرْ أسرَارنَا منَ الشَّكوى وَألْسنَتَنَا منْ الدَّعْوَى (إلهى) شَرِّفْ مَسَامعَنَا فى خطَابكَ وَفَهِّمْنَا أسْرَارَ كتَابكَ وَقَرِّبْنَا منْ أعْتَابكَ، وَامْنَحْنَا منْ لَذيذ شَرابكَ (إلهى) صَرِّفْنَا فى عَوَالم الْمُلْك وَالْمَلَكوت، وَهَيِّئْنَا لقَبُول أسْرَار الْجَبَرُوت، وَأفضْ عَلَيْنَا منْ رَقَائق اللَّاهُوت (إلهى) ضُرِبَتْ أعْنَاقُ الطَّالبينَ دُونَ الْوُصُول إلَى سَاحَات حَضَرَاتكَ الْعَلِيَّة وَتَلَذَّذُوا بذلكَ فَطَابُوا بعيشَتهمْ الْمَرضيَّة (إلهى) طَهِّرْ سَريرَتى منْ كُلّ شَىْء يُبْعدُنى عَنْ حضَرَاتكَ وَيَقطَعُنى عَنْ لَذيذ مُوَاصَلَاتكَ (إلهى) ظَمَوْنَا إلَى شُرْب حُمَيَّاكَ لَايَخفَى وَلَهيبُ قُلُوبنَا إلى مَشَاهَدة جَمَالكَ لَايُطفَى (إلهى) عَرِّفْنى حَقَائقَ أسْمَائكَ الْحُسْنَى وَأطلعْنى عَلَى رَقَائق دَقَائق مَعَارفكَ الْحَسْنَا وَأشْهدنى خَفِىَّ تَجَليات صفَاتكَ وَكُنُوزَ أسْرَار ذَاتكَ (إلهى) غنَاكَ مُطلَقٌ وَغنَانَا مُقَيَّدٌ فَنَسْألُكَ بغنَاكَ الْمُطلَق أن تُغنينَا بكَ غنىً لَافقرَ بَعدَهُ إلَّا إلَيْكَ يَاغَنىُّ يَاحميدُ يَا مُبدئُ يَا مُعيدُ يَا رَحيم يَا وَدُودُ يَا اللهُ يَا رَحمنُ يَا رَحيم، اللَّهُمَّ إنَّكَ فَتَحْتَ أقفَالَ قُلُوب أهْلِ الاخْتصَاص وَخَلَّصْتَهُم منْ قَيْد الْأقفَاص فخلّصْ سَرَائرنَا منَ التَّعَلّق بمُلَاحَظَة سوَاكَ، وَأفْننَا عَن شُهُود نُفُوسنَا حَتىَّ لَانَشهَدَ إلَّا عُلَاكَ (إلهى) قَد جئْنَاكَ بجَمْعنَا مُتَوَسّلينَ إليْكَ فى قَبُولنَا

مُتشفَعينَ إليكَ فى غُفرانِ ذُنوبنا فلَا تردّنا (إلهى) كفانا شرفاً أنّنا خُدَّامُ حضراتك وَعبيدٌ لعظيم رفيعِ ذاتكَ (إلهى) لوْ أردنا الإعْراضَ عنك مَا وجدنا لنا سواكَ فكيْفَ بعْدَ ذلكَ نُعْرِضُ عنكَ؟ (إلهى) لُذنا بِجنابكَ خاضعينَ وَعلى أعتابكَ واقعينَ فلَا تردَّنا يا علِيمُ يا حكيمُ (إلهى) محِّصْ ذُنوبنا بظُهُورِ آثارِ اسمكَ الْغفَّارِ وامْحُ من ديوانِ الْأشقياءِ شقيَّنا واكتُبْهُ عندكَ فى ديوانِ الْأخيارِ (إلهى) نحْنُ الْأُسارى فمنْ قُيودنا فأَطلقْنا ونحنُ الْعبيدُ فمنْ سواكَ فخلِّصْنا وأعتقْنا، يا سندَ الْمُسْتندينَ ويا رجاءَ الْمُسْتجيرينَ إلهنا وإلهَ كلّ مألوهٍ وربَّ كلِّ مرْبُوبٍ وسيّدَ كلِّ ذى سيادةٍ وغايةَ مطْلَبِ كلِّ طالبٍ نسألكَ بأهْلِ عنايتكَ الَّذينَ اخْتطفتْهُمْ يدُ جذباتكَ وأدهشتْهُمْ سناءُ تجلّياتكَ فتاهُوا بعجيبِ كمالاتكَ أنْ تسقينا شربةً منْ صافى شرابِ أهْلِ مودّتكَ الرّبَّانيُّونَ وعرائسِ أهْلِ حضراتكَ الَّذينَ هُمْ فى جمالكَ مُهيَّمُونَ (إلهى) هذه أُويْقاتُ تجلّياتكَ ومحلُّ تنزُّلاتكَ ونحْنُ عبيدُكَ الْواقعونَ على أعتابكَ الْخاضعُونَ لعزّةِ جنابكَ الطَّامعُونَ فى سَنِى بهِىِّ شرابكَ فلَا تردّنا على أعقابنا بعْدما قصدْناكَ مُتذلّلينَ يا ٱللهُ يا رحْمنُ يا رحيمُ (اللَّهُمَّ) لانقْصدُ إلَّا إيَّاكَ ولَا نتشوّقُ إلَّا لشُرْبِ شرابكَ وبديعِ حُميّاكَ اللّهُمَّ ياواصلَ الْمُنقطعينَ أوْصلْنا إليْكَ ولَاتقْطعْنا بالْأغْيارِ عنْكَ برحْمتكَ يا أرْحمَ الرَّاحمينَ يا ٱللهُ عدد (٦٦) ياواحدُ عدد (١٤) ياماجدُ ياواحدُ يا أحدُ يافرْدُ ياصمدُ لَا إلهَ إلَّا أنْتَ برحْمتكَ نستغيثُ فأغثْنا يامُغيثُ أغثْنا عدد (٣) الْغوْثَ الْغوْثَ منْ مقْتكَ وطرْدكَ وبُعْدكَ ، يامُجيرُ أجرْنا عدد (٣) منْ خزْيكَ وعقابكَ ومنْ شرِّ عبادكَ أجْمعينَ يالطيفُ

الْطُفْ بِنَا بِلُطْفِكَ يَالَطِيفُ (١٢٩) ٱللهُ لطيفٌ بعبادِهِ يرْزُقُ منْ يشآءُ وهُو الْقَوِىُّ الْعَزِيْزُ عدد (١٠) اللَّهُمَّ يَالطيفاً بخلْقِه ياعليماً بخلْقِه ياخبيراً بخلْقِه ٱلْطُفْ بِنَا يَالَطِيفُ ياعَلِيمُ يَاخَبِيرُ عدد (٣) يَالَطِيفُ عَامِلْنَا بخفِىَّ وَفِىَّ بَهِىَّ سَنِىَّ عَلِىِّ لُطْفِكَ يَاكافِىَ الْمُهِمَّاتِ وَالْمُلِمَّاتِ ٱكْفِنَا مَا أَهَمَّنَا وَالْمُسْلمِينَ وَالْحَاضِرِينَ وَٱلْغَائِبِينَ وَالْمُنْتَقِلِينَ منْ إِخْوَانِنَا هُمُومَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يَاكَرِيمُ يَا ٱللهُ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ (اللَّهُمَّ) أَسْكِنْ وُدَّكَ فِى قُلُوبِنَا وَوُدَّنَا فِى قُلُوبِ أَحْبَابِكَ الْمُصْطَفَيْنَ وَأَهْلِ جَنَابِكَ الْمُقَرَّبِينَ آمين يَاوَدُودُ عدد (١٠٠) يَاذَا الْعَرْشِ الْمَجِيدِ يَافَعَّالاً لِمَا يُرِيدُ نَسْأَلُكَ بِحُبِّكَ السَّابِقِ فِى (يُحِبُّهُمْ)[1] وَبِحُبِّنَا اللَّاحِقِ فِى (يُحِبُّونَهُ)[2] أَنْ تَجْعَلَ مَحَبَّتَكَ الْعُظْمَى وَوُدَّكَ الْأَسْمَى شِعَارَنَا وَدِثَارَنَا يَا حَبِيبَ الْمُحِبِّينَ يَا أَنِيسَ الْمُنْقَطِعِينَ يَا جَلِيسَ الذَّاكِرِينَ وَيَا مَنْ هُوَ عِنْدَ قُلُوبِ الْمُنْكَسِرِينَ أَدِمْ لَنَا شُهُودَكَ أَجْمَعِينَ يَاغَنِىُّ أَنْتَ الْغَنِىُّ وَأَنَا الْفَقِيرُ مَنْ لِلْفَقِيرِ سِوَاكَ؟ يَاعَزِيزُ أَنْتَ الْعَزِيزُ وَأَنَا الذَّلِيلُ مَنْ لِلذَّلِيلِ سِوَاكَ؟ يَاقَوِىُّ أَنْتَ الْقَوِىُّ وَأَنَا الضَّعِيفُ مَنْ لِلضَّعِيفِ سِوَاكَ؟ يَاقَادِرُ أَنْتَ الْقَادِرُ وَأَنَا الْعَاجِزُ مَنْ لِلْعَاجِزِ سِوَاكَ؟ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ عدد (ثلاثا) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا وَصَلِّ وَسَلِّمْ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِكَ وَدَاوُدَ خَلِيفَتِكَ وَمُوسَى كَلِيمِكَ وَعِيسَى رُوحِكَ وَإِسْحَاقَ ذَبِيحِكَ وَعَلَى جَمِيعِ إِخْوَانِهِمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

---

(١) فى قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤].

(٢) كالسابق.

هذه الميمية لسيدى مصطفى البكرى

رضى الله عنه

إلهى بأهل الذكر والمشهد الأسمى بمن عرفوا فيك المظاهر بالأسما
بنور بدا فى غيهب الوهم فانجلى الظلام وذاك النور ما خلفه مرمى
بسر مقامات تجل لعظمها عن الوصف إذ فى وصفها حيرا الفهما
بكل خليل قد خلا عن شوائب وكل جليل قد جلا نوره الظلما
بعرش بفرش بالسموات بالعلا بما قد حوى قلب المحقق من رحمى
بأسرارك اللاتى سترت جمالها فلم يرها إلا الفتى فى الهوى تما
ببدر أتى يهدى الأنام لحيكم فكم فاز بالخيرات من ركبه أما
بأهل الفنا والسكر والصحو والبقا بكل محب فى محبتكم هما
بكل مريد طالب لجنابكم فلم يعرف الأحزان فيكم ولا الهما
دعوناك والأحشاء يبدو زفيرها وعيناى جادا فى دموع كما الدما
وصبرى تقضى وانقضى العمر راحلا وحبيك يا مولاى قلبى قد أصمى
إلهى بأهل الإنكسار وحقهم ومن بك قد نالوا المقام المعظما
ومن أطلقوا الأكوان حبى وطلقوا المنام ولم يشكوا لزاد ولا ظما
ومن مرغوا للخد فى ترب أرضكم ومن بالهوى للسقم فى الحال أسقما
عبيد ولكن الملوك عبيدهم وعبدهم أضحى له الكون خادما
إلهى بهم أدعوك ياسيد الورى بمن يتجلى القرب ياحب أعجما
تقبل وجد واعفو وسامح لمغرم وتب وتحنن يا إلهى تكرما

لعبدٍ غدا يُسمَى بحُبِّكَ مُصْطفَى خليعِ عذارٍ فى المحبَّةِ حكَما
وأَتْباعِهِ والسَّالكِينَ طريقَهُ وكُلّ الْورَى منْ فضْلِ ذاتك عمَّما
وَصلِّ وَسَلِّمْ سَيِّدى كُلَّ لَمْحَةٍ عَلَى الْمُصْطفَى مَنْ بالْمعَارِجِ أُكرِمَا
ونَالَ دُنُواً لاَ يُضَاهَى ورِفْعَةً وبَعْدَ اخْتِراقِ الْحُجْبِ للْرَّبِّ كلَّمَا
وشَاهَدَ موْلَاهُ الْعَظيمَ جَلَالُهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ اللهُ منَّا وسَلَّمَا
وَأرْسَلَهُ يَدْعُو الْبرَايَا لِقُرْبِهِ وَخَصَّصَهُ فِى الْكَوْن أَنْ يَتَقَدَّمَا
وَآل وَأَصْحَاب لِيُوثٍ ضَوَارِى ولَاسِيَّمَا الصَّدِّيقِ مَنْ فِيهِ هُيِّمَا
وَفَارُوقِهِ عُثْمانَ ثُمَّ ابْنِ عَمِّهِ وَأَوْلَادِهِ السَّادَاتِ ثُمَّ مَن انْتَمَى
وَأَتْبَاعِهِ وَالنَّاهِجِينَ سَبِيلَهُ مَدى الدَّهْرِ مَاهَبَّ الصَّبَا وتَنَسَّمَا

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وبَارِكْ عَلَى مَنْ تَشَرَّفَتْ بِهِ جَميعُ الْأَكْوَانِ، وَصَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذى أَظْهَرْتَ به مَعَالمَ الْعِرْفَانِ، وَصَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذى أَوْضَحَ دَقَائقَ الْقُرْآنِ، وَصَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَيْنِ الْأَعْيَانِ وَالسَّبَبِ فِى وُجُودِ كُلِّ إِنْسَانٍ، وَصَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى مَنْ شَيَّدَ أَرْكَانَ الشَّرِيعَةِ للعَالَمِينَ وَأَوْضَحَ أَفْعَالَ الطَّرِيقَةِ للسَّائرينَ ورَمَزَ فِى عُلُومِ الْحَقيقَةِ لِلْعَارِفِينَ، فصَلِّ وَسَلِّمِ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ صَلَاةً تَلِيقُ بِجَنَابِهِ الشَّرِيفِ وَمَقَامِهِ الْمُنِيفِ وَسَلِّمْ تَسْلِيماً دَائماً يَا اللهُ يَارَحْمنُ يَارَحِيمُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحمَّدٍ الَّذى زَيَّنَ مَقَاصِيرَ الْقُلُوبِ وَأَظْهَرَ سَرَائرَ الْغُيُوبِ، بَابِ كُلِّ طَالِبٍ وَدَلِيلِ كُلِّ مَحْجُوبٍ، فَصَلِّ وَسَلِّمْ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ مَا طَلَعَتْ شَمْسُ الْأَكْوَانِ عَلَى الْوُجُودِ وصَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى مَنْ أَفَاضَ عَلَيْنَا بِإِمْدَادِهِ سَحَائبَ الْجُودِ يَا اللهُ

يارحمنْ يارحيمْ (اللَّهُمَّ) صلِّ وسلِّمْ وبارِكْ على سيِّدنا مُحمَّد صلاة تُــدْنى بعيدنا إلى الْحضْرات الرَّبَّانيَّة وتَذْهَبُ بقريبنا إلى ما لانهايــة لــهُ مــن الْمقامات الإحْسانيَّة، فصلِّ وَسلِّمْ اللَّهُمَّ عليه صلاةً تَنْشرحُ بها الصُّــدُورُ وتَهُونُ بها الْأُمُورُ وتَنْكَشفُ بهَا السُّتُورُ وَسلِّمْ تَسْليماً كثيراً إلــى يــوْم الدِّين آمين (سبْعاً) ﴿دَعْوَاهُمْ فيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحيَّتُهُمْ فيهَــا سَــلامٌ وَآخرُ دَعْوَاهُمْ أَن الْحَمْدُ للَّه رَبِّ الْعَالَمينَ﴾ [يونس:١٠] ثُمَّ يَقْرَأُ الفَاتحَــةَ ويهْدى ثَوَابَهَا لمُنْشئ الْورْد الشَّريف وَمَشَايخه وأَهْل الطَّريقَة جَميعاً، ثُمَّ يَشْرَعُ فى قرَاءَة الْمُنْبَهجَة وَهْىَ هذه:

منظومة المنبهجة له أيضاً

قُمْ نَحْوَ حمَاهْ وَابْتَهِجِ وَعَلَى ذَاكَ الْمَحْيَا فعُجِ
وَدَع الْأَكْوَانَ وَقُمْ غَسَقًا واصْدُقْ فِى الشَّوْقِ و فى اللَّهجِ
وَالْزَمْ بَابَ الْأَسْتَاذِ تَفُزْ وَتَكُون بِذلكَ خِلَّ نَجِى
وَاخْرُجْ عَنْ كُلِّ هَوًى أبَداً وَدَع التَّلْفِيقَ مَعَ الْهَرَج
إِيَّاكَ أُخَىَّ تُرَافِقُ مَنْ لَمْ يَنْهَكَ عَنْ طُرُقِ الْعِوَج
اقْنَعْ وَازْهَدْ واذْكُرْهُ كَذَا كَ بِبَابِ سِوَاهُ لَا تَلِج
وَادْخُلْ لِلْحَانِ خَلِيلِ وَمِلْ نَحْوَ الْخَمَّارِ أَبِى السُّرُج
وَاشْرَبْ وَاطْرَبْ لَاتَخْشَ سِوًى إِيَّاكَ تَمِلْ عَنْ ذَا النَّهَجِ
كَمْ أَنْتَ كَذَا لَمْ تَصْحُ أَفِقْ وَإِلَى الْأَبْوَابِ فَقُمْ ولِج
مَوْلَاىَ أَتَيْتُكَ مُنْكَسِراً وَبِغَيْرِكَ شَوْقِى لَمْ يَهِجِ
وَأَتَيْتُ إِلَيْكَ خَلِيًّا مِنْ صَوْمِى وَصَلَاتِى مَعْ حِجَجِى
وَكَذَا عِلْمِى وَكَذَا عَمَلِى وَكَذَاكَ دَلِيلِى مَعْ حُجَجِى
لَا أَمْلِكُ شَيْئًا غَيْرَ الَّدمْعِ مَخَافَةَ أَنْ يُفْشِى وَهَجِى
هَلْ غَيْرُ جَنَابِكَ يُقْصَدُ لَا وَجَمَالِكَ ذِى الْحُسْنِ الْبَهِجِ
مَنْ يَقْصُدُ غَيْرَكَ فَهُوَ إِذًا بِظَلَامِ الْبُعْدِ تَرَاهُ فُجِى
مَنْ أَنْتَ تُضِلُّ فَذَاكَ مِنَ الْهُلَّاك وَمَنْ تَهْدِى فَنَجِى
وَدُمُوعُ الْعَيْنِ تُسَابِقُنِى مِنْ خَوْفِكَ تَجْرِى كَاللَّجج
يَاعَاذِلَ قَلْبِى وَيْكَ فَدَعْ عذْلِى وأَقْصِرْ عَنْ ذَا الْحَرَج

كَمْ تَعْذِلنِى لَمْ تَعْذِرْنِى دَعْنِى فِى الْبَسْطِ وَفِى الْفَرَجِ
أُذْنِى لِحَبِيبِى صَاغِيَةٌ صَمَّتْ عِنْدَ الْوَاشِى السَّمِجِ
يَاصَاحِبَ حَانِ الْخَمْرِ أَدِرْ صِرْفاً وَاتْرُكْ لِلْمُمْتَزِجِ
وَأَدِرْ كَأْسَ الْأَسْرَارِ وَدَعْنِ أَصِيرُ بِهِ مِنْ ذِى الْهَمَجِ
مَوْلَاىَ بِسِرِّ الْجَمْعِ كَذَا كَ وَجَمْعِ الْجَمْعِ وَكُلَّ شَجِى
بِالذَّاتِ بِسِرِّ السِّرِّ بِمَنْ أَفْضَالُكَ رَبِّى مِنْكَ رَجِى
بِحَقِيقَتِكَ الْعُظْمَى رَبِّى وَبِنُورِ النُّورِ الْمُنْبَلِجِ
بِعَمَاءٍ كُنْتَ بِهِ أَزَلاً بِمُحَمَّدِ مَنْ جَا بِالْبَلَجِ
وَبِسِرِّ الْقُرْبِ كَذَاكَ الْحُبِّ وَأَهْلِ الْجَذْبِ الْمُنْعَرِجَ
وَبِمَا أَوْجَدْتَ مِنَ الْأَكْوَا نِ بِمَا فِيهِنَّ مِنَ الْأَرَجِ
وَبِأَهْلِ الْحَىِّ وَبَهْجَتِهِمْ وَبِبَحْرِ الْقُدْرَةِ وَالْمَرَجِ
وَبِطِيبِ الْوَصْلِ وَلَذَّتِهِ بِبِسَاطِ الْأُنْسِ الْمُنْتَسِجِ
وَبِقَلْبٍ فِى بَلْوَاكَ غَدَا وَحَيَاتِكَ لَيسَ بِمُنْزَعِجِ
بِتَجَلِّى اللَّيْلِ وَعَالَمِهِ وَظَلَامِ الْكَوْنِ كَمَا السَّبَجِ
بِمَنَازِلِ أَفْلَاكٍ وَكَذَا بِمَطَالِعِهَا ثُمَّ الْبُرُجِ
بِالْآلِ بِصَحْبٍ مَنْ بِهِمُ كُلُّ الْخَيْرَاتِ إِلَيْنَا تَجِى
يَسِّرْ وَاجْبُرْ كَسْرِى بِرِضاً لِيَكُونَ بِوَصْلِكَ مُبْتَهِجِى (٣)
وَاخْلَعْ خِلَعَ الرِّضْوَانِ عَلَى صَبٍّ فِى حُبِّكَ حِبِّ هُجِى (١)
وَامْنَحْ قَلْبِى نَفَحَاتِكَ يَا مَوْلَاىَ وَعَجِّلْ بِالْفَرَجِ (٣)

واحسرة قلبى إن لم تمـ ـح خضيا الذنب من الدرج
واغفر يارب لناظمها ولـه رقى أعلى الدرج (٣)
واسمح للسامع ما نشدت قم نحو حماه وابتهج (٣)
أو ما حاد سحراً يحدو الشدة أودت بالمهج
وصلاة الله على الهادى وسلام يهدى فى الحجج
لمحمدنا ولأحمدنا ما فاح أقاح فى المرج
وعلى الصديق خليفته وعلى الفاروق وكل نجى
وعلى عثمان شهيد الدا ر وفى فسما أعلى الدرج
وأبى الحسنين مع الأولا د كذا الأزواج وكل شج
وعلى المهدى وعترته ألمشبع فى زمن الوأج
وعلى من مهد للأرضيـ ـن كما قد برح فى الحبج
ما مال محب نحوهم أو سار الركب على السرج
أو ما داع يدعو المولى يرجو للنصر مع الفرج

أللهم صل وسلم على سيدنا محمد فى الأولين، وصل وسلم على سيدنا محمد فى الآخرين، وصل وسلم على سيدنا محمد كل وقت وحين وصل وسلم على سيدنا محمد فى الملإ الأعلى إلى يوم الدين، وصل وسلم على جميع الأنبياء والمرسلين وعلى الملائكة المقربين وعلى عباد الله الصالحين من أهل السموات وأهل الأرضين، ورضى الله تبارك وتعالى عن ساداتنا ذوى القدر الجلى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم

الدَّينِ واحْشُرْنَا وَارْحَمْنَا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، يَا أَللهُ يَاحَيُّ يَاقَيُّومُ لآ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا أَللهُ يَاربَّنَا يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ أَللَّهمَّ آمينْ ثُمَّ يَذْكُرُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) حَتَّىَ يَطْلُعَ الْفَجْرَ، وَيَخْتِمُ بِالْفَاتِحَةِ وَيَهدى ثَوَابَها لِمُنْشِئِ الْوِرْدِ وَلأَهْل سلْسِلَةِ الطَّرِيقِ وَيُصَلِّى الصُّبحَ وَيَخْتِمُ بَالخَتْم الْكَبير وَيَقْرَأُ الصَّلَوَاتِ ثُم وِرْدَ السَّتَّارِ.

تم

ورد السحر

للسيد مصطفى البكرى الصديقى

رضى الله عنه

لطيفة: قال سيدى مصطفى البكرى فى الرحلة الشامية: طلب الأخ السيد مصطفى القلا كتابة وردنا السَّحَرى بخطنا ليتملى، فأجبته مسـرعاً وكتبت على ظهره للكئوس مترعا:

فتحنـــا القدســـى لازم درســـه — إن ترم كشفاً عن الدر المصـــون
واحضـــر القلـــب لـــدى قرآنـــه — واجر سحب العين شوقا كـــالعيون
ثـــم راقـــب مـــن تنـــاجى خاضـــعا — واظهرن وقت التنـــاجى للســـكون
ثم غب عـــن جملـــة الكـــون تكـــن — حاضراً فى الحى والصعب يهـــون
وبذا تـــدنو مـــن الـــنهج القريـــب — مـــن الحـــب وترقـــى للفنـــون
وعن الأحشـــا بـــه يمحـــى الغشـــا — ويهيج العشق والعشـــق جنـــون
وإذا زاح الغطـــا بعـــد العطـــا — لا تـــبح فالســـر جهـــراً لايكـــون
وانتشق عرفُ الحمى تكفى الظمـــا — بشـــراب دونـــه حتـــف المنـــون
واشهد المحبوب فـــى الســـر فقـــد — عـــزّ أن تـــدرك ذيـــاك العيـــون
ولأهـــل الله سَـــلّم مـــا استطعـــت — وحسن فيهمُ منـــك الظنـــون
وصـــــلاة الله ربـــــى دائمـــــا — وسلام منه مـــا مالـــت غصـــون
وتحيـــات علـــى طـــه الـــذى — إن يقل للميت كـــن حيـــاً يكـــون
وعلـــى الآل وصحـــب مـــن هـــم — شرف الكون وهم خيـــر القـــرون

انتهى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أورد أحبابه موارد الشهود، وأذاقهم لذة مناجاته فى القيام والركوع والسجود، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المعبود وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله صاحب الحوض المورود، واللواء المعقود، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المنعوت بالسماحة والجود وعلى آله وصحبه الذين جعلهم الله من أهل الحضرة والشهود، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى اليوم الموعود، وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد، فيقول ذو التقصير والمساوى عمر جعفر الشافعى الشبراوى: لما أراد الله باجتماعى على بعض الإخوان – أصلح الله لى ولهم الحال والشان – فى مولد العارف بالله تعالى الأستاذ السيد أحمد البدوى – قدس الله سره – وسألونى أن أشرح لهم ورد السَّحَر الذى هو للسيد مصطفى البكرى الصديقى – قدس سره – لأنه من أعظم ما يتوسل به المريدون خصوصاً فى أوقات الأسحار، فإنه ورد عظيم الإمداد كما أخبرَ به بعض العارفين، بل قال بَعض العارفين للشيخ المصنف لما سمعه يقرؤه: إن هذا الورد قد احتوى على الاسم الأعظم، وقال العارف بالله الشيخ محمد الخليلى – رحمه الله تعالى –: من لازم على هذا الورد سنة ضمنت له على الله الفتوح.

وقد شرحه المصنف – قدسّ الله سره – شروحاً بديعة المبانى غريبة المعانى، وشرحه أيضا العارف بالله تعالى الأستاذ الشيخ الشرقاوى شرحا عظيما كثير الفوائد. كيف لا وهما قد شربا من عين بحر الحقيقة فارتويا وارتقيا فى مقامات التحقيق، لكن لغرابة هذه الشروح

صعب تناولها على القاصرين من أمثالى فأجبتهم لذلك، وإن كنت لست أهلا لما هنالك، وشرحته شرحا مفيداً إن شاء الله تعالى معتمدا فى ذلك على الملك الوهاب ثم على شرح العارف بالله الشرقاوى، وشرح المصنف - قدس الله سرهما - وما يفتح الله به علينا مما تلقيناه عن أشياخنا - رضوان الله عليهم أجمعين -، وسميته: «**إرشاد المريدين فى معرفة كلام العارفين**»، جعله الله خالصا لوجهه الكريم، وسبباً للفوز بجنات النعيم، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

قال الشيخ المصنف - رضى الله تعالى عنه -: (**بسم الله الرحمن الرحيم**)، ابتدأ كتابه بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز فى ابتدائه بها، أعنى فى اللوح المحفوظ أو بعد جمعه وترتيبه، فلا يرد بأنها ليست أول ما أنزل، فإن ابتداء النبوة بنزول الوحى وهو بغار حراء ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [العلق:١-٥]، وابتداء الرسالة بعد ذلك بثلاث سنين﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ**﴾ [المدثر:١]، بناء على عدم اقتران النبوة والرسالة، وهذا الذى حققه العلامة الصبان فى سيرته، وشهر العلامة الأمير الاقتران قال: أى اقرأ على قومك، فآية المدثر بيان لابتداء الارسال، وأما نهايتهما فقد قال العارف الشعرانى - رضى الله تعالى عنه - فى «**اليواقيت**»: أما الرسالة فلدخول الجنة أو النار، وأما النبوة فهىاصطفاء الله تعالى، وهذا لا ينقطع فى الأخرة، قال: والإرسال يرجع للتكاليف، وهو منقطع فى الآخرة انتهى. وتعقبه العلامة الأمير بقوله: والنظر الظاهر أنهما باعتبار الإيحاء الشرعى بالفعل ينقطعان بالموت وباعتبار المزايا المترتبة عليهما باقيان، وحينئذ لا وجه للتفرقة وعملا

بقوله صلى الله عليه وسلم: «**كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر أو أقطع أو أجذم**» روايات ثلاث، والمعنى على كلٍّ أنه ناقص وقليل البركة، فهو وإن تم حسا لايتم معنى، وهو من باب التشبيه البليغ أو من باب الاستعارة التصريحية على ما اختاره العلامة السعد والتشبيه لأمر كلى، والمذكور فرد منه فلا جمع حينئذ فافهم.

ومعنى "ذى بال" أى حال يهتم به شرعاً من تأليف وأكل وشرب وفتح وغلق وركوب وغير ذلك، والتحقيق أنها باللفظ العربى بهذا التركيب من خصوصيات هذه الأمة، وحينئذ لا يرد قوله ﷺ: «**بسم الله الرحمن الرحيم فاتحة كل كتاب**»، وقوله تعالى: **﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾** [النمل:٣٠]، فى كتاب بلقيس؛ لأن ذلك باعتبار هذا التركيب بل باعتبار حكاية أصل معناها فقط على لسان سليمان وغيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام، والباء فيها للاستعانة بالواحد الأحد، إذ به العون فى كل حال إلى الأبد، أو للمصاحبة على وجه التبرك، والثانى أولى لأن جَعلها للاستعانة فيه إساءة أدب لأن باء الاستعانة تدخل على الآلة، فيلزم عليها جعل اسم الله مقصوداً لغيره لا لذاته إلا أن يقال: إن من جعلها للاستعانة نظر إلى جهة أخرى، وهى أن الفعل المشروع فيه لا يتم على الوجه الأكمل إلا باسمه تعالى، لكن قد يقال: مظنة الإساءة ما دامت موجودة، والباء على كلا الاحتمالين متعلقة بمحذوف تقديره أؤلف أو أبتدئ.

وقال سيدى محيى الدين – رضى الله تعالى عنه –: متعلقة بالحمد لله لأن الله تعالى لا يثنى عليه إلا بأسمائه، والمعنى على ذلك أثنى عليه

لكونه رحماناً رحيماً مستعاناً به؛ لأن أسماءه تعالى يستعان بها كما يستعان بذاته تعالى.

قال الشيخ المذكور: إن الباء حرف شريف، ولذلك افتتح الله تعالى كتابه بالباء وهكذا فى كل سورة، ولما أراد الله سبحانه وتعالى أن ينزل سورة بغير بسملة ابتدأ فيها بالباء فقال فيها: **﴿بَرَاءةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** [التوبة:١]، فبدأ فيها بالباء دون غيرها من بقية الحروف، وكان سيدى مدين - رضى الله تعالى عنه - يقول: ما رأيت شيئا إلا رأيت الباء مكتوبة عليه كأنه يقول: كل شيء بى قام فكانت الباء فى إزاء كل شيء فالباء إشارة إلى: بالله ظهرت الأشياء وبه فنيت،اهـ.

والاسم لغة: ما أبان عن مسماه، واصطلاحاً: كلمة دلت على معنى فى نفسها ولم تقترن بزمان فى ذاتها، والتسمية جعل اللفظ دليلاً على المعنى، وهو غير الاسم والمسمى، وهو عند أهل الظاهر من قبيل الألفاظ، فعلى هذا لا يصح قولهم: الاسم غير المسمى على إطلاقه، وعند أهل الحقيقة عبارة عن ذات الحق سبحانه وتعالى والوجود المطلق فالرحمن مثلا هو الذات المقدسة مع صفة الرحمة، فعلى هذا فالاسم عين المسمى بحسب التحقق والوجود، وإن كان غيره بحسب التعقل ، فتدبر.

والله علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد وهو علم جزئى شخصى على التحقيق، والوصف خارج عن المسمى معتبر لترجيح التسمية فمدلوله الذات فقط، ولا يقال ذلك إلا فى مقام التعليم لأن التشخيص يوهم التكييف عند القاصرين، وإن ورد فى السنة إطلاقه عليه تعالى فى قوله ﷺ: «**لا شخص أغير من الله**»، باعتبار ظاهره، وليس كلياً بالغلبة التقديرية ولا التحقيقية، والوصف وإن كان كلياً

اصالة فهو منحصر خارجا فلا يقال حينئذ لا إله إلا الله لا تفيد التوحيد كما قيل، فتدبر.

قال بعض العارفين: كلمة الله ثلاثة أحرف ألف ولام وهاء فالألف إشارة إلى قيام الحق بذاته تعالى وانفراده عن مصنوعاته، فإن الألف لا تعلق لها بغيرها، واللام إشارة إلى أنه تعالى مالك لجميع المخلوقات والهاء إشارة إلى أنه تعالى هادى من فى السموات ومن فى الأرض، قال تعالى: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [النور:٣٥]، وقال الشيخ حسن الكفراوى فى رسالته المسماة «بالدر النظيم فى فضل بسم الله الرحمن الرحيم»: كلمة الله أربعة أحرف خطاً: همزة ولامان وهاء، فالهمزة مخرجها أقصى الحلق، واللام مخرجها طرف اللسان، والهاء مخرجها أقصَى الحلق أيضا، ففيما ذكر إشارة إلى حالة عجيبة، وهى أن العبد يبتدئ من أول حالته التى هى صفة الفكرة والجهالة، ولا يزال يترقى شيئاً فشيئاً فى مقامات العبودية حتى إذا وصل إلى مراتب الوسع والطاقة ودخل فى عالم المكاشفة والأنوار الإلهية أخذ يرجع شيئاً فشيئاً إلى أن ينتهى إلى مقامات الحق الذى هو إشارة إلى ما قبل النهاية والرجوع إلى المبدأ كما أن أقصى الحلق مبدأ التلفظ بالحروف، ثم لا يزال يترقى شيئاً فشيئاً إلى أن يصل إلى طرف اللسان ثم يعود إلى موضعه وهو داخل الحلق ومحل الروح فتدبر.

والرحمن هو المنعم بجلائل النعم كالإيمان والإسلام، والرحيم المنعم بدقائق النعم، وذكره بعد الرحمن إشارة إلى أنه كما يطلب منه الجليل يطلب منه الحقير كما فى الحديث القدسي: «**يا موسى سلنى فى شراك نعلك وملح قِدْرك**»، والرحمن الرحيم صفتان بنيتا للمبالغة مأخوذتان من الرحمة بمعنى الإحسان أو إرادة الإحسان لا بمعناها الأصلى الذى هو رقة فى القلب تقتضى التفضل والإحسان لاستحالة ذلك فى حقه تعالى، فالرحمن الرحيم فى حقه تعالى بمعنى المحسن أو مريد الإحسان، والرحمن أبلغ من الرحيم لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى غالبا كما فى قطع بالتخفيف وقطع بالتشديد، وقيل: رحيم أبلغ من رحمن لأنه الجامع لأقسام الرحمة، وتمام مظهره لا يكون إلا فى الآخرة واستشكل استعمال المبالغة فى صفاته تعالى لأن المبالغة هى أن تثبت للشيء أكثر مما له، وصفات الله تعالى منزهة عن ذلك لأنها غير متناهية الكمال، وأيضا إنما تكون فى صفة تقبل الزيادة والنقص،وصفاته تعالى منزهة عن ذلك، ومن ثم قال بعض العلماء: صفات الله تعالى التى على سبيل المبالغة إطلاقها عليه مجاز لاستحالة حقيقة المبالغة فيها، واستشكل السبكى ﴿**وَاللَّهُ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [آل عمران:١٨٩]، لما فيه من المبالغة فيستلزم الزيادة على معنى قادر وهو محال، وأجاب الزركشى بأن صيغة المبالغة إما بحسب زيادة الفعل أو تعدد المفعولات، وهذا لا يوجب للفعل زيادة لأن الفعل الواحد قد يقع على متعدد، وعلى هذا يحمل صفات الله تعالى بلا إشكال؛ ولهذا قال بعضهم فى اسمه تعالى الحكيم: معنى المبالغة فيه تكرر حكمه بالنسبة إلى الشرائع، وفى نحو اسمه وهاب لدلالة على كثرة الهبات، ونحو اسمه تواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه حتى نزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه

وفضله، وأيضا المبالغة إذا تعذر حملها على كل فرد تعين صرفها إلى مجموع الأفراد التى يدل السياق عليها بالنسبة إلى كثرة المتعلق لا الوصف، فتأمل.

قال بعض العارفين: لما كانت الأسماء الإلهية سبب وجود العالم المؤثرة فيه كانت البسملة خير ابتداء، وهو ابتداء العالم، فكأنه يقول: بسم الله الرحمن الرحيم ظهر العالم من العدم إلى الوجود، فهى بيان لافتتاح الإيجاد، والدخول إلى بيت الوجود بحسب الاستعداد،وخص الأسماء الثلاثة لأن الحقائق تعطى ذلك، فالله هو الاسم الجامع لجميع الأسماء الإلهية بصريح الجمعية، فيطلق على أى اسم كان بقرينة المقام.

ألا ترى أن المريض إذا قال: يا ألله كان مراده يا شافى، والتائب إذا قال: يا ألله كان مراده يا تواب، و هكذا.

والرحمن صيغة عامة، فهو رحمن الدنيا والآخرة، والرحيم أخص وأتم، فعموم الرحمن لظهور رحمته فى سائر الموجودات، وخصوص الرحيم لاختصاص أهل السعادات به، فرحمة الرحمن قد تمتزج بالنقمة كشرب الدواء الكريه الطعم لمرارته مثلاً، فإنه وإن كان رحمة للمريض من حيث الشفاء لكن النفس تكرهه من حيث مرارته، ورحمة الرحيم لا يمازجها شيء فهى محض نعمة، لا توجد إلا عند أهل السعادات الكاملة فتأمل.

ومن خواص اسم الرحمن كما قاله بعض العارفين أن من أكثر من ذكره نظر الله له بعين الرحمة.

ومن خواص الرحيم أن من كتبه فى ورقة إحدى وعشرين مرة وعلقها على صاحب الصداع برئ بإذن الله تعالى، ونقل الشيخ الشعرانى فى «طبقاته» فى ترجمة الشيخ الشاذلى - رضى الله عنهما - أنه قال:

رأيت رسول الله ﷺ فى المنام فقال لى: قل عند النوم: أعوذ بـــالله مـــن الشيطان الرجيم خمساً، وبسم الله الرحمن الرحيم خمسا، ثم قـــل: اللهـــم بحق محمد أرنى وجه محمد ﷺ حالاً ومآلاً فإنك إذا قلتها ترانـــى فـــى المنام ولا أتخلف عنك أبداً. والكلام على البسملة طويل، وفى هذا القـــدر كفاية، والله أعلم.

الحمد لله أتى المصنفة – رحمه الله تعالى – بالحمدلة بعد البسملة اقتداء بالكتاب العزيز أيضاً، وعملاً بقوله ﷺ: «**كل أمر ذى بال لا يبـــدأ فيه بالحمد لله فهو أبتر أو أقطع أو أجذم**» على ما تقدم، ولا تعـــارض بين الحديثين لفقد شرطه لاختلافهما صحة وحسناً، وعلى تســـليم عدمـــه فالابتداء قسمان: حقيقى، وهو ما تقدم أمام المقصود ولم يســـبقه شـــىء وإضافى، وهو ما تقدم أمام المقصود مطلقا. هكذا اشتهر، وإن حقق عبد الحكيم التغاير متعقبا للإطلاق بأنه لا وجه لتسميته إضـــافيا مـــع عـــدم السبق؛ اهـــ. فبالبسملة حصل كل من الابتداءين، وبالحمدلة حصل الثانى منهما، ولم يعكس اقتداءً بالكتاب العزيز، والإجماع الفعلـــى. والحمدلـــة: الثناء بالجميل على جميل اختيارى كالكرم والحلم على وجهـــة التعظـــيم والتبجيل، والثناء بتقديم المثلثة على النون وهو الذكر بخير احترازاً مـــن النثاء بتقديم النون على المثلثة، وهو ضد الثناء، وقولنـــا: علـــى جميـــل اختيارى، أى لأجل جميل اختيارى، ولو كان جميلاً فى اعتقاد المحمـــود بزعم الحامد، وإن لم يكن جميلا شرعاً كنهب الأموال وخرج بالاختيارى الاضطرارى، فإن الثناء عليه يسمى مدحاً لا حمداً تقول: مـــدحت زيـــدا على رشاقة قده دون حمدته، وقال الزمخشرى: الحمد والمدح أخوان، أى مترادفان على معنىً واحدٍ، فإن قيل: التقييد بالاختيارى يخرج الحمد على ذاته تعالى وصفاته، فظاهره أنه لا يسمى حمداً والتـــزم ذلـــك بعضـــهم

واجيب عن ذلك بأن المراد ما يشمل الاختيارى حقيقة وهو ظاهر، أو حكما، والمراد به ما كان منشأ للأفعال الاختيارية كالذات وصفات التأثير، وملازما للمنشئ كصفات غير التأثير، فإنها وإن لم تكن اختيارية حقيقية إلا أنها اختيارية حكما باعتبار صدور الأفعال الاختيارية منه وقولنا: على جهة التبجيل والتعظيم، والإضافة فيه للبيان خرج به ما إذا كان على سبيل الاستهزاء كقول الملائكة لأبى جهل لعنه الله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان:٤٩]، أى فى زعمه أنه عزيز فى قومه لأنه كان يقول: أنا أعز البوادى وأكرمهم، فتقول له الملائكة ذلك القول على سبيل الاستخفاف والتوبيخ، وفى الحقيقة هذا خارج من أول الأمر فإنه ليس ثناء إلا بحسب الصورة، فهذا القيد عند التحقيق للإيضاح.

واصطلاحاً: فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما على الحامد أو غيره، وهذا معنى الشكر لغة بإبدال الحامد بالشاكر، ومعنى الشكر اصطلاحاً: صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه إلى ما خلق لأجله. والكلام فى النسبة بين كلّ لغة واصطلاحاً لا يليق بهذا الشرح فتدبر.

(الذى) اسم موصول **(أورد)** أى أحضر فى حضرته الخاصة، قال فى القاموس: أورده: أحضره المورد كاستورده اهـ. **(من أراد)** أى اختار واجتبى **(المقام)** بضم الميم وفتحها: المقر والمجلس، والمراد هنا: مقعد الصدق فى الرتبة العندية **(المورود)** أى المقصودلأهله، والمشهود لطلابه، وقد جعل الشيخ المصنف - رضى الله تعالى عنه - الحمد معللاً بهذه النعمة جرياً على أن الحمد المقيد أفضل من الحمد المطلق، لأنه

حمد فى مقابلة نعمة، فيثاب عليه ثواب الواجب، وذهب بعض الأئمة إلى أفضلية المطلق لاستحقاق الحمد لذاته تعالى.

(وخص) التخصيص ضد التعميم. قال فى القاموس: خصه بالشىء فضله، واختصه بالشىء خصه به، فاختص وتخصص لازم متعد، اهـ.

(أهل الأوراد) أى أصحابها الملازمين على تلاوتها؛ لأنها تتأكد على كل من عين على نفسه ورداً من ذكر أو صلاة أو غير ذلك المواظبة عليه، ولا يتركه إلا لعذر شرعى لا سيما إذا بايعه شيخه علىملازمته، فإن فاته شىء من أوراد الليل قضاه نهاراً أو بالعكس. قال سيدى إبراهيم الدسوقى - رضى الله تعالى عنه -: ما قطع مريد ورده يوما إلا قطع عنه الإمداد فى ذلك اليوم، فإن طريق القوم تحقيق وتصديق وعمل، وتنزه وغض بصر، وطهارة يد وفرج ولسان، فإن خالف شيئا من أفعالها رفضته ولو كرها، اهـ. والأوراد جمع ورد، وهى مجموع أذكار وأدعية بقصد مناجاة الرب سبحانه وتعالى، والتذلل بين يديه وفاء بحق العبودية له، وسبب وضع العارفين لها تشويق المريدين إلى طلب المراد، وهو الله تعالى؛ لأن قصدهم جمع الخلق على الحق، وترقيهم إلى منازل الصدق، لا مجرد حظ نفس وحب رياسة لتنزههم عن ذلك.

(من العباد) بكسر العين جمع عبد يطلق على ما قابل الحر، وعلى الإنسان مطلقاً، وهو المراد هنا، مأخوذ من العبودية وهى غاية التذلل والخضوع، وهى أشرف أوصاف العبد، ولذا لم يذكر الله نبيه ﷺ فى أشرف المقامات إلا بها كقوله تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ**﴾

[الإسراء:١]، وقوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن:١٩]. ومما ينسب للقاضى عياض:

ومما زادنى عجبا وتيها وكدت بأخمصى أطأ الثريا
دخولى تحت قولك يا عبادى وأن صيرت أحمد لى نبيا

(بنفحات الجود) أى يعطيه محض الكرم لا عن طلب واستحقاق والنفحات جمع نفحة وهى العطية يقال: نفح فلانا بكذا، أى أعطاه **(ومنحهم من الواردات)** أى أعطاهم. قال فى القاموس: منحه كمنعه وضربه: أعطاه والاسم المنحة، اهـ. أى العطية، والواردات جمع وارد وهو ما يرد على القلوب من الخواطر المحمودة أو من العلوم والمعارف أو غير ذلك كوارد قبض أو بسط. **(الإلهية)** أى المنسوبة للإله لأنه هو المفيض لها على عباده. **(مارقاهم بها)** مفعول لمنح أى: على مراتبهم بسبب تلك الواردات **(إلى منازل السعود)** جمع منزلة. قال فى «المصباح»: والمنزل موضع النزول، والمنزلة مثله، وجمعها منازل، وهى أيضا المكانة؛اهـ. والمنازل عند علماء الفلك هى المواضع التى تحل فيها الكواكب السيارة، فيقال: منازل الشمس، ومنازل القمر قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ [يس:٣٩]، والمراد بها هنا مقامات القرب من الحضرة العلية، شبهت بتلك المواضع، وشبهت الروح بالكواكب التى تحل فيها لتعددها باعتبار حلولها فى تلك المقامات، وما يطرأ عليها من الصفات. **(أحمده)** أى: أثنى عليه الثناء اللائق بجنابه **(على ما تفضل)** أى: الذى أحسن إلينا، **(به)** أى: لأجل تفضله وإحسانه بذلك لأن الحمد على الصفة آكد من الحمد على الأثر **(من ملازمة الأوراد)** أى: لزومها وعدم الانفكاك عنها حسب الطاقة، فإنه يرى لذلك

أثرا ظاهرا؛ لأن القلوب الغافلة أقسى من الصخر، فالملازمة على الطاعة تلينها وتوقظها سيما إذا كانت بمبايعة شيخ عارف فى الطريق كما قال القائل:

اطلب ولا تضجر من مطلب فآفة الطالب أن يضجرا
أما ترى الحبل بتكْرَاره[1] فى الصخرة الصماء قد أثرا

(مع) اسم لمكان الاصطحاب أو زمانه، **(كمال الأدب)** أى: الأدب التام وهو ارتكاب المستحسن من الأقوال والأفعال والأخلاق، قال ﷺ: «**إن الله عز وجل أدبنى فأحسن تأديبى**»، وحقيقة الأدب اجتماع خصال الخير وكان أبو على الدقاق يقول: العبد يصل بطاعته إلى الجنة، وبأدبه فى طاعته إلى الله تعالى.

(والشهود) هو فى الاصطلاح: رؤية الحق بالحق، أى: ظهور تجلياته فى سائر مخلوقاته بأن يشهد الحق من حيث إمداده فى سائر موجوداته، لكن من غير حلول ولا مماسة ولا نوع من أنواع التجسيم والتشبيه، بل هو تعالى على ما هو عليه من التنزيه مما لا يليق به، لكن جرت عادة الله أن يتجلى فيما شاء من المظاهر لأوليائه، كما وقع لسيدنا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فى تجليه على النار المخلوقة التى رآها سيدنا موسى فى جانب الشجرة فسمع نداء ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي**﴾ [طه:١٤]، فلم ينكر تجليه فى النار بل آمن وصدق **(وأصلى وأسلم على الحبيب)** أى: المحبوب، إنما أتى المصنف – رضى الله تعالى عنه – بالصلاة والسلام فى أول كتابه عملاً بالحديث القدسى

[1] يقال: تكرار بفتح التاء الفوقية، والراء المهملة على وزن تفعال، ولم يات على وزن تفعال الا تلقاء، وتبيان، وكلاهما فى القرآن الكريم.اهـ. مصححه.

وهو قوله جل شأنه: «**عبدى لم تشكرنى إذا لم تشكر من أجريت النعمة على يديه**»، ولا شك أنه صلى الله عليه وسلم هو الواسطة العظمى لنا فى كل نعمة بل هو أصل الإيجاد لكل مخلوق آدمى وغيره كما قال البارى جل شأنه: «**لولاك لولاك يا محمد لما خلقت الأفلاك**»، ولقد أحسن سيد العاشقين ابن الفارض – رضى الله تعالى عنه – قائلا على لسان الحضرة المحمدية:

فإنى وإن كنت ابن آدم صورةً فلى فيه معنىً شاهدٌ بأبوتى

وذلك لأنه خلق من نوره ﷺ، والصلاة من الله على نبيه: رحمة مقرونة بتعظيم، ومن الملائكة: الاستغفار، ومن الآدمين: التضرع والدعاء، هكذا اشتهر، وهو خلاف التحقيق، والذى حققه العلامة الأمير – رحمه الله تعالى – والصبان أن الصلاة من غيره تعالى الدعاء، لافرق بين الملك والبشر بل والجمادات؛ فإنه ورد صلاتهم عليه، وإن اشتهر عنهم السلام فقط إذا ليست صلاة الملائكة قاصرة على الاستغفار، فإنه ورد دعاؤهم بالرحمة أيضا للمصلى إذا جلس فى موضع صلاته تقول: اللهم اغفر له اللهم ارحمه، وحكاية الله عنهم: ﴿**فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ**﴾ [غافر:٧]، وهى من قبيل المشترك المعنوى على ما اختاره ابن هشام وهوما اتخذ وضعه ومعناه مع اشتراك إفراد ذلك المعنى فيه لكليته فمعناها عنده العطف بفتح العين، وهى تختلف باعتبار مما تضاف إليه فإن أضيفت إلى الله تعالى فهى الرحمة، وإن أضيفت إلى غيره فهى الدعاء، وجملتها خبرية لفظاً إنشائية معنى، ولا يكفى أن تكون خبرية لفظا ومعنىً على التحقيق خلافاً للشيخ يسين؛ فإن المخبر بالصلاة لا يعد مصلياً بخلاف جملة الحمد فتصح خبرية لفظاً ومعنىً لأن الإخبار من أفراد الحمد، فهو داخل فى تعريفه، والخبر ما تحقق مدلوله فى الخارج

وكان اللفظ حكاية عنه، بخلاف الإنشاء، فإنه ما توقف مدلوله على النطق به، وفى «جمع الجوامع»: الخبر ما يتبع مدلوله، والإنشاء ما تبعه مدلوله، وهو فى المعنى يرجع لما قبله، والصحيح أنه ﷺ ينتفع بصلاتنا عليه، لكن لا ينبغى للمصلى أن يلاحظ ذلك، والكامل يقبل الكمال، وما من كمال إلا وعند الله أكمل منه، فلا يرد أنه ﷺ محتاج لصلاة غيره وهى من أعظم القرب وأفضلها خصوصاً فى يوم الجمعة وليلتها كما قال ﷺ: «**أكثروا من الصلاة علىَّ فى الليلة الغراء واليوم الأزهر**» ولذلك ذكر بعض شراح "الدلائل" أنه يسمع صلاة المصلى عليه فى هذه الليلة وفى هذا اليوم ويردها عليه بخلاف باقى الأيام فموكل بها ملك يوصلها إليه ولكن الصحيح الذى عليه الاعتماد وتلقيناه عن أشياخنا أن من كان بقربه ﷺ يسمعه ولا فرق بين الجمعة وغيرها، وإن كانت أفضلية الصلاة عليه فيها دون سائر الأيام لا تخفى، ومن كان بعيداً عنه ﷺ يوصلها له الملك.

ومن فوائد الصلاة عليه ﷺ ما جرب من تأثيرها فى جلاء القلوب حتى قيل: إنها تغنى عن الشيخ فى الطريق كما حكاه الشيخ السنوسى وسيدى أحمد زروق وأشار إليه أبو العباس أحمد بن موسى اليمنى لكن ذلك محمول على مجرد التنوير، وأما الترقى فى درجات الولاية فلابد فيه من شيخ عارف سالك فى مسالك القوم، وقطع الإمام السنوسى والشاطبى، بحصول ثوابها للمصلى ولو قصد الرياء، ولكن قال العلامة الأمير فى «حاشيته» للشيخ عبد السلام نقلاً عن بعضهم: التحقيق أن لها جهتين، فمن جهة القدر الواصل له ﷺ فهذا لا شك فى وصوله له ﷺ ومن جهة القدر الواصل للمصلى فكبقية الأعمال لاثواب فيها إلا بالإخلاص، وهذا هو الحق، والسلام من الله على نبيه: زيادة التحية

والإكرام (الشاهد المشهود) أى شاهد على الأمم الماضية وعلى أمته، قال جل شأنه: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣]، وقوله: المشهود أى: المشهود له من الله تعالى بالفضل الأعظم، قال جل شأنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، ونحو ذلك من الآيات الدالة على مزيد فضله ﷺ. **(صاحب المقام المحمود واللواء المعقود)** أى: الشفاعة العظمى فى يوم الجزاء قال تعالى: ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩] أى: يحمدك فيه الأولون والآخرون، واللواء بالمد: الراية التى تعقد للأمير ليعرف، وهو لواء حقيقى على الصحيح من ياقوتة حمراء وقضيبه من فضة، وطرفه الذى فى الأرض من زمردة خضراء، وله ثلاث ذوائب: ذؤابة بالمشرق، وذؤابة بالمغرب وذوابة فى جهة السماء وطوله ألف وستمائة سنة، مكتوب عليه ثلاثة أسطر، السطر الأول: بسم الله الرحمن الرحيم، السطر الثانى: الحمد لله رب العالمين، السطر الثالث: لا إله إلا الله محمد رسول الله. **(الذى عرفنا ما نقول فى الأذكار)** أى الواجبة والمندوبة **(فى القيام)** أى: فى حال القيام للصلاة ونحوها **(والصيام)** فرضاً أو نفلاً **(والركوع)** أى: ركوع الصلاة **(والسجود)** أى: وضع الجبهة على الأرض فى الصلاة مع التحامل اليسير **(صلى الله تعالى)** أى: تقدس وتنزه **(وسلم عليه وعلى آله وأصحابه)** فصل الآل بعلى رداً على الشيعة الزاعمين ورود حديث: «**لا تفصلوا بينى وبين آلى بعلى**»، وهو باطل لا أصل له، وتحقيق الكلام فى الآل على ما حققه العلامة الصبان والأمير أنه لا يطلق القول فيه بل يختلف باختلاف المقامات والقرائن، ففى مقام الزكاة بنو هاشم وبنو المطلب عند الشافعى

وبنو هاشم لا المطلب عند مالك، وآل على وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس وآل ألحرث عند أبى حنيفة.

وفى مقام المدح: أهل بيته، كقوله: الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرا، وفى مقام الدعاء: كل مؤمن ولو عاصياً كما هنا وحينئذ فعطف الصحب على الآل من عطف الخاص على العام، وذكره ثانيا مع دخوله فى الآل لنكتة الشرف والاعتناء بهم - رضى الله تعالى عنهم وعن بقية عباد الله الصالحين -، وصحب جمع صاحب، وهو كل من اجتمع به ﷺ مؤمنا به اجتماعا متعارفا بأن يكون بالأبدان فى عالم الدنيا بعد نبوته فى حال حياته ولو أعمى وغير مميز سواء كان من الإنس أو الجن، وكذا الملائكة بناء على أنه مرسل إليهم، والخضر والياس وعيسى عليهم الصلاة والسلام، فإن الصحبة ثابتة لهم لأنهم اجتمعوا عليه مرات فى الأرض، واجتمع عليه سيدنا عيسى فى بيت المقدس ليلة الإسراء بخلاف بقية الأنبياء، فإنهم لم يجتمعوا عليه إلا بأرواحهم **(ذوى المنهل المقصود)** أى أصحاب المورد الذى يقصده الغير بالورود والشرب. قال فى «المختار»: والمنهل: المورد وهو عين ماء الإبل فى المراعى، انتهى. والمراد به هنا الشريعة، أضيفوا إليها لعلمهم بها، وقيامهم بنصرتها أكثر من غيرهم ويحتمل أن يراد بالمنهل المحبة لتحققهم بها أولاً وتبعية غيرهم لهم فيها **(و)** على **(التابعين)** جمع تابعى وهو من طالت عشرته مع الصحابى، وأفضل التابعين الحسن البصرى وقيل: أويس القرنى **(وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين)** أى: فى العمل الصالح، وقوله: بإحسان: راجع لكل من التابعين وتابعيهم، وقوله إلى يوم الدين، أى: الجزاء، وهو يوم القيامة **(ما اهتزت)** أى تحركت **(من الأغصان)** جمع غصن، وهو القضيب من الشجرة، ويجمع أيضا على

غصون **(قدود)** جمع قد، وهو القامة، أى: مدة تحرك قامات الأغصان فما مصدرية، ومن بمعنى اللام **(وبعد)** الواو نائبة عن أما النائبة عن مهما ويكن، وهى إما ظرف زمان كقولك: جاء زيد بعد عمرو أو ظرف مكان كقولك : دار زيد بعد دار عمر، وهى هنا ظرف زمان باعتبار النطق، ومكان باعتبار الرقم، ولها أربعة أحوال: وهو إما أن يذكر المضاف إليه معها أو يحذف، وإذا حذف إما أن ينوى لفظه أو معناه أو لا ينوى شيء، فإذا ذكر المضاف إليه نصبت على الظرفية، وجرت بمن كجئت بعد زيد، ومِنْ بعده، فإذا حذف ونوى لفظه فكذلك، فإن حذف ونوى معناه بنيت على الضم، وإذا لم ينو شيء فبحسب ما يقتضيه العامل من رفع أو نصب أو جر مع التنوين، والكلام عليها كثير شهير لا يليق بهذا الشرح، والفاء فى قوله **(فاعلم)** فى جواب أما النائبة عنها الواو **(أيها المريد)** أى: الطالب لقرب مولاه، وهو قليل ولذا لما سمع – رضى الله عنه – قوله تعالى: **﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِـرَةَ﴾** [آل عمران:١٥٢]، صاح وقال: فأين من يطلبون الله؟! فنسأل الله تعالى من فضله وكرمه أن يجعلنا وأحبتنا من الطالبين لله تعالى بامتثالنا لأوامره واجتنابنا لنواهيه **(الملازم على اقتطاف)** أى: اجتناء وأخذ **(أزهار الأوراد من رياض الإمداد)** الأزهار: جمع زهرة، وجمع الجمع: أزاهير، والمراد به: الأنوار الإلهية، بدليل قوله: الأوراد، وقوله: من رياض: جمع روضة، وهو كما فى المصباح: الموضع المعجب بالزهور، وهو متعلق باقتطاف، وإضافتها لقوله: الإمداد من إضافة المشبه به للمشبه، أى: من الإمداد بكسر الهمزة الشبيه بالرياض فشبه الإمداد الإلهى الوارد من حضرة العطاء المطلق برياض ذات أزهار وأثمار، والمريد المستعمل للأوراد يقتطف ويأخذ من أنوارها ما قسم له

على حسب استمداده واستعداده **(فى حضرات الإسعاد)** جمع حضرة وحضرة الرجل فى اللغة: قربه وفناؤه، والمراد بها هنا: حضرة الرب سبحانه وتعالى، وأضيفت للإسعاد أى: الإعانة والمساعدة لأن من دخلها سهل عليه الملازمة على الأوراد وغيرها، وقوله **(أنى)** معمول اعلم **(لمَّا)** بمعنى حين **(رأيت النفوس متعشقة فى ذلك)** أى: شاهدت بعين البصيرة، والنفوس جمع نفس، تطلق على الروح والدم وذات الشىء وسيأتى الكلام عليها إن شاء الله تعالى وقوله: **(متعشقة فى ذلك)** التعشق تكلف العشق، والمراد هنا المبالغة فيه بقرينة ما بعده أى قوله: راغبة إلخ وقوله: فى ذلك أى: فى ملازمة الأوراد **(راغبة فيما)** أى: فى الذى **(هنالك)** أى: من تنوير القلوب وإحيائها بما يفيض الله عليها حال التلاوة للأوراد **(عنَّ لى)** جواب لما، أى ظهر لى **(أن أضع للإخوان)** أى: أؤلف والإخوان جمع أخ، وتجمع أيضا على إخوة، لكن أكثر ما يستعمل الإخوان فى الأصدقاء، والإخوة فى أخوة الولادة، والمراد هنا: الإخوان الداخلون تحت الأخوة الخاصة الحاصلة بالمواثيق والعهود، ويلزم كل من كان داخلا مع آخر فى عهد أن يعينه بحاله وماله لينهض الأعلى منهما الضعيف، وإذا آخى الشيخ بين اثنين منهما على الخصوص تأكد ذلك عليهما، وقد ثبت أنه ﷺ آخى بين كثير من أصحابه فآخى بين الشيخين - رضى الله عنهما - فانتفع عمر بصحبة أبى بكر، وآخى بين سعيد ابن ربيع الأنصارى وعبد الرحمن بن عوف، ولما آخى بينهما عرض سعد على عبد الرحمن أن يناصفه فى أهله وماله، وكان له زوجتان فقال عبد الرحمن - رضى الله تعالى عنه -: بارك الله لك فى أهلك ومالك، وقد ورد فى فضل الأخوة فى الله تعالى أحاديث كثيرة، قال ﷺ: «**ما تحابَّ رجلان فى الله تعالى إلا رفع الله لهما كرسياً فأجلسهما عليه حتى يفرغ**

الحساب»، وقال ﷺ: «**استكثروا من الإخوان؛ فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة**»، ولها آداب كثيرة واردة فى الأحاديث، قال ﷺ: «**إذا آخيت رجلاً فاسأله عن اسمه واسم أبيه، فإن كان غائبا حفظته، وإن كان مريضا عدته، وإن مات شهدته**»، وفى رواية: «**أذا أحب أحدكم أخاه فى الله تعالى فليعلمه**»، فإنه أبقى فى الألفة وأثبت فى المودة التى حث عليها الشارع بقوله ﷺ: «**رأس العقل بعد الإيمان التودد إلى الناس، وإن أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة، وإن أهل المنكر فى الدنيا هم أهل المنكر فى الآخرة، وإن صنائع المعروف تقى مصارع السوء**»، وفى الحديث أيضا: «**إن من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المسلم**»، وهذا صادق بزيارته، وتودده، وصنع المعروف معه، وإعانته على قضاء مصالحه، ورد غيبته لقوله ﷺ: «**من رد عن عرض أخيه بالغيب رد الله النار عن وجهه يوم القيامة**» أخرجه الترمذى وحسنه، فينبغى للمسلم أن يشتغل بعيب نفسه عن عيب أخيه وأسرار العبيد يعلمها الله تعالى، فربما يكون ظاهره لنا غير مُرْض وباطنه بينه وبين الله مُرْض، وعن الحافظ بن حجر عن أنس – رضى الله تعالى عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**طوبى لمن شغلته عيوبه عن عيوب الناس**»، قال: أخرجه البزار بإسناد حسن. قال العارف الشعرانى – رضى الله تعالى عنه – فى كتابه المسمى «بالأنوار القدسية»: وفى الحديث: «**من نظر إلى أخيه نظرة ود غفر له**»، قال: ومن حق الأخ على الأخ إذا اطلع على عيب فيه أن يتهم نفسه فى ذلك، ويتأمل فى عيب نفسه لأن المسلم مرآة المسلم، ولا يرى الإنسان فى المرآة إلاصورة نفسه، فمن حق الأخ على أخيه أن يحمل ما يراه منه على وجه من التأويل جميل ما أمكن. قال العارف الشعرانى: فإن لم يجد تأويلا رجع

على نفسه باللوم، أى: ويكتفى بعيب نفسه. وفى وصية سيدى إبراهيم الدسوقى - رضى الله تعالى عنه -: لا تنكروا على أحد من إخوانكم حاله ولا لباسه ولا طعامه ولا شرابه، فإن الإنكار يورث الوحشة والانقطاع عن الله تعالى إلا إن ارتكب محظورا صرحت الشريعة المطهرة بتحريمه، فيجب عليك أيها المؤمن النهى عنه على قدر طاقتك برده عن ظلمه إن كان ظالما وغير ذلك، اهـ. وفى (البخارى) عن أنس - رضى الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنصر أخاك ظالما أو مظلوماً**»، قالوا: يا رسول الله هذا ننصره مظلوما، فكيف ننصره ظالما؟ قال: «**تأخذ فوق يديه** » أى تكفه عن ظلمه، وهذا نصر بالنسبة لعاقبته من ترتب الخير على ذلك، وعن أبى موسى -رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**»، وشبك أصابعه ﷺ، وللعارف الشعرانى فى كتاب "الأنوار" قال: وفى الحديث: «**من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا الموءودة من قبرها**» وهى المقتولة من الإناث خوف الفقر من كثرة العيال كما كان يفعله الجاهلية فى الزمن الماضى، وهى التى قال الله فى حقها: ﴿**وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ**﴾ [التكوير:٨-٩]، قال الشعرانى - رضى الله عنه -: من لم يستر على إخوانه ما يراه منهم من الهفوات فقد فتح على نفسه باب كشف عورته بقدر ما أظهر من هفواتهم. قال: فإذا رأيتم أحدا من اخوانكم على معصية لم يتجاهر بها فاستروه، فإن تجاهر بها فازجروه بينكم، فإن لم ينزجر فازجروه بين الناس مصلحة له، فلعله يرجع وينزجر، ولا تنظر إليه بعين الاحتقار فتعاقب بالذل والخذلان. قال العارف الشعرانى: وقد صحب رجل أبا إسحق سيدى ابراهيم بن أدهم

فلما أراد أن يفارقه قال: أى سيدى إبراهيم "المذكور" لو نبهتنى على ما فى من العيب، فقال: يا أخى لم أر فيك عيبا لأنى لاحظتك بعين الوداد فسل غيرى عن عيبك. قال: ومن حق الأخ على الأخ أن يرى نفسه دونه على الدوام، قال العارف المذكور: ومن كلام الشيخ الشاذلى - رضى الله تعالى عنه - لما تعلق علم الله تعالى أن كل نبات لا ينبت ولا يثمر إلا بجعله تحت الأرض تعلوه الأرجل جعلت الأخيار نفوسهم أرضا لكل الإخوان، ولذلك قال: إن من الفتوة خدمة الإخوان لا سيما إذا مرضوا ولذلك قال أبو المواهب الشاذلى - قدس سره -: من تعزز على خدمة إخوانه أورثه الله ذلاً لا محيص عنه أبداً، ومن خدم إخوانه أعطى من خالص أعمالهم، لا سيما إذا كان المخدوم من العلماء العاملين أو من حملة كتاب الله تعالى العزيز ومن أولاده ﷺ، قال: وفى وصية الإمام النووى: لا تستحقر أحداً أبداً من إخوانك، فإن العاقبة منطوية، والعبد لا يدرى بم يختم له، فإذا رأيت عاصياً فلا تعجب بنفسك عليه، فربما كان فى علم الله أعلى منك مقاما، ويصير يشفع فيك يوم القيامة، وإذا رأيت صغيراً فاحكم بأنه خير منك باعتبار أنه أقل منك ذنبا، وإذا رأيت من هو أكبر منك سناً فاحكم بأنه خير منك باعتبار أنه أقدم منك هجرة فى الإسلام وإذا رأيت كافراً فلا تقطع له بالنار لاحتمال أنه يسلم ويموت مسلماً وقال العارف أيضا: وينبغى لك إذا قدم عليك أخوك المؤمن أن تتلقاه بالترحيب وطلاقة الوجه، وتأخذه بالعناق إن كان من الرجال وتفرش له شيئاً يقيه من التراب. قال: وفى الحديث عن النبى ﷺ: «**إذا زار أحدكم أخاه فألقى له شيئاً يقيه من التراب وقاه الله عذاب النار**» وإذا كنت فى مجلس مزدحم فينبغى لك أن تتزحزح له حتى يجلس. قال العارف أيضاً: وفى الحديث: «**إن للمسلم حقاً إذا رآه أخوه أن يتزحزح**

له»، قال العراف: لأن ذلك مما يزيد فى تقوية المـودة والألفـة. وفـى «البدر المنير» للعارف أيضا عن النبى ﷺ أنه قال: «**إن للقـادم دهشـة فتلقوه بالترحيب**» قال: وإذا ناديت أخاك فعظمه بما يثبت المـودة، وإذا كان حاضراً أثن عليه أيضا بما من الله عليه به فى وجهه حيث علمـت أنه لا يضره المدح، ولذلك قال السيد الكامل ﷺ: «**إذا مُدح المؤمن فـى وجهه ربا الإيمان فى قلبه**» قال لأن المؤمن الكامل إذا مـدح شـكر الله تعالى على ستر عيوبه وإظهار محاسنه فيزيد إيمانه بذلك، بخلاف ما إذا خفت عليه أن يعجب بذلك ويتكبر فالأسلم فى حقه الإمساك، وهذا محمل قوله ﷺ: «**من مُدح فى وجهه ذُبح بغير سكين**»، وذلك لما يـرى مـن محاسن نفسه ويغفل عن عيوبه فيرى نفسه أعظم من غيرها. قال العارف أيضا: ومن حق الأخ على الأخ أيضا أن يصافحه كلما لقيه بنية التبـرك وامتثال الأمر. قال العارف: وقد روى الطبرانى: «**إذا تصافح المسلمان لن تفترق أكفهما حتى يغفر لهمـا**»، قال: ينبغى لهما أن يصليا ويسـلما على نبيهما ﷺ، وإذا رأيت من أخيك مالا ينبغى له فعله شرعاً فلا تكـره ذاته إنما تنكر على أفعاله، فاحذر يا أخى من ذلك، فإن الحق تعالى مـا أمرك أن تحتقر أحداً من خلقه، وإنما أمرك أن تنكر ما اسـتطعت علـى أفعاله المخالفة للشرع لا غير، فتأمر العاصى وتنهاه وأنت غير محتقر له وتأمل قوله ﷺفى شجرة الثوم: «**إنها شجرة أكره ريحها**»، فما كره ذاتها وإنما كره ريحها الذى هو بعض صفاتها، قال العـارف: والغالـب فـى الناس بغضهم لذات من سمعوا أنه وقع فى محرم، بـل يكرهـون أولاده فضلا عن ذاته ويحقرونه، وربما يزعم بعضهم أنه مصيب فى احتقـاره له إذ من الجهل المحض احتقار عبد اعتنى الحق بإخراجه من العدم إلى الوجود، فاحذر من ذلك، اهـ. وفى «المواهب اللدنية»: ومن إشـفاقه ﷺ

امره لأصحابه أن يستغفروا للمحدود ويترحموا عليه لما سمعهم يسبونه وقال: «**قولوا اللهم اغفر له، اللهم ارحمه**»، وقال لهم فى رجل كثيراً ما يؤتى به سكران بعد تحريم الخمر، فلعنوه مرة ، فقال: «**لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله**»، قال صاحب «المواهب»، فأظهر لهم مكتوم قلبه لما رفضوه بظاهر فعله. قال: إنما ينظر الله إلى القلوب، فينبغى لك إذا بلغك عن أحد من إخوانك ما يشينه شرعا التأويل، فإن لم تجد له محملا حسنا فأمسك لسانك عنه، واحذر من الوقوع فى عرضه، فربما وقع الصلح معه بعد ذلك فيتذكر ما وقع منك فيتكدر عليكما صفاء المودة لا سيما إن كان سبق له عليك يدٌ من صنائع المعروف، فلا تكافئه بوقوع زلة منه بالوقوع فى عرضه، وهذا يشير له قوله عليه الصلاة والسلام: «**أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما**»، فإذا قدر الله عليك الوقوع فى شىء فى حقه فبادر إلى الاستغفار والوقوف عند النعال، وإظهار الندم لأخيك معتذراً إليه معترفا بذنبك عنده مستسمحا له، ويطلب منه أيضا قبول العذر لقوله ﷺ: «**من اعتذر إليه أخوه بمعذرة فلم يقبلها كان عليه من الخطيئة مثل صاحب مُكْس**»، وروى الترمذى وغيره: «**من أتاه أخوه متنصلا من ذنبه فليقبل إعذاره محقا كان أو مبطلا فإن لم يقبل لم يرد على الحوض يوم القيامة**» أى فعليك يا أخى من تكثير الإخوان والصفح عن مزالهم إذا أردت الفيض من الرحمن جل شأنه، قال العارف المذكور: روى عنه ﷺ : «**نظر الرجل لأخيه على شوق خير من اعتكاف سنة فى مسجدى هذا**»، وروى الحاكم وغيره عنه عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى: «**المتحابون فى الله على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون**»، وعن الحسن

البصرى: من أحب رجلا صالحا فكأنما أحب الله عز وجل، وعن الإمام الشافعى - رضى الله تعالى عنه - أنه قال: لولا صحبة الأخيار ومناجاة الحق بالأسحار ما أحببت البقاء بهذا الدار، وقال الشافعى أيضـا: لقـاء الإخوان ليس يعدله عندى شىء، وقال بعض العارفين: أوثـق أعمـالى عندى حب الرجل الصالح، وقال الشـيخ الرفـاعى - قـدس سـره -: مصاحبة أهل التقوى نعمة عظيمة من نعم الله على العبد، وقال سيدى أبو السعود - رضى الله تعالى عنه -: من أراد أن يعطى الدرجة القصـوى فليصاحب فى الله، ومن أحب أن تصرف عنه مرارة الموقف فليطعم أخا فى الله من الحلوى، قال العارف الشعرانى: وفى الحديث: من وافق مـن أخيه شهوة غفر له، وقال: وما اشتهر المؤمن حلوى يحب الحلوى، قـال الحافظ السخاوى: لا أصل له وإنما روى البيهقى والديلمى عن علـى - رضى الله تعالى عنه - مرفوعا: قلب المؤمن حلوى يحب الحلاوة، قـال العارف: ويؤيده ما رواه الطبرانى أن رسول الله ﷺ كان يحـب الحلـوا والعسل ويقول: «**من ألقم أخاه المؤمن لقمة حلوا لا يرجو بها ثناءه ولا يخاف بها شره ولا يريد بها إلا وجه الله تعالى صـرف الله عنـه بهـا مرارة الموقف يوم القيامة**»، وقال الشيخ الشاذلى: عليك بصحبة الفقراء فإنه لو لم يكن إلا أخذهم بيدك يوم القيامة مع ما يحملون عن أصـحابهم فى دار الدنيا من المصائب لكان فى ذلك كفاية، فينبغى يـا أخـى حـب الإخوان لله لقوله ﷺ: «**إن فى الجنة غرفا يرى ظاهرهـا مـن باطنهـا وباطنها من ظاهرها أعـدها الله للمتحـابين فيـه والمتـزاورين فيـه والمتباذلين فيه**»، قال العارف: وروى عنه ﷺ أنه قـال: «**ليبعـثن الله أقواما يوم القيامة فى وجوههم النور على منابر اللؤلؤ يغبطهم النـاس ليسوا بأنبياء ولا شهداء**» قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «**المتحـابون**

فى الله من قبائل شتى وبلاد شتى يجتمعــون علــى ذكــر الله تعــالى يذكرونه»، قال: روى أيضا: «**إن لله عباداً ليسوا بأنبيــاء ولا شــهداء يغبطهم النبيون والشهداء على منازلهم وقربهم من الله**» قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «**ناس من بلدان شتى لم تصل بينهم أرحام تحابوا فــى الله وتصافحوا يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور قدام الرحمن جل شأنه فيجلسهم**»، قال سيدى على الخواص: من أراد أن يكمل إيمانه وأن يحسن ظنه فعليه بصحبة الأخيار، وقال العــارف الشــعرانى: وحكــى اليافعى عن بعض الأولياء أنه قال: رأيت القطب على عجلة من ذهــب والملائكة يجرونها فى الهواء بسلاسل من ذهب فقلــت لــه: إلــى أيــن تمضى؟ قال: إلى أخ من أخوانى اشتقت إليه، فقلت له: لو ســألت الله أن يسوقه إليك؟ فقال: وأين ثواب الزيارة يا أخى. واعلم أنه ينبغى لــك أن تتخلق بآداب الزيارة قبل التوجه ليعود إليك المدد ممن زرته من الأخيار وتنتفع بتلك الزيارة، قال الشعرانى فى «الأنوار القدسية»: وهى التشــوق إلى المزور، والجزم بفضله وطهارته من المعاصى المعنويــة والحســية والتماس بركة دعائه، وخلوص النية بأن يكون الباعــث علــى الزيــارة امتثال أمر الشارع وحفظ اللسان من الوقوع فى أعراض الناس وإن كان هذا عاماً، فإن خلت الزيارة عن هذه الآداب فلا نفع بها ولا ثواب بل هى تكلف ونفاق، وإذا زرته بحسن القصد وحسن الأدب والتوسل به إلى ربك إن كان من الموتى وكان من أهل الله فإنه لابد لك من المدد الأوفر، فإن الله سبحانه وتعالى قد وكل بقبــور الأكــابر ملائكــة يقضــون حــوائج الزائرين؛ لأن أهل الله محل الكرم والسخاء أحياء وأمواتا، ومــن دخــل بيت كريم لا يرجع من غير مدد، لا سيما إذا كانوا من أهــل البيــت – رضى الله عنهم –، قال العارف المذكور فى «الأنوار»: عليك أيها الأخ

المؤمن بزيارة أهل بيت النبوة المدفونين بمصر، وقدمهم على زيارة كل ولى فى مصر، وكن على عكس ما عليه العامة من اعتنائهم بزيارة بعض المجاذيب والأولياء ولا يعتنون بزيارة أهل بيت النبوة مثل اعتنائهم بمن ذكر.

قال العارف المذكور: وهذا من فرط جهلهم، قال العارف: وقد صحح أهل الكشف أن السيدة زينب - رضى الله تعالى عنها - بنت الإمام على - كرم الله وجهه - هى المدفونة بقناطر السباع بلا شك، وأن أختها السيدة رقية فى المشهد القريب من دار الخليفة أمير المؤمنين بالقرب من جامع ابن طولون ومعها جماعة من أهل البيت، وأن السيدة سكينة بنت السيد الحسين - رضى الله عنه - فى الزاوية التى عند الدرب قريباً من مشهد عمتها ومن دار الخليفة، وأن السيدة نفيسة - رضى الله عنها - فى هذا المكان، أى المحاذى للقرافة بقرب الخلاء وأن السيدة عائشة - رضى الله عنها - بنت السيد جعفر الصادق فى المسجد الذى له المنارة القصيرة على يسار من يريد الخروج من الرميلة إلى باب القرافة، وأن السيد محمداً الأنور عم السيدة نفيسة - رضى الله عنه - فى المشهد القريب من جامع ابن طولون مما يلى دار الخليفة فى الزاوية التى هناك، وأن أخاه السيد حسن والد السيدة نفيسة فى التربة المشهورة القريبة من جامع عمرو، وأن الإمام زين العابدين والسيد زيد الأبلج - رضى الله تعالى عنهما - فى القبة التى بين التل قريبا من مجراة القلعة، وأن السيد إبراهيم ابن السيد زيد الأبلج فى المسجد الخارج من ناحية المطرية مما يلى الخانكة وهو الذى اختفى من أجله الإمام مالك حياء منه، قال الشعرانى: وأن رأس السيد الحسين فى القبر المعروف فى المشهد قريباً من خان الخليلى بلا شك، وضعها طلائع بن رزيك، كان

نائبا فى مصر ووضعها فى كيس أخضر فى حرير أخضر على كرسى من خشب الأبنوس فرش تحتها المسك والطيب ومشى معها هو وعسكره لما جاءت من بلاد العجم، وأن السيدة فاطمة النبوية بنت الإمام الحسين السبط – رضى الله عنه – فهى مدفونة بالدرب الأحمر. انتهى لفظ العارف الشعرانى فى كتابه «الأنوار» فعليك يا أخى بزيارة أهل بيته عليه الصلاة والسلام قاصداً بتلك الزيارة الصلة والمودة لسيد ولد عدنان كما أمر الله عباده بذلك على لسان نبيه: **﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾** [الشورى:٢٣]، أى على تبليغ الرسالة أجرا إلا المودة فى القربى ويشير الى هذا المعنى العارف بالله ابن العربى – قدس سره – بقوله:

أرى حب أهل البيت عندى فريضة على رغم أهل البعد يورثنى القربا
فما اختار خير الخلق منا جزاءه على هديه إلا المودة فى القربى

بل وزيارة الأحباب أحياء وأمواتا مستحبة أيضا، لكن اعترى الإخوان فى هذا الزمان خلل كثير فصاروا يبغضون إخوانهم، وقد ورد فى الحديث «**أن الله تعالى يبغض الذين يكثرون البغضاء لإخوانهم فى صدورهم فإذا لقوهم تخلقوا لهم**» فنسأل الله العظيم من فيضه العميم بجاه نبيه أفضل المرسلين أن يمنحنا حب الصالحين وأهل بيت رسول الله أجمعين، وأن يحشرنا فى زمرتهم فى أعلى عليين مع سيد العالمين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم آمين، ولنرجع لما نحن فيه فنقول: قال المصنف: **(وردا)** مفعول أضع **(يقتبسون)** أى يستضيئون **(من نوره)** أى بسبب ملازمتهم، والنور هو الضياء، قال فى «المختار»: النور الضياء والجمع أنوار واستنار بمعنى أضاء اهـ. وقال السيد الشريف فى

«التعاريف»: والنور كيفية تـدركها الباصـرة أولاً وبواسـطتها سـائر المبصرات اهـ. والنور قسمان: قديم وهو نور الحق تعالى، فإنه قد ورد تسميته تعالى بالنور فى قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ [النور:٣٥]، ومن أسمائه تعالى: النور، وحادث، وهـو نـور الحـوادث وأتمها نور نبينا ﷺ لاقتباس الأنوار منه، ففى حديث عبد الرازق بسـنده عن جابر – رضى الله تعالى عنه – قال: سألت رسول الله ﷺ عـن أول شىء خلقه الله تعالى قبل الأشياء قال: «**يا جابر إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعـالى ولم يكن فى ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جنى ولا إنسي، فلما أراد الله تعالى أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول القلـم ومن الثانى اللوح، ومن الثالث العرش، ثم قسم الجزء الرابـع أربعـة أجزاء فخلق من الأول حملة العرش، ومن الثانى الكرسى، ومن الثالـث باقى الملائكة، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول السـموات ومن الثانى الأرضين، ومن الثالث الجنة والنار، ثم قسم الرابع أربعـة أجزاء فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين، ومن الثانى نور قلـوبهم وهى المعرفة بالله، ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد لا إلـه إلا الله محمد رسول الله**»، الحديث وبقيته فى شرح السعد على البـردة ونـص عبارته عند قولها:

وكل آى أتى الرسل الكرام بها إلخ، والأصل فى إثبات هذا المرام ما رواه جابر الأنصارى عن النبى ﷺ فقال: سألت رسـول الله ﷺ عـن أول شىء خلقه الله تعالى قبل الأشياء فقال: «**هو نور نبيـك يـا جـابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير وخلق بعده كل شىء، وحين خلقه أقامـه**

قدامه فى مقام القرب اثنى عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام: فخلق العرش من قسم والكرسى من قسم وحملة العرش وخزنة الكرسى من قسم، وأقام القسم الرابع فى مقام الحب اثنى عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام: فخلق القلم من قسم واللوح من قسم والجنة والنار من قسم، وأقام القسم الرابع فى مقام الخوف اثنى عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام: فخلق الملائكة من قسم وخلق الشمس من قسم وخلق القمر والكواكب من قسم ،وأقام الرابع فى مقام الرجاء اثنى عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام فخلق العقل من قسم والعلم والحلم من قسم والعصمة والتوفيق من قسم وأقام الرابع فى مقام الحياء اثنى عشر ألف سنة، ثم نظر إليه فترشح عرقا فقطرمنه مائة ألف وعشرون ألفا وأربعة آلاف قطرة فخلق الله تعالى من كل قطرة نبيا أولا، ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم نور أرواح الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة، فالعرش والكرسى من نورى، والكروبيون والروحانيون من الملائكة وملائكة السموات السبع من نورى، والجنة وما فيهَا من النعيم من نورى، والشمس والكواكب من نورى، والعقل والحلم والعلم والتوفيق من نورى، وأرواح الأنبياء والرسل من نورى، والشهداء والسعداء والصالحون من نتائج نورى، ثم خلق الله اثنى عشر حجاباً فأقام النور وهو الجزء الرابع فى كل حجاب ألف سنة، وهى مقامات: العبودية وهى حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرأفة والرحمة والحلم والعلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين فعبد الله ذلك النور فى كل حجاب ألف سنة فلما خرج النور من الحجب ركبه الله فى الأرض فكان يضىء بين المشرق والمغرب كالسراج فى الليل المظلم، ثم خلق الله آدم من الأرض

وركب فيه النور فى جبهته ثم انتقل منه إلى شيث ولده وكان ينتقل من طاهر إلى ظاهر ومن طيب إلى طيب إلى أن وصل إلى صلب عبد الله ابن عبد المطلب ومنه إلى رحم آمنة، ثم أخرجنى إلى الدنيا فجعلنى سيد المرسلين وخاتم النبيين ورحمة العالمين وقائد الغر المحجلين، هذا كان بدء نور نبيك يا جابر» فثبت أن المكونات تكونت بإفاضة فيض النبى ﷺ الذى هو المستفيض من الفيض الأول، فوجود الأنبياء، وكل أى أتى الرسل الكرام بها إنما هى من نوره ﷺ، هكذا قرره السعد، وقوله: قسم أى استخرج واستمد منه، وليس المراد أنه جزئ أجزاء والله أعلم اهـ. وقوله فى حديث جابر: إن الله خلق نور نبيك من نوره، قال شيخنا الباجورى – رضى الله عنه – فى حاشيته على مولد ابن حجر: فإن قلت: إن كان المراد بهذا النور نوراً قائما بذاته تعالى فلا يخلو الأمر إما أن يكون قديما أو حادثا، فإن كان الأول لزم خلق الحادث من القديم، وإن كان الثانى لزم قيام الحادث بالقديم، وكلاهما باطل، وإن كان المراد نوراً غير قائم بذاته أوجده الله تعالى ثم أوجد هذه الحقيقة منه نافى أصل الكلام والوضع من أنها قبل كل شيء، قال: ولم تزل هذه العبارة مشكلة والذى ارتضاه شيخنا الفضالى فى حلها أن "من" فى قوله "من نوره" بمعنى الباء، وإضافة نور إلى الضمير للبيان، والمعنى: أوجد هذه الحقيقة بنور هو هو أى بذاته، وفيه أنه لا خصوصية، وأُجيب بأن المراد بذاته من غير مادة فهى مخترعة وأما غيرها من بقية العالم فهو وإن خلقه بذاته لكن من مادة هى تلك الحقيقة وهذا غاية ما يقال، ولا يسأل عما يفعل، فلا يقال لم فعل كذا؟ وهلا اخترع الجميع من أول الأمر كذلك وقوله أيضاً فى حديث جابر: "قبل كل شيء من المخلوقات" استشكل ذلك بأنه إن بنينا على أن تلك الحقيقة جوهر كما هو التحقيق لزم احتياجه

للمكان، وهو إما متقدم أو مقارن، وعلى كلٍّ يلزم أنها ليست قبل كل شيء من المخلوقات، وأجيب بأنها من الجواهر المجردة التى لا تحتاج لمكان على أن المكان أمره موهوم عند أهل السنة، فهو أمر متخيل فقط وإن بنينا على المرجوح من أنها نور مقابل للظلمة لزم احتياجها لمحل تقوم به؛ لأن النور عرض على هذا، وهو إما متقدم أو مقارن، وعلى كلٍّ فيلزم أنها ليست قبل كل شيء، وأجيب بأنها عرض ولا تحتاج لمحل من باب خرق العادة اهـ. فإن قيل: إذا كان ﷺ نوراً ممدداً لسائر الأشياء فكيف يطلب سريان النور فيه بقوله: «**اللهم اجعل لى نورا فى سمعى ونورا فى بصرى**» الحديث؟ وأجيب بأن قصده عليه الصلاة والسلام بذلك تعليم الأمة **(فى حندس الأوهام)** الحندس بالكسر: الليل المظلم والظلمة، وجمعه حنادس، قاله فى "القاموس"، والأوهام: جمع وهم، قال فى "القاموس": الوهم: من خطرات القلب وجمعه أوهام اهـ. والإضافة للبيان أى فى ظلمة هى الأوهام، أى خطرات القلوب القاطعة عن الله تعالى، والمراد أن هذا الورد بسبب ملازمته يحصل لهم نور يزيل عنهم ما يحجب قلوبهم عن الله تعالى فإن الخروج من ظلمات الطبائع والمألوفات لا يكون إلا بملازمة ذكر الله تعالى، إذ هو الرافع لحجب القلوب **(ويتلقون)** أى يستقبلون ويأخذون **(من تغريد شحوره)** التغريد: التطريب فى الصوت والغناء، يقال: غردَ الطائر من باب طَرِبَ فهو غرد، وغرَّد تغريدا وتغرد تغريدا، قاله فى "المختار" اهـ. والشحور كقسور طائر قاله فى القاموس اهـ. وقال فيه أيضاً: القسورة: الأسد كالقسورة ويؤخذ منه أنه بفتح الشين، والمشهور فيه شحرور، قال الشيخ داود الأنطاكى فى "تذكرته": شحرور بالضم ضرب من العصافير إلا أنه أسود طويل العنق، وأسود ما فيه فمه، وهو مألوف يحبس لحسن صوته

اهـ. **(غرائب تدق عن الأفهام)** أى معانٍ وأسرار غريبة، أى تغربت عن وطنها لدقتها وغموضها، عن الأفهام: جمع فهم، قال فى "المصباح": فهمته فهماً من باب تعب، وتسكين المصدر لغة، والفهم: هيئة تحصل للنفس فتحقق بها ما يحسن، وهى المرادة هنا، وفى كلامه استعارة بالكناية حيث شبه مجموع الورد ببستان فيه أطيار مغنية والشحور تخييل مستعار للألفاظ والتغريد ترشيح، وإضافته للشحور من إضافته الصفة للموصوف بعد التأويل، والمعنى: أنهم يتلقون ويأخذون من ألفاظ الورد الشبيهة بالأطيار المغنية معانى وأسراراً غريبة تخفى عن الأفهام **(فشرعت)** معطوف على "عنّ"، وشرع فى الأمر: خاض، وبابه خضع **(فى ذلك)** أى فى وضع الورد وتأليفه حال كونى **(معتمداً)** أى متوكلا **(على السيد)** وهو الله تعالى، وإطلاقه عليه مأخوذ من حديث الإمام أحمد وأبى داود عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«السيد الله»** ونقل عن الإمام مالك أنه قال بعدم جواز إطلاقه عليه تعالى وكأن هذا الحديث لم يصح عنده والصحيح جواز إطلاقه عليه وعلى غيره، وقوله **(الملك)** تفسير له، فإن ذلك من جملة معانيه، ويطلق أيضا على الحليم الذى لا يستفزه الغضب وعلى الكريم، وعلى الزوج كما فى قوله تعالى: **﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾** [يوسف:٢٥]، إلى غير ذلك من المعانى **(فأقول فى ترجمته)** قال فى "المختار": وترجم كلامه إذا فسره بلسان آخر، ومنه الترجمان وجمعه تراجم كزعفران وزعافر وضم الجيم لغة، وضم التاء والجيم لغة اهـ. ويقال ترجم الرجلَ: إذا ذكر مناقبه، وهو المراد هنا لأنه ذكر مناقب هذا الورد حيث ذكر سبب إنشائه ومحل الإنشاء، والمنشئ، وأنه نافع لمن لازمه إلى غير ذلك **(راجياً)** الرجاء بمعنى الأمل، وهو تعلق

القلب بمرغوب فى حصوله مع الأخذ فى الأسباب، فإن لم يأخذ فيها كان طمعا، قال بعضهم: والرجاء من أضعف منازل القوم لأنه انتظار غائب وطلب مفقود، ففيه اشتغال القلب بما قد يكون أو لا يكون، وليس من شأن العارفين ذلك، بل هم مشتغلون فى هم وقتهم الحاضر، لا ينتظرون لغائب ولا يحزنون على ذاهب، ولذا قيل: الصوفى ابن وقته، وأيضا: فى الانتظار معارضة الأقدار، واعترض من وجه؛ لأنه إذا لم يوجد ذلك المفقود حصل فى النفس نوع اعتراض على القدر من حيث لا يشعر وذلك جهل، ولذلك قال ابن عطاء الله فى "حكمه" - رضى الله تعالى عنه -: ما ترك من الجهل شيئا مَنْ أراد أن يحدث فى الوقت غير ما أظهره الله فيه اهـ. وقوله راجيا: حال، أى مؤملا كل خير **(من فيض فضله)** من إضافة الصفة للموصوف بعد التأويل أى من خيره الكثير، إذ الفيض فى الأصل: الماء الكثير: ثم أطلق وأريد منه مطلق الكثرة، قال فى "المختار": ونهر فياض بالتشديد أى كثير الماء اهـ. والفضل: الخير قال فى "المصباح": والفضل والفضيلة: الخير، وهو خلاف النقيصة اهـ. **(ومنته)** أى إنعامه وإحسانه **(هذا)** الإشارة للألفاظ المخصوصة باعتبار دلالتها على المعانى المخصوصة على المختار فى ذلك من احتمالات مشهورة أبداها السيد الجرجانى سواء تقدّمت الخطبة على التأليف أو تأخرت **(ورد يتلى فى السحر)** أى يقرأ فى السحر وهو قبيل الفجر وإنما خصه المصنف فى هذا الوقت لأنه أفضل أوقات الليل لكثرة التجليات الإلهية فيه **(نافع)** صفة لورد، أى: لا ضرر فيه على تاليه؛ إذ النفع ضد الضرّ بخلاف بعض الأوراد فإنه قد يضرّ إذا لم يكن لصاحبه انتساب تام لأهل الطريق أو لم يكن التالى مُجَازاً به، وأما هذا الورد فقد وقع من المصنف الإذن العام بقراءته لكل أحد، وأجاز به كل من قرأه

طلبا لتعدى النفع لجميع المسلمين، وقد قال العارف بالله الشيخ الشرقاوى فى شرحه لهذا الورد: رأيت الأستاذ سيدى مصطفى البكرى فى المنام وطلبت منه الإجازة ببعض الأسماء فأجازنى وانصرفت، ثم رجعت له وقلت له: أجزنى بورد السحر، فغضب علىّ وقال: ورد السحر لا يحتاج إلى إجازة أعنى خاصة لوقوع الإجازة العامة به **(إن شاء الله تعالى)** أى أن أراد ذلك، وأتى بهذه الجملة امتثالا لقوله تعالى: **﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾** [الكهف:٢٣-٢٤]، وتعالى: تنزه وتقدس عن كل ما لا يليق به **(لمن واظب عليه)** أى داوم على تلاوته ولزمها لا سيما **(مع التدبر)** أى التأمّل والتفهم **(لمعانيه)** أى ما يراد من اللفظ؛ فإنه إذا فهم التالى المعنى ازداد خشوعاً وحصل له الثواب التام وقوله: **(والتفهم لمبانيه)** أى ألفاظه على تقدير مضاف، أى: لمعانى مبانيه وحينئذ يكون هذا بمعنى ما قبله والخطب محل إطناب، والمبانى جمع مبنى على وزن معنى، وهو ما يبنى عليه غيره كالأساس، وحينئذ فتكون الألفاظ أصلاً لأنها الحاملة للمعانى، فهى أجسام والمعانى أرواح وكلما لطف الجسم لطفت الروح، فهى وإن كانت محل الفيوضات لكن للجسم فخر عليها من حيث إنه مولد لها، وقد قال سيدى محيى الدين بن العربى:

وما الفخر إلا للجسوم لأنها مولدة الأرواح ناهيك من فخر

(فتح به) بالبناء للمفعول، أى لم يأخذه من كلام غيره بل بالإفاضات الإلهية لأن الفتح عند القوم أن لا يأخذ من فتوحات غيره **(على العبد الفقير)** أى المحتاج إلى الله تعالى فى كل أحواله قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ﴾** [فاطر:١٥]، وقال القشيرى -

رحمه الله تعالى -: الفقر شعار الأولياء وحلية الأصفياء، واختيار الحق تعالي لخواصه من الأنبياء، والفقير صفوة الله تعالى من عباده، وموضع أسراره من خلقه، وقال ابن أدهم - رضى الله تعالى عنه -: لو يعلم الملوك ما نحن فيه لقاتلونا عليه بالسيوف اهـ. وبالجملة فالفقر سرّ من أسرار الله تعالى لا يعطيه الله إلا لمن قرّبه منه وليس كل من ادّعاه بلسانه يكون متحققا به فى جنانه، وكل من قنع بمجرّد النسبة أو بلبس الزى دون التحقق به فى باطنه فهو مفلس ناقص الرتبة دنىء الهمة فينبغى لمن جالس الفقراء - أى المتحققين بالفقر الذين صحت لهم مشاهدة الاضطرار للعزيز الغفار - وخالطهم أن يكون عنده مزيد الأدب فى حقهم، وكان سيدى إبراهيم الدسوقى يقول: الفقراء كالملوك فمن لم يعرف أدب الملوك لا ينبغى له مجالستهم؛ لأنه ربما جره عدم احترامهم إلى العطب، اهـ. **(العاجز)** أى الضعيف **(الحقيـر)** يقال حقر الشىء بالضم حقارة: هان قدره فلا يعبأ به فهو حقير، وقوله: **(مصطفى)** علم على المصنف، وهو من أسمائه ﷺ ومعناه: المختار، مأخوذ من الصفوة وهى الخلوص، وأصله مصتفى قلبت تاؤه طاء لمجاورة الصاد، وياؤه ألفا لانفتاح ما قبلها **(ابن كمال الدين)** لقب فى الأصل وضع علماً على والد المصنف، قال العارف بالله الشرقاوى - رضى الله تعالى عنه -: وكان - رضى الله تعالى عنه - عالماً صالحاً، قليل الاختلاط بالناس كثير الأوراد، نشأ متعبداً، مصاحباً للعفة والديانة، وأخذ العلم عن أشياخ كثيرين اهـ. **(ابن على)** علم على جده، قال العارف الشرقاوى: كان صاحب أخلاق مرضية وقلب سليم وممن شهد له بالفضل العارف بالله الشيخ عبد الغنى النابلسى وأخذ طريق النقشبندية عن العارف المحقق الشيخ الكردى اللارى، وطريق الخلوتية عن العارف بالله قره باش على

افندى **(ابن كمال الدين)** لقب وضع علما على والد جدّ المصنف وقال العارف الشرقاوى نقلاً عن الثقات: إنه كان شافعى المذهب تقياً نقياً ديناً ورعا على أثر أسلافه هيناً ليناً لطيف الصفات حسن الخلق والخلق يتقرّب كثيرا بصلة الأرحام ويتودد لقلوب الخواص والعوام **(ابن محيى الدين)** لقب لجد جد المصنف، واسمه عبد القادر بن محمد بدر الدين وكان شافعياً وكان عالما ورعا تقياً نقياً على أثر أجداده – رضى الله عنهم أجمعين – **(الصديقى نسباً)** أى المنسوب إلى أبى بكر الصدّيق – رضى الله تعالى عنه – من جهة النسب، أى: القرابة لا من جهة الطريقة، ونسبة المصنف إلى الصدّيق من جهة آبائه، ومن جهة أمّه السيدة علمة إلى سيدنا الحسين، ومن جهة أم جده أحمد زين الدين الصديقى إلى سيدنا الحسن – رضى الله تعالى عنهم أجمعين – وإنما ذكر الشيخ المصنف نسبه امتثالاً لأمر الشارع قال ﷺ: «**اعرفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم؛ فإنه لا قرب بالرحم إذا قطعت وإن كانت قريبة، ولا بعد بها إذا وصلت وإن كانت بعيدة**»، رواه الطيالسى والحاكم عن ابن عباس، وشرف النسب وإن كان نعمة من نعم الله تعالى يحمد عليها إلا أنه لا ينبغى للمتصف به أن يعجب بنفسه ولا يفاخر بحسبه لقوله ﷺ: «**من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه**» ولأن الناس كلهم من أصل واحد وإنما يتفاوتون بالفضائل، ومما ينسب للإمام على – كرم الله وجهه –:

الناس من جهة التمثيل أكفاء	**أبوهم آدم والأم حوّاء**
فإن يكن لهم من أصلهم نسب	**يفاخرون به فالطين والماء**
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم	**على الهدى لمن استهدى أدلاء**
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه	**والجاهلون لأهل العلم أعداء**

فينبغى للعاقل أن يجتهد فيما يرضى مولاه ويقربه إليه من الأعمال الصالحة ولا يعلق آماله بأصل ولا فصل، فلا يقول كان أبى ولا كان ابنى، قال تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات:١٣] **(الخلوتى طريقة)** أى المنسوب لطريقة السادة الخلوتية، وهى طريقة العارف بالله تعالى الشيخ الجنيد – رضى الله عنه – التى سلكها – أى المصنف – على يد شيخه الشيخ عبد اللطيف الحلبى وأجازه بالإرشاد قبل وفاته بسنتين أو أكثر، ثم بعد وفاته أجازه الشيخ عبد الغنى النابلسى بطريقة القادرية والنقشبندية، ذكره المصنف فى الشرح الكبير للورد **(الحنفىَ مذهباً)** أى المنسوب للإمام المشهور – رضى الله عنه – من جهة اتباعه فى المسائل التى اجتهد فيها واعتقدها **(وكان ذلك)** أى الفتح **(فى أوائل)** بالهمز، وأصله أواول بواوين بينهما ألف فقلبت همزة، جمع أول، وأصله ووّل على وزن فوعل فقلبت الواو الأولى همزة، وأول الشىء مبدأ جزء منه كما أن آخره منتهى جزء منه **(شهر ربيع الأوّل زمان َزيارتنا لبيت المقدس)** ويسمى بالبيت المقدّس أى المطهر، وبيت السلام، وبإيلياء، ومعناه بيت الله الْمقدّس لأن زيارته سنة لقوله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: إلى المسجد الحرام وإلى المسجد الأقصى وإلى مسجدى هذا**»، **(فى سنة ألف ومائة واثنين)** أى فى عام ألف ومائة واثنين **(وعشرين)** ملحق بجمع المذكر السالم، والتاريخ المذكور من الهجرة **(وسميته)** أى الورد **(بالفتح القدسى والكشف الأنسى)** نسبة لحضرة القدس أى الطهارة، لصدور هذا عن تجلى الحق على الشيخ المصنف فى تلك الحضرة أو منسوب لروح القدس وهو جبريل عليه السلام لكونه ممداً له؛ لأن العبد إذا كان روحانى الصفات قدسى الذات صار بينه وبين روح القدس مناسبة، فيمكنه الإمداد منه

بوسايط رقائق تمد منه إليه، وعلامته أن لا يكون فيه ما يخالف الشريعة أو منسوب للبيت المقدس لأن الفتح به عليه كان فيه، والكشف فى اللغة: رفع الحجاب، وفى الاصطلاح: هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعانى الغيبية، والأمور الخفية وجوداًوشهوداً **(والمنهج القريب)** أى الطريق القريب **(إلى لقاء الحبيب)** متعلق بالمنهج، وفيه إشارة إلى أن مَن اشتغل بهذا الورد كان الطريق قريباً عليه، فتسميته بذلك على سبيل المبالغة، ثم يحتمل أن يكون هذا اسماً ثانياً للورد، فتكون الواو بمعنى أو ويحتمل أن يكون ذلك من تمام الاسم، فيكون الاسم مجموع الألفاظ المذكورة **(وكمل فى مجلس لطيف)** أى دقيق يكاد لدقته ألا يتقدر بقدر من الزمان، فإنه كما قال المصنف كان مقدار ساعة زمانية أو فلكية وذلك مدة تسويده، وبعدما سوده فى ورقات صغار بيضه **(وأضفت إليه)** أى ألحقت به **(بعد ذلك)** أى بعد كماله **(قصيدة)** مفعول أضفت **(ميمية)** أى رويها الميم، ولا اعتداد بالالف لأنها للإطلاق، أى إطلاق الصوت ومده **(فتح بها علىّ سابقا)** أى فى الزمن السابق على وضع الورد **(وصلاة على النبى)** هو بالهمزة ودونه، وقوله: **(صلى الله عليه وسلم)** جملة دعائية معنىً خبرية لفظاً **(زدتها)** أى بين الميمية والمنبهجة لتقع بين صلاتين فتكون مقبولة، ولأجل الإكثار من ذكره ﷺ ولذا لم يكتف بالصلاة التى بعد تمام المنبهجة التى يفتتح بها الذكر، وليس مراده الصلوات التى فى آخر الميمية أو فى آخر المنبهجة لأنه لم يزدها إلا بعد تمام الورد بمدة طويلة، ولذا لم يتكلم عليها فى شروحه **(الآن)** أى فى هذا الوقت الحاضر لديه **(وقصيدتى)** عطف على قوله: قصيدة **(التى سميتها سابقا)** أى قبل الفتح بهذا الورد بسنتين أو أكثر **(بالمنبهجة)** أى كثيرة السرور لقارئها لما يراه من الإمدادات الإلهية، وكيف لا تكون كذلك وقد

قال العارف الشرقاوى فى شرحه للورد: إن المصنف رأى سيد الخلق عليه الصلاة والسلام فى منام طويل من جملته أنه قال له: اقرأ قصيدة الغزالى، تعريفها: الشدة أودت بالمهج يا رب فعجل بالفرج.

ثم قال له ﷺ: وزِد فيها ثلاثة أبيات، فقال المصنف - رضى الله عنه -: على الرأس والعين يا رسول الله، ثم مشى ﷺ فتبعه وقال: يا رسول الله إنى عملت قصيدة على وزن قصيدة الغزالى، وقد ذكرتها آخر ورد السحر فقلت فيها: بالذات بسر السر بمن، وقرأ عليه إلى قوله: بمحمد من جا بالبلج، فقال ﷺ للمصنف: من أين لك هذا المدد؟ فقال: منك يا رسول الله، قال ﷺ: نعم **(فى الطريقة المنبلجة)** أى التى يسلك بها تاليها فى الطريقة المنبلجة، أى المضيئة المشرقة الواضحة، وهى طريق الحق سبحانه وتعالى، فينبغى للعاقل أن يسلك طريقه تعالى ولا يقول إنها بعيدة صعبة لأن ذلك من دسائس الشيطان والنفس لأجل قطعه عن المطلوب، ولكن لابد له فى سلوكه من دليل عارف بمعالجة الأمراض القلبية وكيفية الخلاص من الدسائس النفسية، سلكَ تلك الطريق وعرف ما فيها حتى صار يرشد ويدل غيره على بصيرة، فإنه تعالى أجرى عادته بأن معرفته لا تنتج إلا بين اثنين؛ لأن الثمر لا يصلح إلا بين ذكر وأنثى **(التى هى على وزن المنفرجة)** أى من حيث إن بحرهما واحد وهى منسوبة للإمام الفاضل الكامل يوسف المعروف بابن النحوى ومطلعها: اشتدى أزمة تنفرجى، قد آذن ليلك بالبلج، وكان - رحمه الله تعالى - معاصرا للغزالى، وتوفى فى سنة خمسمائة وثلاثة وعشر، وتوفى حجة الاسلام الغزالى - رضى الله عنهما - فيها أى فى السنة المذكورة وللغزالى قصيدة أيضا على وزن المنفرجة، وهى التى أُمِرَ المصنف من رسول الله ﷺ بقراءتها **(وزدته)** أى الورد **(بعض توسلات)** جمع توسُّل

وهو التقرّب والابتهال والتضرّع بين يدى العزيز الغفـار، أى كلمـات يتضرع بها بين يديه، قال فى "المصباح" وتوسل إلى ربه بوسيلة: تقرب إليه بالعمل اهـ. **(وقدرته)** أى رتبت توسلاته **(على)** ترتيـب **(حـروف المعجم)** الحروف جمع حرف وهو لغة: طرف الشىء، والمراد به هنـا أحد حروف التهجى، قال الشبلى - رضى الله عنه -: ما من حرف مـن حروف ألف باء تاء ثاء إلا ويسبح الله تعالى بلسان ويذكره بلغـة، لكـل لسان منها حرف ولكل حرف، لسان، وهو سر الله فى خلقه الـذى بـه يضع زوائد الفهوم وزيادات الأفكار اهـ. وقال بعضـهم: إن الحـروف ثلاثون أظهر الحق منها تسعاً وعشرين حرفاً وأخفى منها حرفاً واحـداً جعله الله مفتاح سر الأولياء يلهمه الله لمن شاء منهم، وذكر أنه ليس مما ينعقد به اللفظ ولا يقوم فى الوهم اهـ. وقال أبو سعيد الخراز - رضـى الله عنه -: لكل حرف من الحروف مشرب وفهم غير الآخر، ولا يعرفها إلا أرباب الأسرار الصافية والعيون المبصرة والقلوب المنيـرة، اهــ. والمعجم من الإعجام، وهو النقط لأن أكثر الحروف منقوطـة وطريقـة العرب تأخير الواو عن الهاء عكس طريقة العجم، والأولـى أولـى؛ لأن اللفظ يصير عند تأخيرها هو "وهو" أولى للقلوب من "وه" لأن "هو" اسـم من أسمائه تعالى، لكن سلك المصنف طريقة العجم لأن معانى هذا الورد وأسراره معجمة على غير السالكين الذائقين مذاق العارفين **(فـى أوائـل توسلاته)** بيان لقوله على حروف المعجم، أى بأن جعلت فى أوائل كـل توسل من توسلاته حرفاً منها على ترتيب الحروف المـذكورة **(ليكـون ذلك)** أى الترتيب على هذا الوجه **(أسهل)** أى أيسر **(فى حفظ)** أى صيانة **(كلماته)** من الضياع **(والله أسأل)** قدم المعمول لإفادة الاختصـاص، أى أسأل الله لا غيره **(أن ينفع به)** أى الورد **(من لازم)** أى واظـب **(علـى**

تلاوته) من الإخوان والأحباب **(ولم يخل)** بضم الياء **(مصنفه من دعواته)** فى خلواته وجلواته لأن دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب مستجاب، وعلى رأس الداعى ملك يقول آمين ولك مثل ذلك، وجملة "ولم يخل" حالية، والحال وإن كان قيداً لكن ليس مراد المصنف التقييد، بل مجرد طلب الدعاء من إخوانه اقتداء برسول الله ﷺ فى قوله لعمر الفاروق – رضى الله تعالى عنه: **«لا تنسنا يا أخى من دعائك»**، وفى رواية **«يا أخى أشركنا فى دعائك ولا تنسنا»**، **(إنه)** بكسر الهمزة على الاستئناف، والجملة فى قوة التعليل، وبفتحها على تقدير لام الجر أى إنما طلبت النفع من الله تعالى دون غيره لأنه **(ولى من يناديه)** بلسان حاله أو قاله، أى متوليه بحفظه ورعايته، وناصره على أعدائه فلا ينبغى محاربته لحديث يقول سبحانه وتعالى: **«من عادى لى ولياً فقد استحل محاربتى»** والنداء رفع الصوت لكن حضرة الحق سبحانه وتعالى تقتضى الهمس إلا إن غلبه الحال أو إظهار ذل العبودية كما فى مناشدته ﷺ يوم بدر **(على الخصوص)** أى خصوصاً إذا كان النداء **(فى الأسحار)** فإن لله سبحانه وتعالى خواص فى الأزمنة كالأمكنة والأشخاص، ولا سيما إذا ناداه **(بلسان الذل)** الإضافه لأدنى ملابسة، أى بلسان مقارن للذل ضد العز قال فى "المختار": ذل يذل ذلاً ومذلة فهو ذليل وهم أذلاء اهـ. وهو من صفات العبودية كما أن العزة من صفات الربوبية، وهى الحجاب الذى حجب الله تعالى خلقه به عن التطلع إلى صفاته، نعم من تجلى عليه الحق تعالى بأوصافه اتصف بالعزة، قال تعالى: **﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾**، [المنافقون:٨]، قال العارف بالله الشاذلى – رضى الله تعالى عنه –: عزة المؤمن أن يمنعه الله تعالى من التعبد للنفس والهوى

والشيطان والدنيا، والمنافق لا يعلم العز إلا بالأسباب والتعبد للأرباب ﴿أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل:٦٣]، اهـ. والذل للمحبوب موجب للوصل، كما قال بعض المحبين:

تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل إذا رضى المحبوب صح لك الوصل

تذلل له تحظى برؤيا جماله تقدم وإلا فالغرام له أهل

وأصعب شيء على العاشقين ذل الحجاب ولذا قال بعض العارفين فى دعائه: إلهى مهما عذبتنى بشيء فلا تعذبنى بذل الحجاب **(والانكسار)** أى ولسان الانكسار، من الكسر ضد الجبر، يستعمل فى المحسوسات والمعانى، وحقيقته انصداع القلب بوارد كونى أو سماوى، وفى الحديث: «**أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى**» أى من أجل حبى والشوق إلى قربى، ومعنى انصداعها أى فناؤها كما فى الحديث: «**ما تجلى الحق لشيء إلا خضع**» قال القشيرى: أى فنى، وهو سر إلهى يقذفه الله تعالى فى قلب من يشاء من عباده لا يكون بتصنع ولا يتأتى بتوقع، وما يشاهد من بعض الناس من التذلل والانكسار المفتعل منهم فهو تملق لا تذلل فمن أعطاه الله الاتصاف بالذل والانكسار كان من الأخيار، ولذا قال سيدى أحمد الرفاعى – رضى الله تعالى عنه –: الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق وأقربها الذل والانكسار اهـ. وقال الجيلى – قدس سره – ما وصلت إلى الله تعالى بقيام ليل ولا صيام نهار ولكن وصلت إلى الله تعالى بالكرم والتواضع وسلامة الصدر اهـ. وإذا ناداه بلسان الذل والافتقار **(فإنه لا يزال)** أى التالى للورد ولا ينفك **(مغموراً بآلائه)** أى مغطىً بنعمه **(وأياديه)** أى نعمه، فهو مرادف لما قبله، وهو جمع أيد الذى هو جمع يد فهو جمع الجمع وقيل: إنه جمع.

(فائدة) اعلم أنه ورد فى فضل الدعاء آيات وأخبار كثيرة، وأن له آدابا ينبغى للداعى أن يحضرها وقت دعائه ويتأدب بها فى مناجاته رجاء القبول من الملك الوهاب سبحانه وتعالى، وجملتها كما قال العارف بالله الغزالى – رضى الله تعالى عنه – أربعة عشر:

الأول: أن يكون على وضوء إن قدر فى كل دعواته أو فى معظمها؛ فإن ذلك أنور للقلب وأرضى للرب وأقرب للإخلاص وأسرع للإجابة.

الثانى: أن يكون مستقبل القبلة فقد ورد عن النبى ﷺ أنه أتى عرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس.

الثالث: أن يرفع يديه حتى يرى بياض إبطه ولا يشير بأصابعه قال ﷺ: «**إن ربكم كريم يستحى من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفراء**»، وكان هو ﷺ **يفعل ذلك**.

الرابع: أن يترصد الأوقات الشريفه لرفعتها وجلالتها كيوم عرفة وعاشوراء وشهر رمضان وليلة الجمعة ويومها لا سيما آخر ساعة منه ووقت السحر وبعد الصبح وما بين الأذان والإقامة وتكبيرة الإحرام وفى السجود وما أشبه ذلك.

الخامس: خفض الصوت بين المخافته والجهر، قال ﷺ: «**أيها الناس إن الذى تدعون ليس بأصم**».

السادس: أن لا يتكلف السجع لقوله ﷺ: «**إياكم والسجع فى الدعاء**»، أى لأنه يذهب الخشوع أو كمال الخشوع، فإن أتاه من غير تكلف أو حفظه من دعاء غيره فلا بأس بذلك إذا خلصت النية.

السابع: التضرّع والخشوع والرهبة، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء:٩٠].

الثامن: أن يتقدم على دعائه ذكر الله تعالى والصلاة والسلام على سيد الخلق ﷺ، قال أبو سليمان الدارانى: من أراد أن يسأل الله تعالى حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فليبدأ بالصلاة على النبى ﷺ، ثم يسأل الله حاجته، ويختم بالصلاة على النبى ﷺ فإن الله تعالى يقبل الصلاتين ولابد وهو أكرم من أن يدع ما بينهما.

التاسع: أن يشرك أبويه وسائر المسلمين؛ فإن الله تعالى أكرم من أن يتكرم الداعى بالدعاء على جميع المسلمين ولا يتكرم هو بالإجابة فيهم، وهو تعالى أكرم من أن يجيبه فيهم ولا يجيبه فى نفسه وحاجته لأن دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب مستجاب ولابد كما تقدم آنفاً.

العاشر: أن يجزم بالدعاء ويصدق رجاؤه لقوله ﷺ:« **لا يقل أحدكم اللهم اغفر لى إن شئت بل يجزم المسألة، فإنه لا مكره له**».

الحادى عشر: أن يلح فى الدعاء وأن يكرره؛ فإن الله تعالى يحب الملحين فى الدعاء، ولأن فى الإلحاح انكسار القلب وخشوعه وتعلقه بذكر الله تعالى.

الثانى عشر: أن لا يستبطئ الإجابة لقوله ﷺ: «**يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول: دعوت فلم يستجب لى**».

الثالث عشر: أن لا يدعو فيما يكرهه الله تعالى ولا فيما يؤدى إلى ذلك؛ فإن المقت فى هذا الدعاء أقرب من الإجابه، فإن أجيب كان استدراجاً.

الرابع عشر: وهو الأصل فى قبول الدعاء وسرعة الإجابة: التوبة من كل ذنب، والإقلاع عن كل معصية والإقبال على الله تعـالى بجميـع الهمة اهـ.

ولما ذكر الشيخ المصنف – قدس سره – فى أول توسلاته أيـات قرآنية لأجل أسرارها التنـزيلية فإن القرآن نزول وتنـزل، فالنـزول قد تم بانتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، والتنـزل باق على ورثته إلى يـوم القيامة بوجود استمرار أحكامه، والتنـزل على كل أحد بقـدر نصـيبه وعلى التالى أن يعتقد أنها قرآن لا يصرفها عن معناها لكنه ينـوى بهـا أموراً منها بيان السؤال بها لمجانستها المطلوب من الأغراض وإن كـان الحق تعالى عالماً به لأنه تعالى يحب أن يسأل، ومنها التوسل بها إلى الله تعالى فقد ورد: «**أحب الكلام إلىَّ القرآن وما تقـرب إلـىَّ المتقربـون بأفضل من كلامى**» ومنها الأمتثال لأمر الله تعالى فى الالتجاء إلى القرآن فى كل أمر من أمور الدارين فقد قال تعالى:﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَـابِ مِـن شَيْءٍ**﴾ [الأنعام:٣٨] فإن فى ضمنها أنكم تلتجئون إليه، فإن فيـه جميـع الحاجات الدنيوية والأخروية، وقال تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَـا هُـوَ شِفَاءٌ**﴾ [الإسراء:٨٢]، وفى ضمنها: فالتمسوا الشـفاء مـن الأمـراض الظاهرة والباطنة، وعلى التالى أيضاً حين الشروع فى الورد أن يلاحـظ ما تقدم من الآداب، ثم يستأذن الله تعالى بجنانه ولسانه فى دخول حضرة مناجاته بعد أن يستأذن رسول الله ﷺ فى استئذان الحق تعـالى بقولـه: دستور يا رسول الله، ثم يشرع مستعيذاً بالله من الشيطان الرجيم ناسـب أن يقول **(فأوّل ما يبتدئ التالى بقوله: أعوذ بالله من الشيطان الـرجيم)** فأوّل: مبتدأ، وخبره: بقوله بزيادة الباء، ويحتمل أنها للتصـوير أى أوّل

شيء يبدأ به مصور بقوله: أعوذ بالله أى لأن الاستعاذة سنة القرآن على مذهب الفرّاء والأكثر من الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار، والمصنف – رحمه الله تعالى – بدأ بالآيات القرآنية فى أول ورده كما علمت فلذا قدّم الاستعاذة، ومعنى أعوذ: أتحصن وأعتصم وألتجئ وأستجير وأحترز وألصق نفسى برحمه الله وفضله وكرمه من الشيطان، وخص الاسم الجامع لصفات الكمال والجلال والجمال أعنى "الله" لعظم عداوة الشيطان وقوة غوايته، والشيطان مأخوذ من شاط يشيط إذا احترق، فوزنه فعلان ونونه زائدة، أو من شطن بمعنى بعد، فنُونُهُ أصليه، ووزنه فيعال وهو لغة: كل عات متمرد من الجن والإنس والحيوانات، ولكن وصفه بالرجيم يعيّن أنه إبليس وجنوده؛ إذ الرجيم فعيل بمعنى مفعول أى مرجوم بالشهب، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاهَا** أى الكواكب **رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ**﴾ [الملك:٥]، أو مطرود من رحمته تعالى قال جل ذكره: ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [ص:٧٨]، أو بمعنى فاعل أى راجم غيره بالوسوسة والخواطر المذمومة **(ثم يقرأ)** أى التالى بعد ذلك **(الفاتحة)** سميت بذلك لافتتاح القرآن بها ولها أسماء كثيرة اختار المصنف منها هذا الاسم تفاؤلاً بالفتح على المريدين ما انْبَهَمَ عليهم من معانى الورد بسببها ولنشرع فى تفسيرها على وجه مختصر فنقول بعد البسملة: **(الحمد لله)** مبتدأ وخبر، وتقدم الكلام على البسملة والحمد لله **(رب)** بالجر نعت لله أو بدل منه، ويصح بالنصب إما بإضمار فعل تقديره أمدح أو أعنى أو على النداء، وبالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو، وهو فى الأصل مصدر بمعنى التربية، وهى تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً، ثم وصف به تعالى للمبالغة كعدل، ويسمى المالك رباً لأنه يحفظ ما يملكه

ويربيه، ولذا كان أكثر الأنبياء يدعون به كما أخبر الله عنهم فـي قولـه تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه:١١٤] ﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾ [المؤمنون:١١٨]دون غيره من الأسماء مع أن اسمه الله أعظم الأسـماء لأنه هو الاسم الجامع لجميع الصفات كما تقدم إشارة إلى أن العبد كأنـه يقول: إنى كنت فى العدم المحض والنفى الصرف فأخرجتنى إلى الوجود وربيتنى، فاجعل تربيتك لى وإحسانك سبباً لإجابة دعائى، حتى قيـل إن رب فى الدعاء هو الاسم الأعظم **(العالمين)** أى المخلوقات جمع عالم، أو اسم جمع له سمى بذلك لأنه علامة على وجود صانعه **(الرحمن الرحيم)** وصفان لله تعالى وقد مر الكلام عليهما فى البسملة **(مالك يـوم الـدين)** قرئ: ملك ومالك والأول أبلغ؛ لأن معناه المتصـرف بـالأمر والنهـى ومعنى الثانى المتصرف فى الأعيان المملوكة كيف شاء، يوم الـدين أى يوم الجزاء والحساب على الأعمال، والإضافة على معنى فى، أى: مالك الأمور فى يوم الدين، وخص يوم الدين بالذكر مع أنه تعالى مالك لجميع المخلوقات دنيا وأخرى لعدم من ينازعه فى ذلك قال تعالى: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦]، بخلافه فى الدنيا فإن لـه منازعـا بحسب طغيانهم وزعمهم الفاسد كفرعون وغيـره **(إيـاك نعبـد وإيـاك نستعين)** أى نطيعك ونطلب منك المعونة والتأييد والتوفيق لا من غيـرك ولما ذكر الحقيق بالحمد ووصفه بصفات عظام ناسب أن يخاطبـه بمـا ذكر، أى: يا من هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة أى لا نعبد غيـرك ولا نستعين بغيرك كما يفيده تقديم المعمول، فتقديمه فيها للتخصيص كما فى قوله تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة:٤٠]، مع ما فيه من التعظـيم والاهتمام به، وتكرير الضمير المنصوب للتنصيص علـى تخصيصـه

تعالى بكل من العبادة والاستعانة، وتقديم العبادة لأنهـا مـن حقـوق الله تعالى، والاستعانة من حقوق المستعين، ولأن تقديم الوسيلة على المسئول أدعى إلى الإجابة والقبول ولتوافق رؤوس الآى، وإيثار صيغة المـتكلم مع الغير فى الفعلين للإيذان بقصور نفسه وعدم لياقتـه بـالوقوف فـى مواقف الكبرياء منفرداً وأن لا يتصور إلا من عصابة هو مـنهم ومـن جملتهم، قال سيدى محيى الدين – رضى الله تعالى عنه –: روينا عـن بعض المعلمين أن شاباً صغيراً كان يقرأ عليه القرآن فرآه مصفراً لونـه فسأله عن حاله، فقيل له: إنه يقوم الليل بالقرآن كله، فقال له: يا ولـدى أخبرت أنك تقوم الليل كله بالقرآن، فقال: نعم، فقال: يا ولدى إذا كان فى هذه الليلة فأحضرنى فى قبلتك واقرأ علىَّ القرآن فى صلاتك ولا تغفـل عنى، ففعل ذلك الشاب فلما أصبح قال له: هل ختمت القرآن؟ قـال: لا ما قدرت على أكثر من نصفه، ثم قال له: يا ولدى اجعل من شئت مـن الصحابة أمامك الذين سمعوا القرآن من رسول الله ﷺ، ففعل، فلما أصبح سأله الأستاذ عن ليلته فقال: يا أستاذ ما قدرت على أكثر من ربع القرآن فقال: يا ولدى اتل هذه الليلة على رسول الله ﷺ الذى أنزل عليه القـرآن فلما أصبح قال: يا أستاذ ما قدرت طول ليلتى على أكثر من جـزء مـن القرآن، قال: يا ولدى إذا كان هذه الليلة تب إلى الله وتأهـب واعلـم أن المصلى يناجى ربه وأنك واقف بين يديه تتلو عليه كلامه فانظر حظـك من القرآن وحظه وتدبر ما تقرؤه، فليس المراد جمع الحروف ولا تأليفها ولا حكاية الأقوال وإنما المراد القراءة بتدبر معانى ما تتلوه، فـلا تكـن جاهلاً، فلما أصبح انتظر الأستاذ الشاب فلم يجئ إليه، فجاء إليه الأسـتاذ فوجده مريضاً فلما أبصره الشاب بكى وقال: يا أستاذى جزاك الله خيـراً ما عرفت أنى كاذب إلا فى هذه الليلة لما قمت فى مصلاى وأحضـرت

الحق وأنا بين يديه أتلو عليه كتابه فلما بدأت بالفاتحة ووصلت إلى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥] نظرت إلى نفسى فلم أرها تصدق فــى قولهــا فإنى رأيتها لاهية بخواطرها عن عبادته، ولازلت أردد القراءة مــن أول الفاتحة إلى قوله مالك يوم الدين ولا أقدر أن أقول: إياك نعبد، فاستحييت أنى أكذب بين يديه تعالى فيمقتنى فما ركعت حتى طلع الفجــر، وإنــى راحل إليه، فما انقضت ثلاثة أيام حتى مات الشاب، فلما دفن أتى الأستاذ إليه فسأله عن حاله فى قبره، فسمع صوت الشاب من قبره وهو يقــول: أنا حى عند حى، لم يحاسبنى بشىء فرجع الأستاذ إلى بيته ولزم فراشــه مريضاً من حال الشاب فلحق به اهــ.

فينبغى كما قاله الشعرانى – رضى الله عنه – أن يقرأ التالى هذه الآية ملاحظاً عند قوله: **إياك نعبد** أن المعنى لا نعبد إلا إيــاك بــك ولا نستعين إلا إياك بك لأنه لا حول ولا قوة إلا بك، أو يقرؤها علــى أنــه ممتثل للأمر الإلهى فى قراءتها لا أنه ممن وفى حق ما تقتضيه حقيقــة تلاوتها اهــ، **(اهدنا الصراط المستقيم)** أى دلنا على الصراط المســتقيم أى دين الإسلام أو القرآن أو طريق الجنة أى على ما يؤدى إلى الثبــات عليه **(صراط الذين أنعمت عليهم)** بدل من الأول بدل كل وهو فى حكــم تكرار العامل من حيث إنه المقصود بالنسبة، وفائدته التأكيد والتنصــيص على أن طريق الذين أنعمت عليهم وهم المسلمون هو المشهور بالاستقامة والمشهود له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم عند ذكر الطريق المســتقيم إلا إليه وإطلاق الإنعام لقصد الشمول فإن نعمة الإسلام هى أصل الــنعم كلها فمن فاز بها فقد حازها بحذافيرها **(غير المغضوب علــيهم)** وهــم اليهود **(ولا الضالين)** وهم النصارى، وقيل: المغضوب عليهم: المشركون والضالون: المنافقون، والأولى أولى لأنه ورد التفسير به فى مسند أحمد

والترمذى، ويشهد له أيضاً قوله تعالى فى اليهود: ﴿**وَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ**﴾ [البقرة:٦١]، وقال: ﴿**مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ**﴾ [المائدة:٦٠] وقال فى النصارى: ﴿**قَدْ ضَلُّواْ**﴾ [المائدة:٧٧]، والغضب فى الأصل: ثوران النفس لإرادة الانتقام، وإذا أسند إلى الله تعالى يراد به غايته، وهو الانتقام من العصاة أو إرادته إطلاقا لاسم السبب على المسبب، وغضبه تعالى لا يلحق المؤمنين بل يلحق الكافرين فقط، وغير المغضوب بالخفض بدل من الذين أو صفة له، لأن غير إذا وقعت بين ضدين تعرفت بالإضافة كما تقول: الحى غير الميت والصعب غير الهين، أو لأن الذين يشبه النكرة باعتبار كونه لم يرد به قوم بأعيانهم بل أريد به العموم، فصح وصفه بالنكرة و"لا" فى "ولا الضالين" زائدة لتأكيد ما أفاده غير من معنى النفى كأنه قيل: لا المغضوب عليهم ولا الضالين، وقرئ: ولا الضألين بالهمزة فراراً من التقاء الساكنين، وآمين اسم فعل بمعنى استجب وفيه لغات: قصر الهمزة ومدها مع الإمالة وعدمها، وآمين بالتشديد، وبنى على الفتح لالتقاء الساكنين، وليست من القرآن اتفاقاً بدليل أنها لم تثبت فى المصاحف ولم تكن قبلنا لموسى وهرون عليهما السلام ويُسَنُّ ختم السورة الكريمة بها لقوله ﷺ: «**لقننى جبريل آمين عند فراغى من قراءة فاتحة الكتاب وقال: إنها كالختم على الكتاب**»، **(ويبسمل)** أى يأتى بالبسملة **(ويقرأ أوائل البقرة)** وهى أول سورة نزلت بالمدينة إلى قوله: ﴿**وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ**﴾ [البقرة:٢٨١]، وفيها ألف أمر وألف نهى وألف حكم وألف خبر، آخرها بركة، وتركها حسرة، إذا قرئت فى بيت لم تدخله مردة الشياطين ثلاثة أيام **(إلى قوله المفلحون)** أى يقرأ الأيات الأربع فيقول: **(الم)** واختلف فى المراد بذلك ونحوه من فواتح

السور، والذى عليه الأكثر أنها اسم للسورة المصدرة بها، وقيل: إنها من العلوم المستورة قال الصديق الأكبر – رضى الله عنه –: فى كل كتاب سر، وسر القرآن أوائل السور، وقيل: إنها أسماء الله تعالى، وقيل كل حرف منها إشارة إلى اسم من أسمائه تعالى أوصفة من صفاته وقيل: إنها صفات الأفعال، الألف آلاؤه، واللام لطفه، والميم مجده، وقيل: الألف من الله واللام من جبريل والميم من محمد، أى: أنزل الله تعالى الكتاب بواسطه جبريل على محمد ﷺ، وقيل غير ذلك **(ذلك الكتاب)** أى القرآن الذى يقرؤه محمد ﷺ لا ريب فيه وأشار إليه بإشارة البعيد لقصد التعظيم بالبعد ذهاباً إلى بعد درجته لأنه فى أعلى طبقات البلاغة، ولذا لم يتأت من البشر ولا من غيره الإتيان بأقصر سورة منه بل هو معجز للبشر **(لاريب)** أى لا شك **(فيه)** أنه من عند الله تعالى، والمعنى أنه فى ذاته حق، وأنه منزل من عند الله، وإنما صح نفى الريب على سبيل الاستغراق مع وقوعه من الكفار لأن ريبهم فيه منزلة العدم لوجود ما يزيله وهو إعجازه وعدم قدرة البشر على الإتيان بمثله، فإنهم إذا تأملوا فى ذلك زال ريبهم، وقيل: هو خبر بمعنى النهى، أى: لاترتابوا **(هدى للمتقين)** الهداية فى الأصل مصدر بمعنى الرشد والبيان أى فيه كشف لأهل المعرفة ورشد وزيادة بيان، والمتقين جمع متق وأصله متقيين بياءين: الأولى لام الكلمة والثانية علامة الجمع فاستثقلت الكسرة على لام الكلمة وهى الياء الأولى فحذفت فالتقى ساكنان فحذفت إحداهما وهى الأولى، ومتق اسم فاعل، وتخصيص الهداية بالمتقين لأنهم هم المنتفعون به وإن كانت هدايته عامة للمؤمن والكافر، ولذا أطلقت فى قوله تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ**﴾ [البقرة:١٨٥]، والمتقى فوق المؤمن والطائع، وهو من يتقى بصالح عمله

وخالص دعائه عذاب الله تعالى، مأخوذ من اتقى المكروه إذا جعل بينه وبينه حاجزًا **(الذين يؤمنون بالغيب)** الذين فى موضع خفض نعت للمتقين ويجوز رفعه على القطع أى هم الذين ونصبه على المدح والإيمان فى اللغة: التصديق ويتعدى بالباء واللام كقوله تعالى:﴿**وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا**﴾ [يوسف:١٧]، ﴿**آمَنَ لِمُوسَى**﴾ [يونس:٨٣]، وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف، وفى الشرع: التصديق بما علم بالضرورة أنه من دين محمد ﷺ كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء، والمراد به هنا كل ما أخبر به الرسول ﷺ مما لاتهتدى إليه العقول من نحو أشراط الساعة وعذاب القبر والصراط والجنة والنار **(ويقيمون الصلاة)** أى يداومون عليها ويأتون بها تامة الأركان والشروط **(ومما رزقناهم)** أى أعطيناهم **(ينفقون)** أى ينفقونه فى طاعة الله تعالى، أى إنفاقا واجبا كالزكاة ونفقة الأهل، أو مندوباً كصدقة التطوع **(والذين يؤمنون بما أنزل إليك)** قيل: هم مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، وقيل: جميع المؤمنين، وقوله تعالى: ﴿**بما أنزل اليك**﴾ أى القرآن بأسره، والشريعة عن آخرها، وإنما عبر عنه بلفظ الماضى وإن كان بعضه مترقباً تغليباً للموجود على ما لم يوجد وتنزيلا للمنتظر منزلة الواقع **(وما أنزل من قبلك)** يعنى الكتب الماضية كالتوراة والإنجيل ونحوها من الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنها مائة كتاب وأربعة روى عن أبى ذر – رضى الله تعالى عنه – قال: قلت: يا رسول الله كم كتاب أنزله الله؟ قال: «**مائة كتاب وأربعة، أنزل على شيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة**

عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان» إلـــى أخـــر الحديث.

فإن قيل: كيف يمكن الإيمان بهذه الكتب مع تنافى أحكامها؟ أجيب بأن المراد أن يعتقدوا ويصدقوا أن جميعها من عند الله تعالى، **(وبالآخرة هم يوقنون)** أى بالبعث والنشور عالمون، إذ اليقين العلم الذى انتفى عنه الشك والشبهة بالاستدلال **(أولئك)** أى من ذكر من المتقين الموصـــوفين بما ذكر **(على هدى من ربهم)** الذى أصلح أحوالهم، وفى الآية رد علـــى القدرية القائلين بأن العبد خلق إيمانه وهداه؛ لأنه لو كان كما قالوا لقـــال: على هدى من أنفسهم **(وأولئك هـــم المفلحـــون)** أى الفـــائزون بالجنـــة والباقون فيها، ثم يقرأ التالى قولـــه تعـــالى: **﴿وَإِلَـــهُكُمْ إِلَـــهٌ وَاحِـــدٌ﴾** [البقرة:١٦٣] خطاب عام، أى المستحق للعبادة واحد لا شريك له فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله **﴿لاَّ إِلَـــهَ إِلاَّ هُـــوَ﴾** [البقـــرة:١٦٣] تقريـــر للوحدانية، أى لا معبود إلا الله تعـــالى، وقولـــه: **﴿الـــرَّحْمَنُ الـــرَّحِيمُ﴾** [البقرة:١٦٣] كالحجة عليها، فإنه لما كان سبحانه وتعالى مولى النعم كلها أصولها وفروعها، وما سواه إما نعمة وإما منعم عليه لم يستحق العبـــادة أحد غيره سبحانه وتعالى، ثم يقرأ التالى **(آية الكرسى)** أى الآيـــة التـــى يذكر فيها الكرسى، وهى كما قال العلامة الشيخ عطيـــة علـــى تفســـير الجلال: أفضل آى القرآن، بمعنى أنهـــا أكثـــر ثوابـــا، وهـــو التحقيـــق لاشتمالها على صفات الإله الثبوتية والسلبية ما لم تجمعـــه آيـــه أخـــرى وسميت بأية الكرسى لاشتمالها عليه، وهى قوله تعالى: **﴿اللّهُ لاَ إِلَـــهَ إِلاَّ هُوَ﴾** [البقرة:٢٥٥] أى لا معبود بحق إلا هو ســـبحانه وتعـــالى **(الحـــى القيوم)** أى الباقى الذى لا سبيل عليه للموت والفناء، وأصله: حيى بياءين

من حيى يحيا وحقيقته الفعال الدرّاك، ومن لا فعل لــه ولا إدراك فهــو ميت، فالحىّ الكامل المطلق هو الذى تندرج جميع المدركات تحت إدراكه وجميع المفعولات تحت فعله حتى لا يشذ عن علمه مدركة ولا عن فعله، وهو لا يكون إلا له سبحانه وتعالى، فهو الحى المطلق، وكل حى ســواه فحياته بقدر إدراكه وفعله، وكل ذلك محصور فى علمه تعالى، والقيــوم فيعول من قام بالأمر يقوم به إذا حفظه، أى دائم القيــام بتــدبير الخلــق وحفظه وهو القائم بذاته المقيم لغيره، قــال الســمين: وأصـــله قيـــووم اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقبلت الواو ياء وأدغمــت الياء فى الياء فصار قيوم، والحى القيوم نعتان لله تعالى أو بدلان منه أو خبر بعد خبر اهــ، **(لاتأخذه سنة ولا نوم)** رتبهما بترتيب وجودهما لأن وجود السنة سابق على وجود النوم فهو على حد قوله تعالى: **﴿لَا يُغَــادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾** [الكهف:٤٩]، أى لا تأخذه سنة فضـــلا عن النوم وجملة **(لا تأخذه سنة ولا نوم)** نفى للشبه بينـــه وبــين خلقــه ومعلوم أن اتصافه تعالى بما ذكر محال لعدم كونهما من شأنه تعالى، إذ هما قاصران بالنسبة للقوة الإلهية، والجملة تأكيد لما قبلها من كونه تعالى موصوفاً بالحى القيوم ومن يعتريه السنة أو النوم تكون حياته قاصرة.

فإن قلت: حيث انتفت السنة فى الآية الشريفة فالنوم أولى وحينئــذ لا فائدة لذكره بعد، وأجاب بعضهم بجواب حسن دفع بذلك تــوهم ثقــل النوم جداً حتى يغلب على السنة فيكون نوماً من غير سنة، كــذا ذكــره العلامة السباعى نقلاً عن العلامة الأمير **(له ما فى السموات ومـــا فـــى الارض)** ملكاً وخلقاً، وهو تقرير لقيوميته واحتجاج على انفراده بالألوهية **(من ذا الذى)** أى لا أحد **(يشفع عنده إلا بإذنه)** له فيهــا، وهــو بيـــان

لكبرياء شأنه وأنه لا أحد يدفع ما يريده بشفاعته فضلاً عن معاندته، ومن للاستفهام مبتدأ، وذا خبره، والذى نعت لذا أو بدل، والاستفهام للتعظيم وفى الآية دليل على أنه تعالى يأذن لمن يشاء فى الشفاعة كالأنبياء والعلماء والملائكة وغيرهم ممن أكرمهم الله تعالى وشرفهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء:٢٨]، **(يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم)** أى ما قبلهم وما بعدهم أو بالعكس، وقيل: ما بين أيديهم: الدنيا وما خلفهم: الآخرة أو بالعكس، والضمير لما فى السموات وما فى الأرض لأن فيهم العقلاء وغيرهم ففيه تغليب **(ولا يحيطون بشىء من علمه)** أى من معلوماته، لأن علمه تعالى الذى هو الصفة القائمة بذاته تعالى لا تتبعض **(إلا بما شاء)** أن يعلموه بأخبار الرسل **(وسع كرسيه السموات والأرض)** قيل: كرسيه مجاز عن علمه تعالى، وقيل: ملكه، أو الفلك المعروف، روى عن على - كرم الله وجهه - أن الكرسى لؤلؤة وطوله لا يعلمه إلا الله تعالى، والوسع وسعان حكمى أو وجودى فالحكمى كون السموات والأرض أثر صفة من صفاته الفعلية، والكرسي مظهر جميعها، فحصل الوسع المعنوى فى كل وجه من وجوه الكرسى إذ كل وجه منه صفة من الصفات المعنوية، وأما الوسع الوجودى العينى فلأنه محيط بالسموات والأرض وفى الخبر: «**ما السموات والأرضون السبع مع الكرسى إلا كحلقة فى فلاة**» وأخرج ابن جرير أن السموات فى جوف الكرسى، والكرسى بين يدى العرش، عن عكرمة قال: الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسى، والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الستر - يعنى بها الحجب - فقد روى عنه ﷺ أنه قال:«**إن بين الجبار جل وعز وبين أدنى خلقه - أى أقربهم إليه - أربعة حجب، ما بين كل حجاب وآخر كما بين السماء والأرض، حجاب من ظلمة**

وحجاب من نور وحجاب من ماء وحجاب من نار بيضاء» فلذا ورد: "حجابه النار" وفى لفظ: "حجابه النور" وهى السبحات الوارد بها الحديث **(ولايئوده)** أى لا يثقله **(حفظهما)** أى السموات والأرض **(وهو العلى)** أى المتعالى عن الأنداد والأشباه، والمراد به علو القدر والمنزلة، لا علو المكان؛ لأنه تعالى منزه عن التحيز **(العظيم)** أى المستحقر بالنسبة إليه كل ما سواه ثم اعلم أن هذه الآية مشتملة على أمهات المسائل الإلهية فإنها دالة على أنه سبحانه وتعالى موجود، واحد فى الألوهية، متصف بالحياة، واجب الوجود لذاته، موجد لغيره، منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور، لا يناسب الأشباح، ولا يعتريه ما يعترى الأرواح، مالك الملك والملكوت ومبدع الأصول والفروع، ذو البطش الشديد، الذى لا يشفع عنده إلا من أذن له، العالم وحده بالأشياء جليلها وحقيرها كليها وجزئيها وسع الملك والقدرة، لا يئوده شاق، ولا يشغله شأن عن شأن، منزه عما يدركه وهم، عظيم لا يحيط به فهم، ولذا ورد عن النبى ﷺأنه قال: «**إن أعظم آية فى القرآن الكريم آية الكرسى، من قرأها بعث الله له ملكاً يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته إلى الغد من تلك الساعة**»، وقال ﷺ: «**من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة كان الذى يتولى قبض روحه ذو الجلال والإكرام وكان كمن قاتل مع أنبياء الله تعالى حتى استشهد**» وقال فى "روض الأزهار": إذا كنت فى سفر مخيف فخط عليك بحربة دائرة واقرأ آية الكرسى، وقل هو الله أحد والمعوذتين، والفاتحة و﴿**قُل لَّن يُصِيبَنَا**﴾ [التوبة:٥١] ، فإنه لا يصل إليك أحد من خلقه، ولا يقدر على أذاك أحد بإذن الله تعالى، وفيه أن من قرأها يوم الجمعة بعد صلاة العصر فى موضع خال ست عشرة مرة أعطاه الله ما تمناه، وأما الحى القيوم فمن فوائدها أن من نقشها عند طلوع الشمس

من يوم الجمعة وهو مستقبل القبلة فى ذكر وأمسكه عنده أحيا الله ذكره إن كان خاملاً وأكثر الله رزقه إن كان قليلا .اهـ.

وروى عن على - كرم الله وجهه - عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت، ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد، ومن قرأها عند أخذ مضجعه أمنه الله على نفسه وجاره، وجار جاره، والأبياتَ حوله**»، (**لا إكراه فى الدين**) أى لا إكراه على الدخول فى الملة الإسلامية، والتحقيق أن هذه الآية ليست من آية الكرسى بل هى مستأنفة، وقيل: إنها من آية الكرسى إلى ﴿**خالدون**﴾ [البقرة:٢٥٧] (**قد تبين الرشد من الغى**) أى تميز الإيمان من الكفر بالآيات الواضحة، ودلت الدلائل على أن الإيمان رشد يوصل إلى السعادة الأبدية، والكفر يؤدى إلى الشقاوة السرمدية، والعاقل متى بين له ذلك بادرت نفسه إلى الإيمان طلباً للفوز بالسعادة الأبدية، ولم يحتج إلى الإكراه فى الدين، وقيل: هو خبر بمعنى النهى، أى: لا تكرهوا فى الدين، وهذا قبل الأمر بآية الجهاد، وهى قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ**﴾ [التحريم:٩]، (**فمن يكفر بالطاغوت**) أى الشيطان أو الأصنام أو كل ما عبد من دون الله تعالى أو صد عن عبادته تعالى (**ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى**) أى بالحبل الوثيق الذى هو الإيمان أو لا إله إلا الله، قال مجاهد: العروة الوثقى هى الإيمان وقال ابن عباس وغيره": هى لا إله إلا الله (**لا انفصام لها**) أى لا انقطاع لها (**والله سميع**) أى للأقوال (**عليم**) أى بالنيات، ولعله تهديد على النفاق (**الله ولى الذين آمنوا**) أى متولى أمرهم وناصرهم (**يخرجهم**) بهدايته وتوفيقه (**من الظلمات**) أى ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس

والشبه المؤدية إلى الكفر **(إلى النور)** أى الهدى الموصل إلـى الإيمـان قال الواقدى: كل ما كان فى القرآن من الظلمات والنور فالمراد منه الكفر والإيمان إلا الذى فى سورة الأنعام وهو قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلَ الظُّلُمَـاتِ وَالنُّورَ**﴾ [الأنعام:١]، فالمراد منه الليل والنهار اهـ.

وسمى الكفر ظلمة لالتباس طرقه، وسمى الإيمان نوراً لوضـوح طريقه **(والذين كفروا أوليـاؤهم الطـاغوت)** أى الشـياطين وغيرهـا **(يخرجونهم من النور إلى الظلمات)** نزلت فى قوم ارتدوا عن الإسلام أو فى كل من آمن بالنبى ﷺ من اليهود قبل بعثته ثم كفر، وإسناد الإخـراج إلى الطاغوت باعتبار السبب لا ينافى تعلق قدرته تعـالى وإرادتـه بـه **(أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)** وعيد وتحـذير وحكـم علـيهم بالخلود فى النار عدلاً منه سبحانه وتعالى لا يُسْأل عما يفعل، ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشأنهم **(ثم)** يقرأ التالى **(خواتم)** جمع خاتمة **(البقرة)** أى آخر سورة البقرة بقول: **(لله ما فـى السـموات، ومـا فـى الأرض)** ملكاً وخلقاً وعبيداً **(وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه)** أى مـا فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه **(يحاسبكم)** أى يجازيكم **(به الله)** يوم القيامة، وهذه الآية حجة ودليل علـى مـن أنكـر الحساب كالمعتزلة والروافض وليست هذه الآية منسوخة على التحقيـق من الخلاف بل المعنى ما هو فى وسعكم تحت كسبكم، ومما يـدل علـى عدم النسخ أن الآية خبر و الخبر لا يدخله النسخ، وعـن ابـن عبـاس وجماعة أنها منسوخة، وأنه بقى هذا التكليف حولاً حتى أنزل الله تعـالى الفرج بقوله تعالى: ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًـا إِلاَّ وُسْـعَهَا**﴾ [البقـرة:٢٨٦] **(فيغفر لمن يشاء)** مغفرته **(ويعذب من يشاء)** تعذيبه، وهو صريح فـى

نفى وجوب التعذيب **(والله على كل شىء قدير)** ومنه محاسبتكم **(آمن الرسول)** أى صدق محمد ﷺ **(بما أنزل إليه من ربه)** من القرآن، وهذه شهادة من الله تعالى بإيمانه ﷺ وناهيك بها شهادة **(والمؤمنون)** عطف عليه، هذا أحد وجهين، وعبارة السمين: قوله: والمؤمنون يجوز فيه وجهان: أحدهما رفعه على الفاعلية عطف على الرسول، فيصح الوقف عليه، ويدل على هذا ما قرأه على بن أبى طالب - رضىَ الله عنه وكرم الله وجهه -: وآمن المؤمنون، ويكون "كل آمن" جملة من مبتدأ وخبر والثانى أن يكون المؤمنون مبتدأ وكل مبتدأ ثان، وآمن خبر عن كل والمبتدأ وخبره خبر عن الأول، والرابط محذوف تقديره: كل منهم، فعلى الثانى تقف على "من ربه" اهـ.

(تنبيه) قال الزجاج: لما ذكر الله فى هذه السورة الصلاة والزكاة والصوم والطلاق والحيض والإيلاء والجهاد وقصص الأنبياء وما ذكر من كلام الحكماء ختم السورة بذكر تصديق نبيه ﷺ والمؤمنين بجميع ذلك اهـ. **(كل)** تنوينه عوض عن المضاف إليه **(آمن بالله وملائكته وكتبه)** بالجمع والإفراد **(ورسله لا نفرقُ بين أحد من رسله)** أى يقولون: آمنا بجميع الرسل ولا نفرق بينهم بالتصديق والتكذيب كما فرقت اليهود والنصارى **(وقالوا سمعنا)** ما أمرنا به سماع قبول **(وأطعنا)** أمرك **(غفرانك ربنا)** أى نسألك غفرانك، فهو منصوب على المصدر، والعامل فيه مقدر، أى اغفرْ غفرانك **(وإليك المصير)** أى المرجع بعد الموت وهو إقرار منهم بالبعث، ولما نزلت الآية التى قبلَ هذه الآية، أعنى قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤] اشتد الكرب على الصحابة وشكت لرسول الله ﷺ فنزل

قوله تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة:٢٨٦]، أى قدرتها وطاقتها فضلاً منه وإحساناً **(لها ما كسبت)** من خير **(وعليها ما اكتسبت)** من شر، أى وزر، ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ**﴾ [الأنعام:١٦٤]، [الإسراء:١٥]، [فاطر:١٨] [الزمر:٧]، **(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)** أى لا تؤاخذنا بما أدى بنا إلى نسيان أو خطأ من تفريط وقلة مبالاة، أو بنفس النسيان والخطأ إذ لايمتنع المؤاخذة بهما عقلاً، فقد قال الأشعرى وجماعة من المسلمين: تكليف ما لايطاق جائز عقلاً؛ فإن الذنوب كالسموم حكماً؛ لأن تناولها يؤدى إلى الهلاك وإن كان خطأ، فتعاطى الذنوب لا يبعد أن يفضى إلى العقاب لكنه تعالى وعدنا بالتجاوز عنه فضلا منه ورحمة وكرماً، ويؤيد ذلك قوله ﷺ: «**رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**» **(ربنا ولا تحمل علينا إصرا)** أى أمراً ثقيلاً يثقل علينا حمله، قال سعيد بن جبير: الإصر: شدة العمل، والمراد به: التكاليف الشاقة **(كما حملته على الذين من قبلنا)** أى: بنى إسرائيل من قتل النفس بالتوبة وإخراج ربع المال فى الزكاة وما أصابهم من الشدائد والمحن، وهذا كله مرفوع عن أمة محمد ﷺ إكراما له عليه الصلاة والسلام **(ربنا ولاتحملنا ما لا طاقة)** أى قوة **(لنا به)** من البلاء والعقوبة أو من التكاليف الشاقة، وهو يدل على جواز التكاليف بما لا يطاق عقلا لا شرعا كما تقدم **(واعف عنا)** أى امح ذنوبنا **(واغفر لنا)** أى استر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة **(وارحمنا)** أى تعطف علينا، ففى الرحمة زيادة عن المغفرة **(ويكرر)** أى التالى قوله تعالى: **(واعف عنا واغفر لنا وارحمنا)** **(ثلاثا)** أى ثلاث مرات ثم يقول: **(أنت مولانا)** أى سيدنا **(فانصرنا على القوم الكافرين)**

بإقامة الحجة والغلبة على قتالهم، فإن شأن المولى ينصر مواليه على أعدائه، روى أنه ﷺ لما دعا الله بهذه الدعوات قيل له - أى من جانب الله تعالى - عقب كل كلمة: قد فعلت، وهى سبع أولها "لا تؤاخذنا" وآخرها "فانصرنا" إلى آخرها، فيكون قوله: "قد فعلت" وقع سبع مرات أى: قد أجبت دعاءك رواه مسلم، وعنه ﷺ «**أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفى عام؛ من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل**»، وعنه ﷺ: «**من أراد أن يموت فى السماء السابعة فليقرأ كل يوم آمن الرسول إلى آخرها مرتين**»، وقال فى "روض الأزهار" من أكثر من قراءة هذه الآيات - أعنى (**آمن الرسول**) إلى آخر السورة ليلا ونهارا خفت الأثقال عنه وقضيت ديونه وكيد عدوه وكفى شر الظلمة ورزق حسن اليقين اهـ.

(**ويقرأ**) أى التالى قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ**﴾ [التوبة:١٢٨] الخطاب للعرب على قول الجمهور، وذلك على جهة تعداد النعم؛ إذ جاءهم بلسانهم وبما يفهمونه ومن البشر مثلهم (**عزيز عليه ما عنتم**) أى يعز ويصعب عليه مشقتكم بدخول النار والتشديد عليكم بالتكاليف الشاقة؛ لأن العنت: المشقة، وما مصدرية مبتدأ، وعزيز خبر مقدم، ويجوز أن يكون "ما عنتم" فاعلاً بعزيز صفة لرسول وكذا (**حريص عليكم**) أى شديد الرغبة على إيمانكم، فهو على حذف مضاف (**بالمؤمنين**) منكم ومن غيركم (**رؤوف رحيم**) عطف على الصلة والرؤوف البالغ فى الرأفة أى شديد الرحمة بكم، وإنما قدم على الرحيم للفاصلة، ولولا ذلك لقدم الوصف بالأعم سلوكاً للترقى كما فى عالم نحرير، ولم يجمع الله لنبى من الأنبياء بين اسمين من أسمائه إلا له ﷺ لمحبته له ﴿**فَإِن تَوَلَّوْاْ**﴾ [التوبة:١٢٩] أى أعرضوا عن الإيمان بك يا

محمد **(فقل حسبى الله)** أى كافىّ الله تعالى، فهو خبر مقدم، والله مبتدأ مؤخر **(لا إله إلا هو عليه توكلت)** أى اعتمدت، وإليه فوضت جميع أمورى، فهو فى قوة التعليل، أى: قل الله كافىّ؛ لأنه لا إله إلا هو **(وهو رب العرش العظيم)** أى الملك العظيم أو الجسم الأعظم المحيط الذى تنزل منه الأحكام والتقادير، وخصه بالذكر لأنه أعظم المخلوقات بأسرها فيدخل ما دونه بالأولى، وفى صحيح أبى داود: «**من قال إذا أصبح وإذا أمسى: حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله ما أهمه صادقا كان بها أو كاذبا**» وقرئ بالرفع على أنه صفة لرب، لكن المشهور قراءته بالجر على أنه صفة للعرش ومما يدل على عِظَمِه ما ورد من أن له ثلاثمائة وستين قائمة، عرض كل قائمة قدر عرض الدنيا سبعين ألف، مرة وبين كل قائمة وقائمة ستون ألف صحراء، وفى كل صحراء ستون ألف عالم، وكل عالم كالثقلين من الجن والإنس، و**(يكرر)** أى التالى **(فإن تولوا إلى آخرها سبعا)** أى سبع مرات **(ويقرأ)** أى التالى **(سورة الإخلاص)** سميت بذلك لأن من قرأها يخلص من النار، وتسمى أيضا "سورة المعرفة" لأنه ﷺ سمع رجلا يقرؤها فقال: «**هذا الرجل عرف ربه**»، و"سورة الولاية" لأن من لازم على قراءتها صار ولياً لله تعالى، ونقل القرطبى – رحمه الله تعالى – فى تذكرته أن رسول الله ﷺ قال: «**من قرأ سورة قل هو الله أحد فى مرضه الذى يموت فيه لم يفتن فى قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأجنحتها حتى يجيزونه من الصراط إلى الجنة**» وعنه ﷺ: « **من مر على المقابر فقرأ قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة ثم وهبها للأموات أعطاه الله الأجر بعدد الأموات**»، وفى رواية الطبرانى عن جرير أن قراءتها عند دخول المنزل تنفى الفقر عن

أهل ذلك المنزل وعن الجيران، وروى عن ابن عمر - رضى الله تعالى عنهما - أن من قرأها مرة فقد اشترى نفسه من الله، ومن قرأها عشية عَرَفة ألف مرة أعطاه الله ما سأل، وجاء أنها تعدل ثلث القرآن، لأن مقاصده محصورة فى شأن العقائد والأحكام والقصص وهى مشتملة على القسم الأول، وورد فى فضلها أخبار وآثار كثيرة، ويقرأ التالى بعد البسملة: **(قل هو الله أحد)** أى المنفرد فى ذاته وصفاته وأفعاله وألوهيته من غير شك ولا شبيه ولا نظير، والضمير للشأن وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا تحتاج إلى عائد لأنها هى هو، والمعنى: الحال والشأن هو الله أحد، ولما سئل النبى ﷺ والسائل له قريش حيث قالوا: إن آلهتنا ثلاثمائة وستون ولم تقض حوائجنا فكيف بإله واحد؟ صفه لنا، هل هو من نحاس أو من فضة أو من ذهب؟ فنزل "قل هو الله أحد" **(الله الصمد)** أى المقصود فى الحوائج وقيل: تفسيره ما بعده - أعنى: لم يلد ولم يولد إلخ -، وقيل: هو الذى لاجوف له، وقيل هو الذى لا يأكل ولا يشرب وقيل غير ذلك، وتكرير لفظ الله للإشعار بأن من لم يتصف به لم يستحق الألوهية، وإخلاء الجملة من العاطف لأنها كالنتيجة للأولى والدليل عليها، ومن خواص هذا الاسم أن من أكثر من ذكره قل افتقاره إلى الأكوان وإذا داوم عليه صاحبُ حالٍ صادقةٍ رجعت حوائج الخلق إليه واتصف بمكارم الأخلاق، ولهذا الاسم خواص كثيرة ذكرها المصنف - رحمه الله تعالى - **(لم يلد)** أى لم ينفصل عنه أحد، وفيه رد على من قال: الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً **(ولم يولد)** أى لم ينفصل عن أحد لأنه لا يفتقر إلى شىء ولا يسبقه عدم **(ولم يكن له كفواً أحد)** أى لم يكافئه أحد أى يماثله من صاحبة وغيرها **(ثلاثاً)** أى ثلاث مرات لقوله ﷺ: «**من قرأ قل هو الله أحد ثلاث**

مرات **فكأنما قرأ القرآن أجمع**» رواه العقيلى عن جـــابر - رضـــى الله تعالى عنهما - **(والمعوذتين)** أى ويقرأ التالى المعوذتين، أى: **(قل أعوذ برب الفلق)** و **(قل أعوذ برب الناس)** سميتا بذلك لأنهما عوذتا صاحبهما - أى عصمتاه - من كل سوء والصحيح أنهما مدنيتان لما ورد أن سبب نزولهما واقعة السحر الصادرة من لبيد اليهودى ابن الأعصم مـــن بنـــى زريق للنبى ﷺ فحصل له وعك وربما خيل له أنه يفعل الأمر ولا يفعلـــه فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث، وفى رواية أنه مكث سنة ثم قال: يـــا عائشة أشعرت أن الله أفتانى فيما استفتيته فيه؟ أتانى ملكان جلس أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى، فقال الأول للآخر ما بالرجل؟ فقال: طب فقال: وما طب؟ فقال: سحر، قال: من سحره؟ قال: لبيد بـــن الأعصـــم قال: فى أى موضع وضعه؟ قال، فى بئر كذا، فجاء النبى ﷺ واستخرجه وفى رواية أنه قال: أما شعرت يا عائشة أن الله أخبرنى بدائى؟ ثم بعـــث علياً وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء، ثم رفعـــوا صخرة أسفل البئر يقف عليها من يستخرج المـــاء وأخرجـــوا الشـــىء الموضوع فيه السحر وهو وعاء فيه مشاطة رأس وأسنان من مشط، قيل إن ذلك من مشاطة رأس النبى ﷺ ومن أسنان مشطه وشىء معقود فيـــه إحدى عشرة عقدة مغروزة بالإبر فأنزل الله هاتين السورتين إحدى عشرة آية على عدد تلك العقد وأمره أن يتعوذ بهما، فجعل كلما قرأ آية انحلـــت عقدة وجبريل يقول: بسم الله أرقيك من كل شىء يؤذيك من شر كل نفس وعين حاسد الله يشفيك، فكأنما نشط من عقال، وروى أنهـــم قـــالوا: يـــا رسول الله أفنقتل هذا الخبيث؟ فقال:« **أما أنا فقد شفانى الله وأكـــره أن أثير على الناس شراً**» وروى أن نساء سحرت النبى ﷺ قال ابن زيـــد: وكن من اليهود، وقيل: من بنات لبيد بن الأعصم المذكور **(فيقـــول)** أى

التالى بعد البسملة **(قل أعوذ برب الفلق)** بمعنى المفلــوق وهــو جميــع الكائنات؛ لأنه تعالى فلق عنها ظلمة العدم بنور الإيجاد لا سيما ما يخرج من أصل كالنبات والعيون والأمطار والأولاد وقيل: الصبح لما فيه مــن تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور وللإشعار بأن من قــدر أن يزيل ظلمة الليل عن الكائنات قادر على أن يزيل عن العائذ مــا يخافــه وعن أبى هريرة – رضى الله تعالى عنه – هو جُبٌّ فى جهــنم مغطـــى وعن ابن عباس – رضى الله عنه – أنه سجن فى جهنم، وعن أبى كعب أنه بيت فى جهنم إذا فتح صاح أهل النار من حره، وقيل غير ذلك، **(من شر ما خلق)** أى أوجده كالكفر والظلم وإحراق النار، وقيل: هو إبلــيس وقيل: جهنم – أعاذنا الله من ذلك كله بجاه سيد الخلق ﷺ – **(ومن شــر غاسق)** أى ليل عظيم ظلامه **(إذا وقب)** أى دخل ظلامه فى كــل شـــىء وتخصيصه لأن المضار تقع فيه غالباً ويعسر فيه الدفع، ولذا قيل: الليــل أخفى للويل، وقيل: الثريا، وذلــك أنهــا إذا ســقطت كثــرت الأســقام والطواعين عادة، أى علامة على ذلك فى العادة، ولا تأثير لها، والمؤثر فى كل الأشياء الله وحده لا شريك له، وقيل: الحية إذا لــدغت، وقيــل: القمر إذا غاب، وقيل: إذا خسف **(ومن شر النفاثات فى العقد)** أى ومــن شر النساء اللواتى يعقدن عقداً فى خيوط وينفثن فيها والنفث نفخ مع ريق لأنهم كانوا إذا سحروا خلطوا عملهم بريقهم ليتكامل الخبث، قال العلامة الأمير فى ختمه على الأزهرية نقلاً عن البيضاوى – رضى الله تعــالى عنهما – فى وجه تأنيث النفاثات بالتاء: إنه جمع نفَّاثة "صــيغة مبالغــة" لأنه صفة للنساء، وذلك أن نساءً أعَنَّ لبيداً فى السحر كما تقدم اهـــ.

قال بعضهم: ولامانع أنه جمع نفَّاثة، والتاء فيه لتأكيــد المبالغــة كعلَّامة وحيث كان يعيذ من البالغ القوى فغيره أولـــى، وإنمـــا أفردهـــا

بالتعريف لأن كل نفاث شرير بخلاف كل غاسق وحاسد **(ومن شر حاسد إذا حسد)** أى إذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه فإنه لا يعود ضـــرره إلـــى المحسود إلا حينئذ، وأما قبل ذلك فالضرر خـــاص بـــه لغمـــه بســـرور المحسود ولعود الضرر عليه وحده كما قال على - كرم الله وجهه -: لله در الحسد ما أعدله من داء يضر الحاسد قبـــل المحســـود، بـــل ضـــرر المحسود غير محقق لأنه قد يرجع لكمد الحاسد وغمه ثانيا ويموت حزنا كما قال بعضهم:

اصبر على حسد الحسو د فإن صبـــرك قاتلـــه

فالنـــار تأكـــل بعضهـــا إن لم تجد مـــا تأكلـــه

وخص الحسد لأنه عمدة الضرر فى الحيوانات آدميا وغير آدمـــى كما يشاهد من بعض الحيوانات إذا سبقه غيره لنحو مأكول حسده وربما أذاه أذية شديدة، والحسد تمنى زوال نعمة المحسود وإن لم تصـــل الـــى الحاسد **(ويقول)** أى التالى بعد البسملة **(قل أعوذ برب الناس)** مشتق من ناس ينوس إذا تحرك فيشمل الجن والإنس، وقيل: المراد بهم خصـــوص الإنس **(ملك الناس إله الناس)** عطف بيان لما قبلهما وتكرير الناس لمـــا فى الإظهار من مزيد البيان والإشعار بشرف الناس على غيره لقوله جل شأنه: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾ [الإسراء:٧٠]، قال العلامة الأمير: وفـــى الآية ترتيب بديع وذلك أن الانسان يعرف أن له رباً لما شاهده ابتداء من أنواع التربية، ثم إذا تأمل عرف أن هذا الرب غنى عن غيره وهو الملك ثم إذا زاد التأمل عرف أنه هو المستحق للعبادة لا غير، وأيضا من ألـــم به ما يشتكيه لجأ إلى من يربيه كسيده أو أبيه فإن عجز فللحاكم فإن عجز فوض أمره لخالقه وإلهه، فكأنه قيل: لا أستعيذ إلا بالله من أول الأمر إلى

اخره لانه لا رب ولا ملك ولا حاكم ولا إله إلا هــو ســبحانه وتعــالى انتهى.

(من شر الوسواس) بفتح الواو مصدر بمعنى الوسوســة، أطلــق على الشيطان مبالغة على حــد "زيــد عَــدْل"، وقيــل: ذى الوســواس والوسوسة حديث النفس **(الخناس)** أى الذى من عادته أن يخنس إذا ذكر الإنسان ربه، فقد قال ﷺ: «**إن إبليس له خرطوم كخرطوم الكلب واضعه على قلب ابن آدم يذكره الشهوات واللــذات ويأتيــه بالأمــانى ويأتيــه بالوسوسة على قلبه يشككه فى ربه فإذا قال العبد: أعوذ بالله الســميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بالله أن يحضرون إنه هــو الســميع العليم خنس الخرطوم عن القلب**»، **(الذى يوسوس فى صدور النــاس)** قال مقاتل: إن الشيطان فى صورة خنزير يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق سلطه الله على ذلك، ووسوسته: الدعاء إلى طاعتــه بكــلام خفى يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع صوت اهــ.

(من الجنة والناس) بيان للوسواس أو للذى أو للناس بناء على ما مر من أن المراد به ما يعم الثقلين، قال قتادة: إن من الإنس شياطين وإن من الجن شياطين اهــ، واعترض بأن شيطان الإنس لا يوســوس فــى الصدور بل يأتى علانية بما يلقيه فى أذن الإنســان، وأجيــب بأنــه وإن وسوس فى الظاهر والعلانية لكن تصل وسوسته إلى القلب وتثبــت فيــه بالطريق المرادة إلى ذلك، وقد ورد أن من قرأ المعوذتين فكأنمــا قــرأ الكتب التى أنزلها الله تعالى، قال الشيخ الأمير: فإن قلت: توالى الســجع هنا على لفظ الناس وهو نظير الإيطاء المعيب فى الشعر، قلــت: محــل العيب إذا اتحد المعنى، وهنا لم يتحد؛ فإنه قال: قل أعوذ برب الناس، أى الصغار لأنهم أحوج شىء إلى التربية، ملك الناس، أى الشــباب لأنهــم

أحوج إلى ملك يكسر هيجان شبوبيتهم، إله النـــاس، أى الشـــيوخ لأنهـــم أحوج شيء إلى العبادة لقرب ارتحالهم وقدومهم على ربهم، وقوله: الذى يوسوس فى صدور الناس، أى الغافلين لأنهم هم الـــذين يوســـوس لهـــم وقوله: من الجنة والناس أى عموماً، فرجع للجنـــاس التـــام وهـــو مـــن المحسنات البديعية، وإذا سلمنا أن المعنى متحد فى الجميع فمحل العيـــب إذا خلا التكرار عن نكتة، وهنا نكتة حسنة وهى إظهار شـــرف النـــاس على غيرهم، قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَـــا﴾** [الإســـراء:٧٠] اهــــ. وقـــال العلامة الأمير المذكور: فى ختم القرآن بهذه السورة إشارة حسنة كأنـــه قيل: ما أنزلناه كاف، فلا تطلب بعده، بل اقتصِرْ على العمل به، واستعِذْ بالله من الشيطان لعلك تخلص فى العمل، وفيه سر بديع أيضاً وهـــو أن أول القرآن باء البسملة وآخره سين الناس كأنه قيل: بس ما فرطنـــا فـــى الكتاب من شيء، وقوله: بس أى هذا الأول والآخر وما بينهما بس، أى: كاف، فقوله ما فرطنا إلخ تعليل لقوله بس بمعنى كاف اهــ. يقول - أى التالى للورد - **(أستغفر الله العظيم)** أى أطلب منه مغفرتـــه أى ســـتره للذنوب، وقد جاء فى فضل الاستغفار آيات وأخبار كثيرة لا ســـيما فـــى الأسحار، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾** [آل عمران:١٣٥]، وقال تعالى: **﴿وَاسْـــتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [المزمل:٢٠]، وقال ﷺ: «**أنـــزل الله أمـــانين لأمتى: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ومـــا كـــان الله معـــذبهم وهـــم يستغفرون**[1] **فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة**»، رواه الترمذى عن أبى موسى، والعظيم من أسمائه تعالى، معناه: القادر الـــذى

---

[1] الأنفال: ٣٣

لا يعجزه شيء **(سبعين مره)** وخص هذا العدد لقوله عليه الصلاة والسلام: «**من استغفر الله كل يوم سبعين مرة لم يكتب من الكاذبين ومن استغفر الله فى كل ليلة سبعين مرة لم يكتب من الغافلين**»، ويقول أى التالى **(أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم بديع السموات والأرض)** أى موجدهما ومبدعهما لا على مثال سابق **(وما بينهما)** من العوالم التى لا يعلمها إلا هو **(من جميع جرمى)** أى ذنبى والمراد به الجنس أى من جميع ذنوبى عمدها وخطئها **(وظلمى)** أى لنفسى بإتيان المعاصى ولغيرى بأذيته وغيبته مثلاً، وهذا ظلم مذموم ولذا استغفر منه أما ظلم الإنسان نفسه بأن يمنعها من شهواتها فهو ممدوح **(وما جنيت على نفسى)** أى روحى بارتكاب الذنوب المعوق لها عن الترقى فى مقامات القرب، وفى رواية: وما جنيت به على نفسى **(وأتوب إليه)** أى وأرجع عن المعصية إليه أى إلى عفوه وكرمه **(ثلاثا)** أى يكرر التالى هذا الاستغفار ثلاث مرات **(بسم الله الذى لا يضر مع اسمه)** أى مع ذكر اسمه **(شىء)** كائن **(فى الأرض ولا فى السماء)** أى لأن الضار فى الحقيقة هو الله تعالى فكل من التجأ اليه باسم من أسمائه تعالى نجا فمن خاف من أذية أحد من خلقه أو سطوة ولى عليه، وقال: أنا فى حماك وكنفك يا الله حرسه الله، ومثل ذلك إذا قال: أنا فى حماك يا رسول الله؛ لأنه باب الله الأعظم، ومحل ذلك ما إذا صدق فى الاستناد والانقطاع إلى الله تعالى والالتجاء إليه **(وهو السميع العليم)** أى يقول التالى ذلك ويكرره **(ثلاثا)** لقوله ﷺ: «**من قال حين يمسى: بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم تصبه فجأة بلاء حتى يصبح، ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسى**» رواه أبو داود وابن حبان

عن عثمان بن عفان - رضى الله عنه -، وينبغى للتالى إذا وصل هـذا الموضع أن يوجه قلبه إلى ربه ويقبل عليه بكليته ويسكت سكتة لطيفة ثم يشرع بعد الاستئذان فى دخول حضرة الله تعالى مثلما تقدم بقوله: **(بسـم الله الرحمن الرحيم)** وأتى بها - وإن كان التوسل مرتبطاً بمـا قبلـه - لفصل التالى له بالسكتة كما مر، ولأنه ليس من جنس ما قبله وإن كـان مناسباً له باعتبار أنه لما استجار باسم الله وتحقق أنه سميع عليم ناسـب أن يناديه بقوله: إلهى إلخ، فإن قلت: إن الأذكار والـدعوات لا يطلـب الإتيان لها بالبسملة، قلنا: إن ذلك جائز محصل للبركة وإن لم يكن مندوبا **(إلهى)** أى يا معبودى فهو منادى حذفت منه ياء النداء وقد يعوض عـن حرف النداء بميم مشددة فيقال: "اللهم" وهو الكثير فى الأدعيـة الـواردة وقيل: إنه اسم الله الأعظم، ومن القليل كما هنا قوله ﷺ: «**إذا مات حامل القرآن أوحى الله تعالى إلى الأرض أن لا تأكلى لحمه، قالت: إلهى كيف آكل لحمه وكلامك فى جوفه؟**»، رواه الديلمى عن عائشـة، وقـول داود عليه السلام: إلهى ما حق عبادك عليك إذا هم زاروك فى بيتك، فإن لكل زائر على المزور حقاً؟ قال: يا داود فإن لهم علىَّ أن أعافيهم فى دنياهم وأغفر لهم إذا لقيتهم. كذا فى الجامع الصغير وفى الحديث: عـج حجـر إلى الله تعالى فقال: إلهى وسيدى عبدتك كذا وكذا سنة ثم جعلتنى فى أس كنيف، فقال: أما ترضى إن عدلت بك عن مجالس القضـاة، رواه تمـام وابن عساكر عن أبى هريرة **(أنت المدعو)** بتشديد الواو خبر أنـت، أى المسئول لا غيرك كما يستفاد من تعريف الخبر باللام **(بكـل)** الباء حرف جر وكل مجرور بالباء وهى كلمة يؤتى بها لاسـتغراق أفـراد المنكـر المضاف إليه كما هنا أو أفراد المعروف المجموع نحو ﴿**وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ**

الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم:٩٥] أو أجزاء المفرد المعرف نحو قوله تعالى: ﴿**يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾** [غافر:٣٥] بإضافة قلب إلى متكبر أى على كل أجزائه، وأما قراءة التنوين فهى لعموم أفراد القلوب **(لسان)** هو آلة النطق والمراد به ما يشمل الحال والمقال، ولسان الحال أفصح من لسان المقال، فإن الثانى قد يخبر ولا يصدق، بخلاف الأول فإنه صادق ولابد كما أن القلب اذا شهد بشيء لا يكذب، والعين وقد تشير بأمر فتكذب فالموجودات كلها تدعو خالقها وتسأله لافتقارها إليه فقراً ذاتياً، فما من فرد منها إلا وهو سائله سبحانه وتعالى فى كل لحظة وأدق من اللحظة لاحتياجه إليه، والدعاء مستجاب ولابد، إما بعين ما طلب سريعاً، أو بعد مدة، أو بغيره، أو بادخار ثواب له فى الدار الآخرة بحسب تقديره تعالى **(والمقصود)** أى الذى لا يقصد سواه **(فى كل آن)** أى وقت حاضر، وإذا كنت المسئول والمطلوب، ولا سواك يجيب السائل ويعطى الآمِل فجُدْ علىَّ بما فيه دوائى وخلصنى من أعدائى **(إلهى أنت قلت)** وقولك ووعدك الصدق **(ادعونى)** بضم الهمزة أى اسألونى بناء على أن المراد بالدعاء فى الآية السؤال، وقيل: إن المراد به العبارة، والمعنى عليه: اعبدونى بدليل قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾** [غافر:٦٠]، وعلى الأول فالمراد بالعبادة فى ذلك الدعاء، وعبر بها عنه لأنه من أبوابها **(أستجب لكم)** أى أعطكم أو أثبكم **(فها)** الفاء للسببية، وها للتنبيه نائبة مناب اسم الاشارة إذ قد يكتفى بها عنه والمعنى: فبسبب هذا أى أمرك لنا بالدعاء وعدتنا بالإجابة **(نحن متوجهون إليك)** أى إلى سؤالك والطلب منك؛ إذ ليس هناك من يُسْأل منه غيرك، وضمير "نحن" للمتكلم ومعه غيره، ويصدق على التالى وحده أنه

جماعة إما بالنظر إلى نفسه مع عوالمه الباطنية من إيمان ويقين وعقل وغير ذلك أو الظاهرية من جوارح البدن، وإما أن يلاحظ أنه نائب في الدعاء عن جميع العالم فيصير كأنه العالم كله ويحصل له ثواب ذلك كما إذا نوى أن الله إذا أعطاه قوة جميع العالم لعبده بها أثيب على نيته لأن الأعمال بالنيات لحديث وارد في ذلك **(بكليتنا)** أى بجملتنا، وينبغى أن يحضر التالى قلبه حينئذ ويتوجه بسره لمولاه ليكون صادقاً في قوله ويراعى عظمة من يخاطبه وأنه عالم به كما مر فى قوله تعالى: **(إياك نعبد وإياك نستعين)** فإن أهل اليقين يستحب عندهم الحضور بكليتهم لعظمة مولاهم عند قوله: **(إياك نعبد وإياك نستعين)** **(فلا تردنا)** أى لا تصرفنا عن بابك بدون إجابة لأن الكريم لا يرد سائلاً لا سيما وقد بسطنا إليك أكفنا ففى الحديث: «**إن الله حيى كريم يستحيى إذا رفع الرجل يديه أن يردهما صفراً خائبتين**»، رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم عن سلمان **(واستجب لنا)** أى تقبل منا دعاءنا كرماً وفضلاً **(كما وعدتنا)** فى قولك: ﴿**أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ [البقرة:١٨٦] وأنت سبحانك لا تخلف الميعاد، وإذا كان العبد متوجهاً إلى مولاه بكليته سائلاً منه عوائد جوده انكشفت له الأستار عن بحر الإمداد المحيط وتحقق أنه لا مفر منه ناسب أن يقول: **(إلهى أين المفر منك)** أى: أى مكان يمكن فيه الفرار منك؟ لأن أين للاستفهام عن المكان وهو استفهام إنكارى مشوب بتعجب فيكون بمعنى النفى، أى: لا يمكن ذلك **(وأنت المحيط بالأكوان)** جملة حالية فى قوة التعليل لما قبلها فلا يمكن الفرار منه تعالى إلا إليه، وقد أمرنا بالفرار إليه بقوله تعالى: ﴿**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ**﴾ [الذاريات:٥٠] والمحيط وصف ذاتى راجع إلى معنى العلم دال على الاحتواء على

جميع الاشياء كما فى قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت:٥٤]، أو راجع إلى معنى القدرة كما فى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ **مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة:١٩]، بمعنى أنه قادر عليهم فالإحاطة إما عامة أو خاصة، والله تعالى محتو على جميع الممكنات بعلمه وقدرته والأكوان جمع كون وهو عبارة عن كل ما سواه تعالى وإذا تجلى باسمه الظاهر على العبد شهد الأكوان جميعا عين الحق أى من حيث ظهورها به وقيامها بقيوميته وأن لا وجود لها من نفسها ولا يفرق بين شىء منها من حيث إن كلها مخلوقة له تعالى ويشهد له قوله تعالى: ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**﴾ [البقرة:١١٥]، **(وكيف البراح عنك)** عطف على أين وكيف اسم استفهام مبنى على الفتح كأين لتضمنه معنى الشرط والاستفهام للإنكار المشوب بتعجب فيكون بمعنى النفى، أى لا يمكن البراح أى الزوال والانفكاك عن الإقبال عليك والوقوف بين يديك قال فى "المصباح": برح يبرح من باب تعب براحاً: زال من مكانه **(وأنت الذى قيدتنا)** أى أوثقتنا أى فلم يمكنا الهرب إلى غيرك **(بلطائف)** جمع لطيفة وهى كل شىء فيه لطف ورفق بالعبد من أمور الدنيا والدين وقوله: **(الإحسان)** أى الإنعام والامتنان، ومن كان موثقاً بلطائف إحسانك كيف يمكنه البراح عن دائرة إسعافك وقد أحاطت به من كل جانب سوابغ ألطافك؟ لأن المحسَن إليه أسير المحسِن لقوله ﷺ: «**أحسن إلى من شئت تكن أميره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره**»، ولما ذكر المصنف أنه تعالى محسن، وكان من جملة إحسانه التوفيق للطاعة ومع كونها نعمة لا ينبغى الركون إليها ناسب أن يقول بلسان الافتقار: **(إلهى إنى)** إن حرف تحقيق والياء ضمير المتكلم وأنية

الشيء حقيقته وهى عبارة عن نفسه **(أخاف)** أى أفزع، فإن الخوف يستعمل بمعنى الفزع، والخوف منه تعالى أساس كل خير كما ورد فى الخبر: «**رأس الحكمة مخافة الله تعالى**» **(أن تعذبنى)** أن حرف مصدرى ونصب وتعذب فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه فتح آخره والنون للوقاية والياء ضمير المتكلم مفعول تعذب، والعذاب العقاب – نرجو السلامة منه بجاه سيد الخلق عليه الصلاة والسلام – أى تعذيبك لى **(بأفضل أعمالى)** أى أشرفها وأحسنها كالصلاة لوقتها وبر الوالدين والجهاد فى سبيل الله تعالى؛ فإن الصلاة لوقتها وما بعدها أشرف الأعمال وأحسنها، وحسن العمل أن يشهد العبد فيه أن الله تعالى هو الفاعل له، وأنه محل لظهور ذلك العمل فقط، فالحق سبحانه وتعالى هو الذى أنشأ صور الأعمال، قال تعالى: **﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾** [الصافات:٩٦]، وقال تعالى:**﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ﴾** [التوبة:١٠٥]، فأثبت لنا سبحانه وتعالى عملاً من حيث الكسب وإن كان منفياً عنا من وجهة الاستقلال والخلق وإنما أضافه تعالى إلينا لأننا محل لظهوره، ثم إذا كشف عن بصيرتنا رأينا الأفعال كلها له سبحانه وتعالى ثم مع هذا المشهد العظيم لابد فيه من القيام بالأدب، فما كان من حسن شرعا أضفناه إليه تعالى خلقاً وإلينا محلاً، وما كان من قبيح شرعاً أضفناه إلينا كسبا، وفى الحقيقة فالكل من عند الله تعالى، قال تعالى: **﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ﴾** [النساء:٧٩]، أى ايجادا وخلقا، **﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾** [النساء:٧٩]، أى كسباً لاخلقاً يشهد له: **﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ﴾** [النساء:٧٨] وانظر إلى أدب الخضر عليه السلام حيث قال:**﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾** [الكهف:٨٢]، وقال: **﴿فَأَرَدتُّ أَنْ**

أعيبها﴾ [الكهف:٧٩]، وكذلك قول إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام: **﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾** [الشعراء:٨٠] حيث نسب الهداية والإطعام والشفاء له تعالى والإمراض لنفسه تأدباً، وإلا فالكل من الله تعالى، وكذلك الصوفية لا يرون لأنفسهم عملاً ولا يعيبون فعل أحد بل كل فعل من حيث صدوره من الله تعالى جميل كما قال بعض العارفين:

إذا ما رأيت الله فى الكل فاعلاً رأيت جميع الكائنات ملاحا
وإن لم تر إلا مظاهر صنعه حجبت فصيرت الملاح قباحا

وقال الجنيد – قدس سره –: إياك أن تقف فى حضرة شهود الفعل لله وحده دون عباده فتقع فى مهواة من التلف ولا ترى لك مع ذلك قط ذنبا فتهلك مع الهالكين.

(فائدة) قال العارف الشعرانى نقلا عن شيخه الخواص – رضى الله تعالى عنهما –: إن لم تخف أن يهلكك الله تعالى بالنقص الذى فى أعمالك الصالحة عندك فضلاً عن معاصيك فأنت هالك، وكان السرى السقطى – قدس سره – يقول: كلُ من ظن فى نفسه أنه محسن فهو ممن زين له سوء عمله ومن لم يظن بنفسه أنه هالك فهو هالك اهـ.

وكان شيخنا سيدى محمد السباعى ينقل عن والده سيدى صالح السباعى وهو عن شيخه الدردير – رضى الله تعالى عنهم أجمعين – أنه كان يقول: أنا مثلى يوم القيامة تجمع عبادتى وتلف كالخرق وترمى فى وجهى اهـ. قلت: هكذا شأن العارفين الكاملين لا يرون لأنفسهم عملاً البتة يعتمدون عليه؛ لأن الاعتماد على العمل يوقع فى الخلل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، قال سيدى أحمد بن عطاء الله السكندرى –

قدس سره -: من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجـود الزلل، وإذا كنت أخاف من عذابك حال كونى ملتبسا بأفضـل أعمـالى **(فكيف لا أخاف من عقابك)** أى عذابك **(بأسوأ)** أى أقبح **(أحوالى)** جمـع حال، قال فى "المصباح": والحال صفة الشيء يذكر ويؤنث فيقال: حالـة حسن وحسنة، وقد يؤنث بالهاء فيقال حالة اهـ، والحال عند القـوم مـا يرد على القلب من غير تصنع ولا اجتلاب وهو من المواهب، والمقامات مكاسب كما قال بعض العارفين:

الحال ما يهب الرحمن من منح عناية منه لا كسب ولا طلب

فمورد الحال عين الوجود منه تعالى، ومـورد المقامـات بـذل المجهود فى طاعته مع الإخلاص فى العمل مع مصاحبة الخـوف؛ لأن استصحابه من شيم أهل الإيمان وفقده علامة الخذلان والخسـران لمـا يترتب عليه من الغفلة عن الله تعالى، قال بعض الأعيان ما معنـاه: مـا أمن عبد على نفسه سَلْبَ الإيمان إلا عوقب بالافتتان، نسـأل الله تعـالى الأمان بجاه سيد ولد عدنان ﷺ، ولما تحقق أن الأعمال المعلولـة ينبغـى الخوف منها، ولا مهرب إلا إلى الله تعالى التجأ إليه بقوله: **(إلهى الحق)** أى أقسم عليك بحرمة **(جمالك)** أى بصفة جمالك، والقسم عليـه تعـالى بصفته على حقيقته؛ لأن القسم شرعاً إما أن يكون باسم مـن أسـمائه أو بصفة من صفاته، أما القسم عليه تعالى بغيرها فلا يجوز، وأما استسـقاء عمر بالعباس - رضى الله تعالى عنهما - وقوله عليه الصلاة والسـلام: «**اللهم إنى أقسم عليك بنبيك محمد نبى الرحمة**» وقول الشاذلى لتلميـذه أبى العباس المرسى - رضى الله تعالى عنهما -: "إذا عرضت لك إلـى الله حاجة فأقسم عليه بى" فمحمول على التوسل لا القسم الشرعى، وجَوَّزَ بعضهم القسم به صلى الله عليه وسلم خاصة لأنه أفضل الخلـق علـى

الإطلاق، ثم اعلم أنه لا ينبغى من تمام الأدب مع الله تعالى أن يقسم على الله تعالى ولا أن يتوسل إليه إلا بما هو عظيم عنده، وكـذلك المقسم لا يقسم إلا بما هو جدير أى حقيق بالقسم عنده، ومنه قوله سيدى محيى الدين - قدس الله سره -:

وحق الهوى إن الهوى سبب الهوى   ولولا الهوى فى القلب ما عبد الهوى

فلولا تصوره - رضى الله عنه - عظمة الهوى عنده ما أقسم به ومثله قول سيد العاشقين عمر بن الفارض - رضى الله عنه -:

وحرمة عهد بيننا عنه لم نخل   وعقد بأيد بيننا ماله حل

واعلم أن أسماءه تعالى تنقسم إلى جمالية وجلالية وكمالية وذاتية فالأسماء الذاتية كالله والواحد والأحد والفرد، والكمالية وهى التى لها وجه إلى الجلال ووجه إلى الجمال كالرحمن والملك والرب والمهيمن والجلالية كالكبير والمتعال والعزيز والعظيم، والجمالية كالعليم الرحيم السلام المؤمن، وإذا ظهر أحد الوصفين على شخص بطن الآخر بطوناً نسبياً، والكامل من أهل الله من استوى جماله وجلاله فى شهوده، ثم وصف المصنف - رحمه الله تعالى - ذلك الجمال بقوله: **(الذى فَتَّتَتْ)** بتشديد التاء الأولى وسكون الثانية وفتح الثالثة أى قطّعَتَ ومَزّقَتَ **(بـه)** أى بذلك الجمال المطلق **(أكباد)** جمع كبد وهى معروفة، وقد كان الصديق الأكبر - رضى الله عنه - إذا قام إلى الصلاة تغير لونه، وإذا دخل فيها يشم منه رائحة الكبد المشوى لاستيلاء تجلى عظمة الحق تعالى عليه وعنه ينشأ لهيب الأكباد لاسيما إذا كان معدوداً من **(المحبين)** الذين كملت فيهم أوصاف المحبة وظهرت عليهم أوصافها، والمحبون على أقسام ثلاثة: عوام، وخواص، وخواص الخواص، أما الأول فمحبتهم له تعالى لوفور إحسانه، وأما الثانى فمحبتهم خالصة عن الشوائب، وأما

الثالث فمحبتهم عبارة عن التعشق الذى به ينمحى العاشق عند تجلى نور معشوقه، ولا تحصل هذه المحبة إلا بعد اليقين، وأكمل الخلق فى المحبة سيدنا محمد ﷺ إذ الحب أصل المقامات التى عنها ظهر الوجود كما ورد فى بعض الكتب الإلهية: «**كنت كنزاً مخفياً لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فبى عرفونى**»، وهو ﷺ أصل الموجودات فأعطى سبحانه وتعالى الأصل للأصل، واعلم أن المحب لا يغفل عن محبوبه ومطيع له على القيام بما إليه دعاه؛ فإن المحب ولو تغافل لا يغفل عن ذكر الحبيب فى كل حال، أى من حالتى بعده وقربه؛ لأن المحبة دين أهل الله تعالى كما قال سلطان العاشقين ابن الفارض:

وعن مذهبى فى الحب مالىَ مذهبُ وإن ملت يوما عنه فارقت ملتى

وقال بعض المحبين أيضا:

لو تغافلت عنكم ما أجابت أجنتى

كيف أسلو جمالكم وهْو بادٍ بمهجتى

وهواكم وحبكم مكنا فى حشاشتى

يا أحباى أنتم أهل دائى وعلتى

فانعموا لى بوصلكم واسمحوا إلى بزورتى

لا عَدِمْنا جنابكم يا أهيل المودة

(وبجلالك) أى وأسألك بجلالك الذى هو وصف إلهى ينشأ عنه فى القلوب هيبة، وبه ظهر الاسم الجليل كما أن الجمال ينشأ عنه فى القلوب أنس وبسط وبه ظهر الاسم الجميل، ولا يتعلق بالجلال إلا العارفون بالله تعالى فليس له أثر إلا فيهم دون المحبين، ولما كان الجلال أعلى من الجمال لما فيه من الهيبة والرهب المقتضيين للأدب ترقى المصنف من

ذكر الجمال إلى ذكر الجلال ثم وصفه بقوله: **(الذى تحيــرت)** الحيــرة مأخوذ من حار يحير حيراً إذا لم يعرف الصواب، وذلك أن المحبــة إذا أفرطت وتجاوزت حدها تأجج بإفراطها نــار الشــوق فتطلــب الــروح المواصلة فإذا لمع لها برق وجه الحبيب كاد أن يخطف بصرها فتطــرق وجلا وخجلا، وهذه الحيرة هى الممدوحة، ولذا كــان بعــض المحبــين يطلبون الازدياد منها كما قال سلطان العاشقين ابن الفارض؛

زدنى بفرط الحــب فيك تحيــراً وارحم حشاً بلظى هواك تسعرا

وقال العارف الدردير – رضى الله تعالى عنه –: وزدنى بفــرط الحب فيك تفننا، وهو أبلغ من قول ابن الفــارض "تحيــرا" ومــن أراد توضيح ذلك فعليه بشرح الشيخ المصنف الكبير **(فى عظمتــه)** أى فــى عظمة ذلك الجلال الذى دكت من هيبة تجليه الجبال **(ألبــاب العــارفين)** جمع لب وهو العقل الكامل، والعارفين جمع عارف، وهو كل من بــدت لعين قلبه أنوار المعارف الإلهية وهى الفيوضات الواردة علــى قلــوبهم بسبب تخلقهم بالأخلاق المحمدية أى اتباعهم لها، ولا يدل على الأخــلاق المحمدية إلا العارفون بربهم، فمن أراد السلوك والوصول إلى الله تعالى فليلزم شيخاً كاملاً على الكتاب والسنة فيزنه على ميزان الشــريعة قبــل الأخذ عنه فإن وجده مقتفياً آثار القدم المحمدى فليطلب رضا الله تعــالى فى رضاه، ويلزمه ويعتقد أنه أكمل أهل عصره ويتأدب معه فعســاه أن يكسى من نور حاله خلعة يصفو بها باطنه من الشهوات، وهذا المعنــى هو معنى قول بعض العارفين معرفاً للتصوف بقوله:

يا واصفى أنت فى التحقيق موصوفى وعارفى لاشتغالى أنت معروفــى

إن الفتى مــن بعهده فى الأزل يوفى صافى فصوفى لهذا سمى الصوفى

وأما إذا رأيته غير مقتفٍ للآثار المحمدية بأن يكون حسن الظاهر خلى الباطن بميله للشهوات مع اعتقاده كمال نفسه ولو كان كثير العبادة ظاهراً فإن ذلك من فرط جهله وعجبه، والعجب حرام؛ فإن أهل الكمال لا يرون لأنفسهم فعلاً، فإذا رأيته هكذا فعليك بنفسك والزم باب سيدك وأكثر من الصلاة على الواسطة العظمى، فإن ذلك يكون سبباً لتنوير قلبك وصفائه كما تقدم لك تحقيق ذلك وإياك أن تستعظم ما تتقرب به لسيدك فإنه لم يصل له منه شىء، قال تعالى: **﴿وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾** [الأنعام:٩١]، [الزمر:٦٧]، وإنما يكون ذلك التوفيق سبباً لسرورك، حيث جعله على يديك والفعل له ونسبه إليك، ولذلك قال العارف ابن عطاء الله السكندرى - رضى الله تعالى عنه - فى حكمه: لا تفرحك الطاعة حيث صدرت منك إليه، وإنما تفرح بها حيث كانت هدية منه إليك؛ فإنه من فضله ومنّه عليك خلق العمل ونسبه إليك من حيث كسبه كما تقدم لك توضيح ذلك، وسئل ذو النون - رضى الله تعالى عنه - عن العارف فقال: إنه مترق فى المقامات فى كل نفس؛ إذ له فى كل نفس معراج وفى كل حركة أو سرور منهاج يستر مقامه بحاله وحاله بمقامه، فتجهله أرباب الأحوال لحاله وأرباب المقامات لمقامه تدور عليه المقامات ولا يدور عليها، عرفه الحق آثار أفعاله وتجليات جماله وجلاله، ولا يعرفه إلا العارف مثله، وصفات العارف أكثر من أن تحصى، وإذا حارت الألباب فى صفاته فكيف لا تحار فى ذاته؟ فإنها لا تحيط بها الفكرة، ولذلك لما طلب كفار قريش من النبى ﷺ إدراك الحقيقة حيث قالوا: صف لنا ربك - ومرادهم بالوصف بيان الكنه والحقيقة - فأنزل الله تعالى: **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾** [الإخلاص:١]، فأجابهم بالوصف

إشارة إلى أن طلبهم الكنه جهل منهم وأن ذلك يعجز عنه كل مخلوق، فلا ملك مقرب ولا نبى مرسل يعلم ذلك، قال تعالى: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام:١٠٣]، ولا يعلم الله إلا الله، ولذلك قال الصديق الأكبر: سبحان من الجهل بذاته هو عين العلم ولذلك علق النبى ﷺ معرفة ذاته تعالى على مستحيل حيث قال «**من عرف نفسه عرف ربه**» على بعض التأويل فيه؛ فإنه يحتمل أنه من باب التعليق، وذلك أنه ﷺ علق معرفة الرب على معرفة نفسه، ومعرفة النفس غير ممكنة، فيكون المعلق كذلك، والمعنى: أنت لا تدرك حقيقة نفسك التى بين جنبيك فكيف تدرك حقيقة من أوجدك؟ ويحتمل أن معنى الحديث من عرف نفسه بالعجز والافتقار والحدوث عرف ربه بالاستغناء المطلق والقدم والدوام والاحتمال الأول أظهر فى التأييد، ولذلك المعنى قال الغزالى رداً على الزمخشرى حين سأله عن معنى قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:٥]، فأجابه كما هو طريقة السلف بتفويض الأمر مع التأويل الإجمالى أن الاستواء معلوم، والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة، كما أجاب بذلك مالك – رضى الله تعالى عنه – حين سئل وطريق الخلف تفسير استوى باستولى بالقهر والغلبة وكما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

فالمعنى الحقيقى غير ممكن والتأويل لابد منه سلفاً وخلفاً غير أنه عند الخلف تفصيليا والسلف إجماليا، ولذلك لما طلب الزمخشرى من الغزالى التفصيل رد عليه بالتشنيع بقوله:

قل لمن يفهم عنـــى مـــا أقـــول قصر القول فـــذا شـــرح يطـــول
ثم ســـر غـــامض مـــن دونـــه قصـــرت والله أعنـــاق الفحـــول
أنـــت لا تعـــرف إيـــاك ولا تدر من أنت ولا كيف الوصـــول
لا ولا تـــدرى صـــفات ركبـــت فيك حارت فى خفاياها العقـــول
أين منك الروح فـــى جوهرهـــا هل تراها فتـــرى كيـــف تجـــول
وكذا الأنفـــاس هـــل تحصـــرها لا ولا تدرى متى عنـــك تـــزول
أيـــن منـــك العقـــل والفهـــم إذا غلب النوم فقل لى يـــا جهـــول
أنـــت آكـــل الخبـــز لا تعرفـــه كيف يجرى منك أم كيف تبـــول
فـــإذا كانـــت طوايـــاك التـــى بين جنبيك كـــذا فيهـــا ضـــلول
كيف تدرى من علـــى العـــرش لا تقل كيف استوى كيف النزول
كيف يحكى الرب أم كيف يـــرى فلعمـــرى لـــيس ذا إلا فضـــول
فهـــو لا أيـــن ولا كيـــف لـــه فهو رب الكيف والكيف يحـــول
وهو فوق الفـــوق لا فـــوق لـــه وهو فى كل النواحى لا يـــزول
جـــل ذاتـــا وصفات و سمـــا وتـــعالـــى قـــدره عما تقـــول

ولذلك ناسب أن يقول: **(إلهى بحق حقيقتك)** أى ذاتك العلية، قـــال السيد فى "التعاريف": حقيقة الشىء ما به الشىء هـــو هـــو، كـــالحيوان الناطق للإنسان بخلاف مثل الضاحك والكاتب مما يمكن تصور الإنسان بدونه وقد يقال: إن ما به الشىء هو هو باعتبار تحققه حقيقة وباعتبـــار تشخصه هوية ومع قطع النظر عن ذلك ماهية **(التى لا تدركها الحقائق)** أى لا تحيط بها العقول والأفكار كما فـــى الحـــديث الشـــريف: «إن الله **احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار**»، فحقيقته تعالى لا يمكـــن إدراكها لا فى الدنيا ولا فى البرزخ ولا فى الأخرة لأكمل الخلق ســـيدنا

محمد ﷺ فضلاً عن غيره، ويشهد له قوله تعالى: ﴿**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ**﴾ [المائدة:١١٦]، ما عرفناك حق معرفتك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، ويصح أن يراد بالحقائق حقائق الممكنات وهى أنوار مجردة عن المادة، وإذا كانت تلك الحقائق مع تجردها لاتدرك حقيقة الرب فكيف بغيرها من بقية الموجودات؟ لأن المخلوق لا يدرك كنه خالقه بحال بل ذلك أمر محال لارتفاع المناسبة بين ذات الحق وذات الخلق، والحاصل أن لكل شيء من الممكنات سواء كان مكاناً أو زماناً أو حيواناً أو غير ذلك حقيقة كما في الحديث الشريف: «**كيف أصبحت يا حارثه؟**»، فقال: أصبحت مؤمناً حقا، فقال ﷺ «**إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟**»، قال: عرفت نفسي الدنيا فتساوى عندى ذهبها وحجرها ثم قال: وكأنى أرى عرش ربى بارزاً الجنة عن يمينه والنار عن شماله والناس يساقون إلى الجنة أفواجا وإلى النار أفواجا، فقال ﷺ: «**عرفت فالزم**»، ولتلك الحقيقة حقيقة جامعة ولتلك الحقيقة الجامعة حقيقة أجمع منها وهكذا إلى أن ينتهى الأمر إلى حقيقة الحقائق، مثال ذلك الأصبع من اليد فإن لها حقيقة جامعة وهى اليد لجمعها للأصبع، ولليد حقيقة أجمع منها وهى الجسد، وللجسد حقيقة أجمع منه وهى العناصر، وحقيقة الحقائق النور المحمدى وهى المرادة بالهيولى فى كلام بعضهم، وكذا يقال فى الزمن فالدقيقة حقيقة، وأجمع منها حقيقة الدرجة وأجمع منها حقيقة الساعة، وهكذا إلى السنة، ولكل منزل من بلدة حقائق كثيرة باعتبار أجزاء بنائه التى قام عليها، وأجمع منها حقيقة محلته التى هو فيها، وأجمع منها حقيقة البلد وهكذا والمكاشف يعاين تلك الحقائق ويشاهدها ويخاطبها وتخاطبه عنها، وجميع هذه

الحقائق فى معرفة حقيقته تعالى حائرون، ولعزتــه ســائرون، ومنتهــى وصولها الاعتراف بالقصور عن إدراك حقيقته تعالى **(وبسرّ سرّ سرّك)** أى وأقسم عليك بما خفى من خفى سرك الذى أودعته فى قلوب أحبابــك والأسرار تتعدد بتعدد المقامات، فالأسرار المضافة فى مثل ذلك كسر سر سر السر ليست راجعة إلى معنى واحد بل هى نتائج يتوقف بعضها على بعض فالسر الثانى متوقف على الأول وهكذا إلى مالا يتنــاهى، وهــى بحسب أطوار السالكين، فصاحب المقام الأول لــه أســرار، أى علــوم وأنوار، ولتلك الأسرار أسرار يدركها صاحب المقام الثانى، وكل سر له ذوق بعيد وقريب وأقرب بحسب بدايته وتوسطه ونهايته وهكــذا مــا دام السير إلى الله تعالى لا ينقطع دنيا وأخرى، وقال القشيرى: السر مالــك عليه استشراف، وسر السر مالا يطلع عليه إلا الله اهـ. ويصح تخــريج كلام المصنف عليه، فالمعنى حينئذ: وأقسم عليك بسر أى بحــق خفــى سرك المخزون عندك، والسر تارة يطلقونه على معنى ألطف من الروح والروح أشرف من القلب وتارة يطلقونه على العلوم والأنوار والأحــوال المصونة المكنونة بين العبد والحق، وعليه يحمل قول من قال: أســرارنا بكر لا يفتضها وَهْم واهم، وقال بعض العارفين: صدور الأحرار قبــول الأسرار؛ فإن الله سبحانه وتعالى يغار أن تبدو أسراره المصونة لقلــوب بشهود الغير مفتونة وأنشد بعض العارفين فقال:

ومستخبر عن سر ليلى رددته بعمياء من ليلى بغيــر يقيــن
يقولون خبرنا فأنــت أمينهــا وما أنا إن أخبرتهــم بــأميــن

وقال الآخر:

من أطلعوه علــى ســر فبــاح بــه لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

وعاتبوه على ما كان من زلل وأبدلوه مكان الأنس ايحاشا

زلل لا يصطفون مذيعا بعض سرهم حاشا ودادهم من ذلكم حاشا

(الذى لا تفى) أى لا تقدر أن توفى **(بالإفصاح)** أى الإظهار والإبانة **(عن حقيقته)** أى ماهيته وذاته **(الرقائق)** جمع رقيقة وهى اللطيفة الروحانية التى لايعلمها إلا الله تعالى، وتطلق على الواسطة اللطيفة الرابطة بين الشيئين كالمدد الواصل من الحق إلى العبد، والمعنى أن الرقائق لا تفى بإظهار حقيقة سر السر من كل وجهة، أو المعنى: لا تفى بإظهار ذلك لكون كتمه واجباً على من لاح له، ولما توسل بالحقيقة العلية وبسر سر سرها تدلى متوسلاً بروح القدس فقال: **(إلهى بروح القدس)** أى الروح المقدسة، أى: المطهرة، أو: روح الأرواح، وهو المنفوخ فى آدم، قال تعالى: **﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾** [الحجر:٢٩] [ص:٧٢] أو جبريل عليه السلام، قال تعالى: **﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾** [البقرة:٨٧]، [البقرة:٢٥٣]، أى قويناه، وقيل: عيسى عليه السلام ووصف بذلك لطهارته عن مس الشيطان **(قدّسْ)** أى طهر عن الشوائب **(سرائرنا)** جمع سريرة، قال فى "المختار": السر: الذى يكتم، وجمعه أسرار، والسريرة مثله، وجمعها سرائر اهـ، أى طهرها من كل ما يعيقها عن السير إليك ببركة توجه روح القدس إليها **(وبروح محمد ﷺ)** أى وأتوسل إليك بروح سيدنا محمد أى التى هى أشرف الأرواح والموجودات وروح العالم روح الأشباح والأب الأول؛ لأن العالم كان قبل ظهوره ﷺ جسماً مسوى معدلاً كالجنين، ثم بعد ظهوره ﷺ حلت الحياة فى العالم، وبعد انتقاله ﷺ يصير العالم كالنائم فإذا بعث ﷺ حصل الانتباه واليقظة بعد النوم، قاله سيدى محيى الدين فى "فتوحاته" **(خلِّصْ**

معارفنا) جمع معرفة أى اجعلها خالصة من كل شبهة وضلالة وزيغ وجهالة ببركة إمداد روحه الشريفة المطهرة ﷺ **(وبروح أبينا آدم)** عليه الصلاة والسلام أى من حيث ظهور النشأة الإنسانية وإن كان الأب الأول من حيث الوجود الأصلى هو سيدنا محمد ﷺ وآدم أول الرسل كما فى الحديث: «**أول الرسل آدم وآخرهم محمد ﷺ وأول أنبياء بنى إسرائيل موسى وآخرهم عيسى، وأول من خط بالقلم إدريس**»، رواه الحاكم عن أبى ذر، وهو مشتق من الأدمة، أو من أديم الارض الذى هو ظاهر وجهها لخلق جسده المسوى منها **(اجعل)** أى صير بفضلك وَجُودِكَ، وهذا جواب القسم **(أرواحنا)** جمع روح، ثم اعلم أن الناس قد اختلفوا فى الروح على فرقتين: فرقة أمسكت عن الكلام فيها لأنها سر من أسرار الله تعالى ولم يؤتِ علمه لبشر ولا لملك، ولذلك قال الجنيد سيد الصوفية – رضى الله تعالى عنه – عن الروح: شيء استأثره الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه أحداً من خلقه ولا يجوز لعباده البحث عنه بأكثر من أنه موجود، وعلى هذا ابن عباس وأكثر السلف ويدل له ما رواه الشيخان عن ابن مسعود قال: كنت مع النبى ﷺ فى خرب المدينة وهو متكئ على عسيب، فمر قوم من اليهود عليه فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح وقال بعضهم: لا تسألوه، فسألوه فقالوا: يا محمد ما الروح؟ فما زال متكئاً على العسيب فظننت أنه يوحى إليه، فقال النبى ﷺ ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾ [الإسراء:٨٥]، وذكر فى "المواهب اللدنية" أن هذه الآية كانت سبباً فى إسلام عبد الله بن سلام حيث كان علامة نبى آخر الزمان تفويض أمره الى الله تعالى فى حقيقة الروح ووقت الساعة، فلما سئل النبى عن ذلك تلا الآيتين: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ**

الرُّوحِ﴾ [الإسراء:٨٥]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ [الأعراف:١٨٧] الآيتين، فأسلم وحسن إسلامه، ولذلك قال ابن جرير: لما نزلت هذه الآية قالت اليهود: وكذا نجده فى كتبنا من أن الساعة أبهمها الله تعالى فى القرآن والتوراة وكتم عن خلقه علمها فمن أين الاطلاع على حقيقتها؟ وهذا هو المختار فى حقيقة الروح، قال بعض العارفين: ولعل الحكمة فى إبهام الروح تعريف الخلق عجزهم عن علم ما لايدركونه فيضطروا إلى رد العلم إليه سبحانه وتعالى، وفرقة تكلمت فيها وبحثت عن حقيقتها وحملوا النهى على الكراهة، قال الإمام النووى: وأصح ما قيل فى ذلك قول إمام الحرمين أنها جسم لطيف مشتبك بالأجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الأخضر، وإلى هذا الخلاف أشار اللقانى بقوله:

ولا تخض فى الروح إذ ما وردا نص عن الشارع لكن وجدا

لمالك هى صورة كالجسد فحسبك النص بهذا السند

وعلى المختار من التفويض هل علمها النبى ﷺ أو لا؟ طريقتان والتحقيق أنه لم يفارق الدنيا حتى أعلمه الله تعالى بسائر المغيبات التى يليق علمها بالبشر، وهل هى جسم أو عرض؟ والذى عليه أكثر المحققين أنها جسم لوصفها فى الآيات والأحاديث بالأعراض كالتوفى والقبض والإمساك والإرسال والتناول والإخراج والتنعيم والتعذيب والدخول والرجوع والرضا والانتقال والتردد فى البرزخ وأنها تأكل وتشرب كأرواح الشهداء وتسرح وتأوى، إلى غير ذلك مما هو من صفات الأجسام، والعرض لا يتصف بهذه الصفات، وأنها لا شك أنها تعرف خالقها وتدرك المعقولات، وهذه علوم، والعلوم أعراض، فلو كانت عرضاً والعلم قائم به للزمَ قيام العرض بالعرض، وهو باطل، وهل

الروح والنفس شيء واحد أو متغايران؟ طريقتان، والصحيح أنهما شيء واحد وإنما يختلفان بالاعتبار، بل والعقل أيضاً على ما استظهره بعضهم فهى من حيث الميل إلى الكمال عقل، ومن حيث ميلها للشهوات نفس ومن حيث أن بها حياة الجسم روح، قال العلامة الأمير: وحاصله أن هناك لطيفة ربانية لا يعلمها إلا الله تعالى فهى من حيث تفكرها عقل ومن حيث حياة الجسم بها روح، ومن حيث شهوتها نفس، فالثلاثة متحدة بالذات مختلفة بالاعتبار، قال العلامة المذكور: ولا يقال إن كل ذى روح عاقل؛ لأنه ليس الروح لذاتها عقلاً بل باعتبار أن تتفكر اهـ، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ**﴾ [الفجر:٢٧]، ولا شك أن هذا خطاب للروح، وقال تعالى: ﴿**وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى**﴾ [النازعات:٤٠] إلى غير ذلك، وقال ابن عبد البر بالتغاير عملاً بظاهر قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى**﴾ [الزمر:٤٢] قال العلامة الجمل فى حاشية التفسير: أثبت ابن عباس أن فى ابن آدم نفساً وروحاً بينهما تعلق مثل شعاع الشمس، والنفس هى التى بها العقل والتمييز والروح هى التى بها النفس والحياة فيتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم، قاله البيضاوى، وكتب عليه محشيه الشيخ زاده: قال: ليس فى ابن آدم إلا شيء واحد هو الجوهر المشرق النورانى، يكون لابن آدم بحسبه ثلاثة أحوال: حال يقظة وحال نوم وحال موت، فإنه باعتبار تعلقه بظاهر الإنسان وباطنه تعلقاً كاملاً ثبت له حالة اليقظة وباعتبار تعلقه بظاهر الإنسان فقط ثبت له حالة النوم، وباعتبار انقطاع تعلقه الظاهر والباطن ثبت له حالة الموت، ويكون معنى الآية حينئذ: الله

يتوفى الأنفس أى الأرواح أى يقبضها عن الأبدان بـأن يقطـع تعلقهـا ظاهرا وباطناً عنها وذلك عند الموت، أو ظاهراً لا باطناً وذلك عند النوم فيمسك التى قضى عليها الموت ولا يردها إلى البدن ويرسل الأخرى أى النائمة إلى بدنها عند اليقظة إلى أجل مسمى هو الوقت المحـدود لموتـه قال سعيد بن جبير: إن الله يقبض أرواح الأمـوات إذا مـاتوا، وأرواح الأحياء إذا ناموا، فتتعارف ما شاء الله أن تتعارف، فيمسكُ التى قضـى عليها الموت ويرسل الأخرى، وقال القرطبى فى تفسيره: قال ابن عباس وغيره من المفسرين: إن أرواح الأحياء والأموات تلتقـى فـى المنـام فتتعارف ما شاء الله، فإذا أراد الله رجوعها إلـى أجسـادها أمسـك الله أرواح الأموات عنده وأرسل الله أرواح الأحياء إلى أجسادها، قال على - رضى الله تعالى عنه -: فما رأته نفس النائم وهـى فـى السـماء قبـل إرسالها إلى جسدها فهى الرؤيا الصادقة، وما رأته بعد إرسـالها وقبـل استقرارها فى جسدها فهى الرؤيا الكاذبة لأنها من إلقاء الشيطان، وروى مرفوعاً عن جابر بن عبد الله: قيل: يا رسول الله أينام أهل الجنة؟ قـال: «**لا النوم أخو الموت، والجنة لا موت فيها**»، أخرجه الدارقطنى اهـــ جمل وأجمعوا على أن الروح محدثة مخلوقة، والقول الصـحيح تقـدمها على الجسد، ومقابله لا يلتفت إليه، واتفقوا على بقائها بعد الموت وعـدم فنائها فهى من المستثنيات كالحور والولدان ومالك ورضوان، قال بعض العارفين: ويؤخذ لها صورة من بدنها تتميز بها عـن غيرهـا، ولـذلك تتصف بالاتصال والانفصال والصعود والنزول وغير ذلك من الأعراض والأشخاص، ومن كل نوع تميل إلى بعضها وتنفر عن مخالفها، ولـذلك ترى كل ذى شكل فى الحياة يميل إلى نوعه وشكله، قال الشيخ السبكى: أخرج الطيالسى عن عائشة - رضى الله تعالى عنها - أن امرأة كانـت

مضحكة بمكة تدخل على نساء قريش تضحكهم فلما هاجرت إلى المدينة قدمت عليَّ، فقلت: أين نزلت؟ قالت: على فلانة، كانت تضحك بالمدينة فدخل النبى ﷺ فقال: «**فلانة المضحكه عندكم؟**»، قلت: نعم، قال:«**على من نزلت؟**»، قلت: على فلانة المضحكة، قال: «**الحمد لله، إن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**»، قيل: معنى الحديث إن الأرواح فى عالم الذر حين الخطاب ﴿أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:١٧٢] ما كان منها مقابلاً إذ ذاك ائتلف فى عالم الظهور، وقيل غير ذلك، قال العلامة الأمير نقلاً عن "اليواقيت": فالإقبال بالوجه غاية فى المودة، وعكسه الظهر، وذلك يوم ﴿أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ﴾ ويكشف لكثير عن ذلك كسهل بن عبد الله حتى إنهم يعرفون تلامذته إذ ذاك قال بعض العارفين: إنى أعرف من كان عن يمينى إذ ذاك، ممن كان عن يسارى ويلاحظونهم فى ظهور الآباء وأرحام الأمهات، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، واختلف فى محلها من الجسد حال الحياة، فقيل: البطن، وقيل: القلب، وقيل: بقرب القلب من البطن، وعلى قول الصوفية: محلها الكتف وأما مقرها بعد الموت فهى متفاوتة فيه، فمنها أرواح فى أعلى عليين فى الملأ الأعلى وهم الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وهم متفاوتون فى منازلهم كما شاهد النبى ﷺ ذلك ليلة الإسراء، ومنها أرواح فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت، وهى أرواح بعض الشهداء لا جميعهم، فإن بعضهم قد يحبس عن دخول الجنة بسبب دين عليه أو غيره حتى يقضى عنه، ومنها أرواح السعداء من المؤمنين غير الشهداء وقد اختلف فيها على أقوال أحدها أنها على أفنية القبور، قال ابن العربى – وهو أصح الأقوال – قال: والمعنى عندى أنها قد تكون على أفنية القبور

لا انها تدوم ولا تفارق، بل هى كما قال بعضهم تسرح حيث شاءت اهـ، وقال العلامة الأمير، إنها بأفنية القبور من فوق اهـ، ثم اعلم أنه قد ورد فى عدة أحاديث تفيد اختلاف محل الأرواح فمنها ما يفيد أنها تكون فى حواصل طير خضر، وذلك لقوله ﷺ فى حديث مسلم عن ابن مسعود قال رسول الله ﷺ: «**أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تسرح فى أنهار الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى قناديل تحت العرش**» قال الحافظ: وفى رواية لأحمد وأبى داود: جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش، وأخرج البخارى عن أنس أن حارثة لما قتل قالت أمه: يا رسول الله قد علمت منزل حارثة منى، فإن يكن فى الجنة أصبر وإن يكن فى غير ذلك ترى ما أصنعه، فقال رسول الله ﷺ: «**إنها جنات كثيرة وإنه فى الفردوس الأعلى**»، وأما ما ورد فى مطلق أرواح المؤمنين فمن ذلك ما أخرجه الإمام مالك فى الموطأ وأحمد والنسائى بسند صحيح عن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه**» قال الحافظ السيوطى: وأخرج أحمد والطبرانى بسند حسن عن أم هانىء أنها سألت رسول الله ﷺ أنتزاور إذا متنا، ويرى بعضنا بعضا؟ فقال ﷺ: «**تكون النسمة طيراً يعلق بالشجر حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس فى جسدها**» قال: وأخرج الطبرانى فى مسنده قال: سئل النبى ﷺ عن أرواح المؤمنين فقال: «**فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت**»، قالوا يا رسول الله وأرواح الكفار؟ قال: «**محبوسة فى سجين**»، قال: وأخرج ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب عن سعيد بن المسيب أن سلمان الفارسى وعبد الله بن سلام التقيا فقال أحدهما

لصاحبه: إن لقيت ربك قبلى فأخبرنى ماذا لقيت، فقال: أو يلقى الأحياء الأموات؟ قال: نعم، أما المؤمنون فإن أرواحهم فى الجنة، وهى تذهب حيث شاءت، ومنها ما ورد من كونها فى السماء ولذلك استشهد القائل بعموم كون الأرواح فى السماء، قال: وأخرج أبو نعيم بسند ضعيف عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أرواح المؤمنين فى السماء السابعة ينظرون إلى منازلهم فى الجنة**»، وأخرج أبو نعيم فى "الحلية" عن وهب بن منبه قال: إن لله فى السماء السابعة داراً يقال لها: البيضاء تجتمع فيها أرواح المؤمنين، فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح يسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله إذا قدم عليهم، وفى بعض الروايات ما يفيد أنها تكون بالأرض، فمن ذلك ما قاله الحافظ المذكور قال: أخرج ابن المبارك فى الزهد عن سعيد بن المسيب عن سلمان قال: أرواح المؤمنين فى برزخ من الأرض تسرح حيث شاءت، ونفس الكافر فى سجين، قال الإمام ابن القيم: البرزخ هو الحاجز بين الشيئين، فكأنه أراد فى أرض بين الدنيا والآخرة، قال: وأخرج المروزى فى "الجنائز" وابن عساكر فى "تاريخه" عن عبد الله بن عمر قال: أرواح المؤمنين فى بئر زمزم وأرواح الكفار فى واد يقال له: "برهوت"، وبرهوت: سبخة فى حضرموت وفى بعض الروايات: أرواح المؤمنين تجتمع بالجابية، قال: وأخرج الحاكم فى المستدرك عن عبد الله بن عمر قال: أرواح المؤمنين تجتمع بأريحاء، وهى بلدة بالشام، وأرواح أهل الشرك تجتمع بصنعاء قال الحافظ المحقق: هذا مجموع ما وقفنا عليه من الأحاديث والآثار فى مقر الأرواح، وقد اختلفت أقوال العلماء بسبب اختلاف هذه الآثار، قال ابن القيم: والتحقيق الذى لا خلاف فيه أن الأرواح متفاوتة فى مستقرها فى البرزخ أعظم تفاوت، ولا تعارض بين الأدلة فإن كلاً منها وارد على

فريق من الناس بحسب درجاتهم، قال: وعلى كل تقدير فللـــروح بالبـــدن اتصال بحيث يصح أن تخاطب ويسلم عليها ويعرض عليها مقعدها وغير ذلك مما ورد؛ فإن للروح شأنا آخر، فتكون فى الرفيق الأعلـــى وهـــى متصلة بالبدن بحيث إذا سلم المسلم على صاحبها رد عليه السلام وهـــى فى مكانها هناك، وإنما يأتى الغلط هنا من قياس الغائـــب علـــى الشـــاهد فيعتقد أن الروح من جنس ما يعهد من الأجسام التى إذا شغلت مكاناً لـــم يمكن أن تكون فى غيره، وهذا غلط محض، وقـــد رأى النبـــى ﷺ ليلـــة الإسراء موسى قائماً يصلى فى قبره، ورآه فى السماء السادسة، فـــالروح كانت هناك فى مثال البدن، ولها اتصال بالبدن بحيث يصلى فـــى قبـــره ويرد على من يسلم عليه وهو فى الرفيق الأعلى، ولا تنافى بين الأمرين فإن شأن الأرواح غير شأن الأبدان، وقد مثل ذلك بعضهم بالشمس فـــى السماء الرابعة وشعاعها فى الأرض وقد قال ﷺ : «**من صلى علىَّ عنـــد قبرى سمعته**»، هذا مع القطع بأنه فى أعلى عليين مـــن أرواح الأنبيـــاء وهو الرفيق الأعلى فثبت بهذا أنه لا منافاة بين كون الروح فى عليين أو فى الجنة أو فى السماء، وأن لها بالبدن اتصالاً بحيـــث تـــدرك وتســـمع وتصلى وتقرأ، وإنما يستغرب هذا لكون الشاهد الدنيوى لـــيس فيـــه مـــا يشابه هذا، وأمور البرزخ والآخرة على نمط غير المألوف فى الدنيا، إلى أن قال: والحاصل أنه ليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد وكلهـــا على اختلاف محالها وتباين مقارّها لها اتصال بأجســـادها فـــى قبورهـــا ليحصل له من النعيم ما كتب له اهـــ، ابن القيم، وقال الحافظ ابن حجر: أرواح المؤمنين فى عليين، وأرواح الكفـــار فـــى ســـجين، ولكـــل روح بجسدها اتصال معنوى لا يشابه الاتصال فى الحياة الدنيا، بل أشبه شىء به حال النائم وإن كان هو أشد من حال النائم اتصالا، قال: وبهذا يجمـــع

بين ما ورد أن مقرها فى عليين أو سجين وبين ما نقله ابن عبد البر عن الجمهور أنها عند أفنية القبور، ومع ذلك فهى مأذون لها فى التصـــرف وتأوى إلى محلها من عليين أو سجين، قال: وإذا نقل الميت من قبر إلى قبر فالاتصال المذكور مستمر، وكذا إذا تفرقت الأجزاء، وقال صـــاحب "الإفصاح": المنعَّم من الأرواح على جهات: منها ما هو طائر فى شـــجر الجنة، ومنها ما هو فى حواصل طير بيض، ومنها ما يأوى إلى قناديـــل تحت العرش، ونحو ذلك مما تقدم من الأحاديث والأقوال، قال القرطبى: وهذا قول حسن يجمع الأخبار المتقدمة حتى لا تتدافع اهـــ، قال الأســـتاذ الجلال: وذكر البيهقى فى كتاب «عذاب القبر» نحوه لما ذكر حديث ابن مسعود فى أرواح الشهداء وحديث ابن عباس ثم أورد حـــديث البخـــارى عن البراء بن عازب قال: لما مات إبراهيم ابن النبى ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «**إن له مرضعاً فى الجنة**»، ثم قال: فحكم النبى ﷺ على ابنه إبراهيم بأنه يرضع فى الجنة وهو مدفون بالبقيع فى مقبرة المدينة، هذا ما نقـــل فى الروح من الأحاديث والأقوال، وقد علمت التحقيق والله أعلم، ولنرجع لما نحن فيه فنقول: قال المصنف: (**سابحات**) أى متقلبات ومترددات مـــا بين مجىء وذهاب (**فى عالم الجبروت**) بوزن فعلوت بالتحريـــك غيـــر مهموز، وهو العالم المتوسط – أعنى عالم البرزخ والحشر – مأخوذ من الجبر وهو القهر؛ لأن فيها يظهر حكم القهر الإلهى، ومنه عالم الخيـــال المسمى بعالم المثال، وقيل: هو عالم العقول والنفوس المجردة، مـــأخوذ من الإجبار بمعنى الاستعلاء لاستعلاء، ذلك العـــالم عـــن تركبـــه مـــن العناصر وعند أبى طالب المكى: هو عـــالم العظمـــة كعـــالم الأســـماء والصفات الإلهية وكعالم الآخرة، من جبرت الفقير: أغنيته؛ لأنه مـــوطن الغنى الأبدى، وفى الحديث: «**الجبروت فى القلب**»، أى: الغنى، وكعـــالم

ارض السمسمة المخلوقه من بقية طينة آدم عليه السلام المسماة بـأرض الحقيقة؛ لأن الأشياء تظهر فيها على حقائقها، فكل من عالم الآخرة والسمسمة من عالم العظمة لظهور عظمة الله تعالى فيها أكثر من ظهورها فى غيرها والأرض المذكورة هى مسرح عيون العارفين، وفيها يجولون، ولا يدخلونها إلا بأرواحهم، وربما دخلها بعضهم وهو لا يشعر **(واكشف)** أى ارفع الحجب الظلمانية والنورانية **(لهم)** أى الأرواح وذكّر هنا وأنث فيما مر - أعنى قوله: سابحات - لأن الروح تذكر وتؤنث "وإن كان كل جمع مؤنث" فتذكيرها تارة وتأنيثها أخرى إشارة إلى جواز الأمرين **(عن حضائر)** جمع حضيرة، من حضرت مجلس القاضى حضوراً من باب قعد: شهدته، وقوله: **(اللاهوت)** وهو عالم السر الغيبى الذى لو انكشف للعامة لعميت عليهم الأمور والبصائر لعدم استطاعتها عن شهود ذلك السر الذى على أهله مقصوره، ولذا طلب انكشافه للأرواح لأنها مستعدة لتلقى ذلك الوارد، والمعنى حينئذ: واكشف لهم عن مقامات تجتمع فيها نتائج السر الغيبى، ولما توسل بالروح المحمدى الممد للأرواح ناسب أن يتوسل بنوره الشريف فقال: **(إلهى بالنور المحمدى)** أى المنسوب إلى محمد ﷺ وهو أول مخلوق، وهو المشار إليه فى حديث جابر بن عبد الله الأنصارى - رضى الله تعالى عنه - المتقدم ذكره تفصيلاً، ولذا وصفه بقوله: **(الذى رفعت)** أى رقيت وعليت **(على كل رفيع)** من الموجودات بأسرها **(مقامه)** أى منزلته ومكانته لانسلاخ سائر العوالم منه، فله الشرف التام عليهم؛ إذ لولاه عليه الصلاة والسلام لما وجد هذا العالم بأسره **(وضربت)** أى نصبت ونشرت **(فوق)** ظرف مكان ضد تحت **(خزانة)** بكسر الخاء واحدة الخزائن يقال: لا تفتح الخزانة ولا تكسر القصعة، كما يقال: الجفن مفتوح

ويستحسن فيه الكسر، والحب مكسور ويستحسن فيه الضم والعشق مكسور العين وينبغى أن تفتح فيه العين، ولما كانت الخزائن كثيرة بَيّنَها بالإضافة بقوله: **(أسرار ألوهيتك)** وخزانة الأسرار إما اللوح المحفوظ أو علم الله تعالى، وقوله: **(أعلامه)** مفعول ضربت جمع علم بفتحتين: الراية، ويلزم عادة من نصب راية الأمير حلوله فيه واطلاعه على ما فيه، والمراد هنا هذا اللازم، فالمعنى أن الله تعالى أطلع حقيقته ﷺ على ما فى اللوح المحفوظ أو على ما فى علمه تعالى وهو أسرار الألوهية ولذا كان ﷺ أعلم الخلق على الإطلاق، فدعا الناس على بصيرة تامة وأوضح لهم من تلك الأسرار ما تتحمله عقولهم وخبأ الباقى عنهم، وعن هذا العلم صرح بتقدمه على أهل الأكوان فقال: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدى لواء الحمد ولا فخر، وما من نبى يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر**»، **(افتح)** جواب القسم، والفتح قريب ومبين ومطلق، وتفاصيلها فى "التعاريف" للسيد الشريف **(لنا)** معاشر الحاضرين من إنس وجن وروحانيين **(فتحا)** مفعول مطلق **(صمدانيا)** منسوبا الى الصفة الصمدانية، والفتح الصمدانى لا يصح إلا لمن خلت معدته من الطعام ولم يذق النوم ليلا ولا نهارا، قال بعضهم ما حاصله: وأكثر ما يحصل الفتح الصمدانى فى أربعين يوما ليطهر معدته من كثائف الأغذية فتقوى روحانيته، وتطيب نفسه، وهذه صمدانية الأجسام وأما صمدانية الأرواح فحدها ستون يوماً، وفيها تدرك عجائب الملكوت ولطائف الجبروت، وأما صمدانية العقول فسبعون يوماً، ومنها ينشأ نشأة أخرى لم يعهدها قبل، وأما صمدانية الطبائع فحدها ثمانية وعشرون يوما، وأما صمدانية المبتدى فحدها أربعة عشر يوماً، وليس

فى مراتب السالكين إلى الله تعالى فى أطوار سلوك الاسم أقل من اربعين يوما، ولا يتناول السالك فى المدد المتقدمة فى رياضته شيئاً ممـــا يأكلـــه الناس بل يتناول أنواع النباتات والمباحات اهــ، فإن قلت: إذا كان الفتح الصمدانى متوقفاً على تفريغ المعدة من الطعام كما تقدم فكيــف يســألـه المؤلف والتالى للورد؟ قلت: إن التوقف على ذلك أمر عادى فقد يحصل بدونه بجذبة إلهية، فسأل المؤلف – رضى الله تعالى عنه – أن يحصـــل له ذلك من باب الفيض والمنة ببركة النور المحمدى الذى هو الواســطة العظمى، ومن توسل به نال مقصوده ومطلوبه وإن كان بعيــداً بحســب العادة، وأن المعنى: وفقنى للعمل المحصل لهذا الفتح كما فى قولك: اللهم أدخلنى الجنة، فإن المراد: اللهم وفقنى للعمل الموجب لدخولها **(وعلمـاً ربانيا)** أى وافتح لنا بمعنى: أوجد لنا علماً ربانيا أو أن عِلمــاً منصـــوب بمحذوف أى وعلمنا من لدنك علما ربانيا منسوبا للرب سبحانه وتعـــالى وهو العلم اللدنى المشار اليه بقوله تعالى: **﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِــن لَّــدُنَّا عِلْمًــا﴾** [الكهف:٦٥]، وإلى هذا يشير بعض العارفين بقوله: أخذتم علمكـــم ميتـاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت **(وتجليـــا رحمانيـــا)** أى أوجد لنا تجليا رحمانيا منسوبا لاسمك الرحمن، والتجلى: مـــا ينكشـــف للقلوب من أنوار الغيوب والمطلوب إدراك ذلك، وهو على أقسام: تجلى أفعال، وتجلى أسماء وتجلى صـــفات، وتجلـــى ذات، وخـــص التجلـــى الرحمانى لأن له الغلبة على سائر الاسماء ما عدا اسم الجلالة فمن تجلى عليه تعالى بالتجلى الرحمانى شرب من بحر الرحمة وكان مظهراً لهـــا فيرحم العالم كله ويسعهم خلقاً كما كان ﷺ، ولذا توسل المصنف بنوره ﷺ الذى هو أول مظاهر الرحمة **(وفيضاً إحسانيا)** أى أوجد لنـــا أو أفــض علينا من خزائن جودك فيضا إحسانيا منسوباً إلى الإحسان المشار إليـــه

بحديث: «**أن تعبد الله كأنك تراه**» أو أن المعنى: أوجد لنا فيضا لا فـــى مقابلة عمل؛ بل هو بطريق الإحسان والفضل، ووجه هذا فى كلام الشيخ المصنف أنه لما طلب الفتح الصمدانى نظرت عين قلبه إلى العلم الربانى الناشئ عنه غالبا فسأله، ولما كان كل منهما لا ينشأ إلا عن تجل رحمانى سأله، ثم لما كان الجميع ثمرة الفيض الإحسانى سأله، ولما كانت هـــذه مطالب سنية، ومن حصلت له فهو على خطر عظيم طلـــب أن يتـــولاه تعالى بالهداية حال الفتح الصمدانى؛ لأن كثيرا ناله ولـــم يهتـــد لطريـــق الاستقامة عليه فزلت قدمه، وبالرعاية حال انفجار العلم الربانى ليكـــون ثابتا على الطريق المستقيم، وبالحماية حال التجلى الرحمانى ليسلم القلب فيه من الإلقاء الشيطانى، وبالكفاية فى الفيض الإحسانى فقـــال: **(إلهـــى تولنى)** أى تول حفظى فى جميع أمورى الظاهرة والباطنة **(بالهداية)** أى الاهتداء والرشاد إلـــى الطريـــق المســـتقيم **(والرعايـــة)** أى الصـــيانة والملاحظة عن الوقوع فى كل ما نهيتنى عنه **(والحماية)** أى الوقاية من المضار لأفوز بالأوطار **(والكفاية)** أى الاكتفاء والاستغناء بك عن غيرك فى سائر الأحوال، والكفاية ملحوظ فيها اسمه تعالى الكـــافى، والحمايـــة اسمه تعالى الحفيظ، والرعاية اسمه تعالى الحسيب، والهداية اسمه تعالى الهادى، والتولى اسمه تعالى الولى والنصير، ولما كانت الهدايـــة أصـــلا لكل خير والتوبة أول منازل السالكين، والرعاية تنشأ عنهـــا الاســـتقامة والحماية بمعنى الحفظ، والكفاية بمعنى الاستغناء عن الغير قابل المصنف – قدس سره – الهداية بالتوبة، والرعاية بعدم نقض العقد؛ لأنه من جملة الاستقامة التى تنشأ عنها، والحماية بقوله: واحفظنى فى ذلـــك، والكفايـــة بقوله: لأكون بذلك أى بالتوبة من جملة السعداء، أى الذين استغنوا عـــن الغير وقد حث المصنف على التوبة وفيما سبق على الاستغفار والرجوع

إلى طاعة الملك الغفار وإرسال الدموع الغزار ندماً على ما فرط وضيع من أوقات عمره السيار الذاهب بتكرار الليل والنهار مع أن الله تعالى فتح باباً بالمغرب مسيرة أربعين سنة لقبول التوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها، وهو باب من أبواب الجنة الثمانية ينادى الحق سبحانه وتعالى عباده الأبرار والفجار فى كل ليلة عند الأسحار: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له عظيم الجرم وخطير الأوزار؟ ويسبل ستره على عبيده ليتوب مسىء الليل ومسىء النهار فقال: **(إلهى تب على)** التوبة: الرجوع عن الذنب، وأركانها ثلاثة: الإقلاع عن الذنب والندم على ما فات، والعزم على أن لا يعود للذنب والمعنى: تب علىّ توبة سابقة منك إلىّ لأتوب **(توبة)** مفعول مطلق لتب تكون تلك التوبة **(نصوحاً)** أى صادقة خالصة بأن تكون لله وحده لا لغرض من الأغراض ولو أخروياً؛ فإن ذلك يؤثر فى كمال التوبة وإن لم يؤثر فى أصلها فينبغى للعبد أن لا يترك التوبة وإن لم تكن كاملة لعل الله يقبلها وعلامة التوبة النصوح أن لا يبقى فى قلب التائب حلاوة لذلك الذنب التائب منه ولذا كان سيدى إبراهيم المتبولى – قدس سره – لا يحتلم مده عمره وكان قد بلغ العمر مائة سنة وسبعة، وكان يقول: من زعم أنه تاب من الزنا ثم احتلم بعد ذلك فيما لا يحل له دليل على عدم توبته النصوح؛ لأن احتلامه بعد ذلك يدل على بقاء حلاوة تلك المعصية فى قلبه ولولا وجودها ما تفكر واحتلم، وفى الحديث: التوبة النصوح الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله ثم لا تعود إليه أبداً، وأنشد البوصيرى فى همزيته:

أرتجى التوبة النصوح وفى القلـــ ـــب نفاق وفـى اللسـان رياء

قال شارحها ابن حجر الهيتمى - رحمه الله تعالى -: أرتجى أى أؤمل بحسن ظنى عملاً بقوله ﷺ عن الله عز وجل: «**أنا عند ظن عبدى بى، فلا يظن بى إلا خيراً**» الأخير **(لا أنقض)** النقض ضد الإبرام أى لا أفك ولا أحل أبداً سرمداً **(عقدها)** بفتح العين وهو الربط والإحكام والمراد به هنا: تصحيح القلب، ففى الكلام استعارة تصريحية تبعية حيث شبه تصميم القلب عليها بعقد الحبل، أى: ربطه، واستعار اسم العقد للتصميم، والنقض ترشيح إما باقياً على حقيقته، أو مستعاراً للإزالة والمعنى: لا أزيل ذلك التصميم، ويصح كسر العين، أى: عقدها وهو القلادة من الجوهر التى توضع فى العنق بحسب الأصل فشبه التوبة بعروس حسناء على طريق الاستعارة بالكناية، والعقد تخييل لأن فك قلادة العروس من عنقها يصيرها شوهاء، كذلك ارتكاب ما يناقض التوبة، فطلب من الله أن لا يوقعه فيما يناقضها **(أبداً)** أى دائماً سرمداً فقوله: "لا أنقض" إلخ تفسير للتوبة النصوح؛ فإنها التى لا يعود صاحبها إلى الذنب أبداً **(واحفظنى فى ذلك)** أى فى حال توبتى من نقض عقدها **(لأكون بها)** أى بتلك التوبة **(من جملة السعداء)** جمع سعيد، وفى الحديث: «**السعيد من سعد فى بطن أمه، والشقى من شقى فى بطن أمه**» وعنه ﷺ: «**السعادة كل السعادة طول العمر فى طاعة الله تعالى**».

(فائدة) قال النووى فى الأذكار: كان ﷺ يقول يوم عرفة: «**اللهم اغفر لى مغفرة تصلح بها شأنى فى الدارين، وارحمنى رحمة أسعد بها فى الدارين، وتب على توبة نصوحاً لا أنكثها أبداً، وألزمنى سبيل الاستقامة لا أزيغ عنها أبدا**»، اهـ، وقد قال شيخنا السيد محمد السباعى - رحمه الله تعالى - نقلاً عن والده السيد صالح السباعى - رحمه الله تعالى - أنه كان يقول فى دعائه: اللهم اغفر لى ذنبى فيما مضى

واحفظنى فى المستقبل، ووفقنى لحسن المعاملة وأن تميتنى وأنا محسن الظن بك يا الله، ومن دعائه أيضاً - رزقنا الله سبحانه وتعالى اتباعه ورضاه عنا -: اللهم أبعد عنى ذل المعصية واحفظنى منها، وارزقنى عز الطاعة ووفقنى لها، وارفع همتى من كل شىء سواك، وارزقنى حسن الخاتمة، وأحسن وقوفنا بين يديك برحمتك يا أرحم الراحمين اهـ

وهذه الأدعية مع اختصارها جامعة لجميع الأدعية الواردة أو لمعظمها لمن تأمل؛ ذلك لأنه فى دعائه طلب الغفران من الذنوب الماضية ثم طلب العصمة من الوقوع فيها فى المستقبل وهى واجبة للأنبياء وجائزة لغيرهم كما هو معلوم، ثم طلب التوفيق لحسن المعاملة - وهى من إضافة الصفة للموصوف - أى المعاملة الحسناء بين الخلق والخالق، ثم طلب الموت بقوله: وأن تميتنى وأنا - أى والحال أنى - محسن الظن بك يا الله خص هذا الاسم لأنه هو الاسم الأعظم، ولأنه مجمع الأسماء كلها كما تقدم، ولذا ورد أن من دعا به أجيب لوقته، ومضمون هذا الدعاء لا يتحقق إلا للعارفين بالله تعالى كقائله، نسأل الله تعالى أن يحفنا بمدده بفضله وكرمه إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، ولنرجع لما نحن فيه فنقول: ولما كان الاندراج فى زمرة السعداء من جملة الأسرار الإلهية، والأسرار لا ينالها إلا من ثبت قدمه عليها طلب المصنف التثبيت فقال: **(إلهى ثبتنى)** أى اجعلنى ثابت الأقدام حال الإقدام **(لحمل أسرارك)** أى لتحمل أسرارك ولما كانت الأسرار كثيرة متنوعة خص المصنف منها **(القدسية)** أى المنسوبة إلى حضرة القدس، وسبق ذكرها، ومن هذه الأسرار عوالم الأنوار التى كل من شاهدها يحتاج إلى قوة تكشف له عنها الأستار، ولذا صرح بطلب ما يرفعه لأرفع الأطوار فقال: **(وقونى)** أى يا قوى بقوة منك أكون بها شديداً فى نفسى قوياً فى دينى متيناً فى

نصر دينك **(بـ)** سبب **(أمداد)** بفتح الهمزة جمع مدد، وهو ما يفيضه الله تعالى على باطن العبد وظاهره فيقوى بذلك على تحمل الأسرار الـواردة عليه **(من عندك)** أى من حضرة عنديتك الخاصة **(حتـى)** أى لأجـل أن **(أسير)** سيرا خاصاً **(به)** أى بتلك الأمداد، فالضمير عائد عليها باعتبـار المذكور، أو عائد على مصدر قوّ على حدّ **(اعدلوا هو)**[(١)] ويحتمـل أن يضبط **(إمداد)** بكسر الهمزة فيعود عليه، وهذا هو الشائع **(إلى حضراتك)** جمع حضرة، قال فى "تهذيب الصحاح": وحضرة الرجل: قربه وفنـاؤه اهـ، **(العلية)** أى السامية الرفيعة المنيعة **(وثبت)** أى مكن ومتن **(اللهم)** أى يا الله حذف منه حرف النداء وعوض عنه الميم للتفخـيم والتعظـيم **(قدمى)** تثنية قدم واحد الأقدام **(على صـراطك المسـتقيم)** أى الـذى لا اعوجاج فيه أو طريق الجنة أو القرآن العظـيم، والإضـافة للتشـريف وكأنه لما نظر لحضرة التكميل وحضرة الأمداد طلـب ثبـات القـدمين فيهما، والمراد بثبات القدمين إما حقيقته أى عـدم تزلزلهمـا فـلا يقـع صاحبهما فى النار، أو المراد به دين الإسلام أى الأحكام الشرعية التـى لا انعواج فيها، فوصفه حينئذ بالاستقامة على هذا ظاهر، والمعنى: اجعل لى قوة على العمل بالأحكام الشرعية، وقوله: **(وطريقك القويم)** عطـف مرادف فيراد به ما يراد بما قبله، وهناك معنـى آخـر وهـو أنـه أراد بالصراط المستقيم حضرة التكميل، وبالطريق القـويم حضـرة الأمـداد وذلك أن السالك إذا سار إلى الحضرة العلية رأى قدم إمامه وهو نبيه ﷺ أمامه فيعرف أنه قدم نبيه فلا يضع قدمه فوق ذلك القدم ولا يتقدم عليـه بل يقف دونه، فإذا غيب عنه وارتقى للمنزل الثانى مثلاً رآه أمامه أيضاً

---

(١) فى قوله تعالى: ﴿اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة:٨]

وهكذا، والمراد بقدمه: علومه وأسراره وأحواله التى كان متلبسا بها فيقتدى به ﷺ فى أقواله وأحواله ويتقلب فى علومه ومعارفه، وتسمى تلك الحضرة "حضرة التكميل" أى الحضرة التى تبرز للسالك فيها الرقائق المحمدية فيقوى بها ويحصل له الكمال فيها، فإن الكمال فى اتباعه ﷺ وهى لا تكون إلا للأفراد من الأقطاب فإنهم لا يرون أمامهم إلا قدمه ﷺ فالعطف حينئذ مغاير، ثم إنه استيقظ من دهشته التى أوجبها عظم المطلوب المتقدم فوجد نفسه على ظهر حمل الليل، وهو مظهر الجلال الموجب للوحشة فطلب الصباح الذى هو مظهر الجمال بقوله: **(إلهى جلا لنا)** أى كَشَفَ لقلوبنا **(هذا الظلام)** الظلام والظلمة ضد النور ويطلق على أول الليل **(عن جلالك أستارا)** لأنه محل قبض النور، والقبض مظهر جلالى فإذا تفكر فيه العارف انكشفت الأستار عن قلبه فأدرك جلال الله فى ذلك الظلام لأنه مظهر له والعارف يرى الله تعالى فى كل شىء ويحتمل أن المعنى أن الظلام يستدل به على وجوده سبحانه وتعالى إذ ما من شىء إلا ويدل الناظر فيه على موجده كما قيل:

وفى كل شىء له آية ... تدل على أنه واحد

والمعنى أن الظلام أرشدنا بسواده وكثرة ذهابه وتردداه على أن له مالكا يفعل ما يريد بعباده **(وأفصح)** أى أبان وأظهر **(الصبح)** أى الفجر، وإضافة الإفصاح إليه مجاز كإضافة الجلاء إلى الظلام **(عن بديع جمالك)** أى جمالك البديع لأنه محلّ بسط النور على الكون، والبسط مظهر جمالى فيدرك العارف جمال الله تعالى، فيستدل بتنوير الصبح على أن له موجداً أوجده كما تقدم، وقوله: **(وبذلك استنارا)** بمعنى أضاء واسم الإشارة إما للإفصاح والألف للإطلاق، والضمير للصبح، أى: وأضاء الصبح بسبب الإفصاح عن بديع الجمال، وإما للجلاء والإفصاح

والألف للتثنية عائدة على الظلام والصبح، أى: وأضاء الظلام والصبح بذلك الجلاء والإفصاح، أى: استنار الظلام، أى: حصلت له الإنارة بالجلاء عن الجلال، واستنار ظاهر الصبح بالإفصاح عن بديع الجمال ولما كان التجلى الإلهى الذى من جملته تجلى الجلال والجمال لا يدركه إلا من أمده الحق بقوة ملكية تنشأ عن أفعال مرضية طلب المصنف ذلك بقوله: **(الهى جملنى)** أى زينى **(بالأوصاف)** جمع وصف، وهو والصفة ما دلت على معنى زائد محسوس كالبياض، أو معقول كالعلم، والمعنى: يا الله زينى بصفة **(الملكية)** أى المنسوبة للملك واحد الملائكة، ويجمع أيضا على ملائك، وهو مأخوذ من الألوكة بالضم وهى الرسالة؛ لأن الملك مبلغ عن الله تعالى **(والأفعال المرضية)** أى الحسنة المقبولة، وكل من تزين ظاهره بالأفعال المرضية، وسره بالأوصاف الملكية غلب عليه شهود الحق تعالى فلا يعصيه فيما أمره، ويستغنى بذكره عن شهوة المنكح والمأكل والمشرب، ولا يفتر عنه، ويذوق للذكر حلاوة تشغله عن جميع اللذات والآلام لاسيما الذكر فى الأسحار، ولذا ناسب أن يعقب هذا التوسل بقوله: **(إلهى حلا)** أى لذ وطاب **(لنا ذكرك فى الأسحار)** أى التى هى أوقات خلوة العشاق مع محبوبهم فيتجلى عليهم وينادى كل منهم بقوله: يا حبيبى؛ لأن موطن الخلوة موطن إدلال بخلاف الجلوة، ولذا قال صاحب "ورد الوسائل": إلهى أدعوك فى الملا كما يدعى الأرباب وأدعوك فى الخلا كما يدعى الأحباب، والكامل من يوفى المواطن حقها ومع ذلك لا ينبغى مفارقة أدب العبودية وعدم مشاهدة حرمة الربوبية كما قيل: اجلس على البساط وإياك والانبساط إلا اذا غلب عليه سكر الغرام فيرتفع الحرج، كما قال سيدى أبو مدين الغوث -رضى الله تعالى عنه-:

فانا إذا طبنا وطابت نفوسنا وخامرنا خمر الغرام تهتكنا

فلا تلم السكران فى حال سـكره فقد رفع التكليف فى سكرنا عنـا

وإنما كان للذكر فى وقت الأسحار حلاوة لأن النوم حينئذ أحلى ما يكون، فمن جاهد نفسه وترك لذيذ منامه أذاقه الله حلاوة ذكـره التـى لا تساويها حلاوة دنيوية، ولذا قال المصنف فى ذلك المعنى - سقانا الله من مشربه بفضله وكرمه بجاه سيد أحبابه -:

يحلو لدى الأسحار ذكرك فى فمى أوّاه مـا أحـلاه عنـد المغـرم
ويحـق لى أنـى أهيـم صبابـة ويسيل دمع العين مثـل العنـدم

ثم اعلم أنه قد ورد فى فضل قيام الليل آيات وأخبار وآثار كثيـرة قال تعالى: ﴿**كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**﴾ [الـذاريات:١٧]، وقـال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**﴾ [الفرقـان:٦٤]، وقـال ﷺ: «**ركعتان يركعهما ابن آدم فى جوف الليل الأخير خير له من الدنيا ومـا فيها، ولولا أن أشق على أمتى لفرضتهما عليهم**»، وقـال ﷺ: «**علـيكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى الله تعالى ومنهاة عـن الإثم وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد**»، روى الطبرانى عـن سهل بن سعد - رضى الله تعالى عنه - قال: «**جاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنـك مجـزى به، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الخلق**» إلى غير ذلك من الأخبار، وكان عمر ابـن الخطاب - رضى الله تعالى عنه - لا ينام بالليل ولا بالنهار فسئل عـن ذلك فقال - رضى الله عنه -: إن نمت بالنهار ضيعت الرعية، وإن نمت بالليل ضيعت نفسى، وقال طلحة بن معروف: بلغنى أنه إذا قـام العبـد للتهجد من الليل ناداه ملك: طوبى لك، سلكت منهاج العابدين قبلك، وكان

لقمان يقول لابنه: يا بنى لا يكن الديك أكيس منك، يصوت بالليل وأنـت نائم، وقال الفضيل – رضى الله تعالى عنه –: إذا لم تقدر على قيام الليل فاعلم أنك محروم، وقال سيدى على الخوّاص – رضى الله تعالى عنه – قيام الليل عند العارفين كالفرض فى الاعتناء به، فمن ادّعىمقام العرفان ونام بالليل فى الأسحار فهو غير صادق اهـ، والأسباب المانعة للعبد من القيام بالأسحار أربعة: الأول كثرة الأكل والشـرب، فـإن ذلـك يزيـد الرطوبة وهى تزيد فى النوم، ولذا قال سفيان الثورى – رضى الله تعالى عنه –: بقلة الطعام يملك سهر الليل، ويحكى أن إبليس عـرض ليحيـى عليه السلام فقال له: هل نلت منى شيئاً قط؟ قال: لا، إلا أنه قـدم إليـك الطعام ليلة فشهَّيْتُه لك حتى شبعت منه فنمت عن أورادك، فقـال يحيـى عليه السلام: لله علىَّ أن لا أشبع من طعام أبداً، فقال إبليس: وأنا لله علىَ أن لا أنصح آدمياً أبداً، والثانى: تعب الجسم، فإن ذلك يـورث الضـعف والكسل، والثالث: عدم نوم القيلولة، والرابع: ارتكاب الآثام، قـال أبـو سليمان الدارانى: أهل الليل فى ليلهم أشد لذة من أهل اللهو فـى لهـوهم وعدم وجود الحلاوة تلك سببه الغفلة عن الحضور مع الله وقسوة القلـب فمتى وجد الذاكر ذلك فليعلم أنه مريض من ذنوبه فعليه أن يبادر بالتوبة والرجوع ويعرض نفسه على الطبيب وهو شيخه إن كان لعله يداويه، فقد كان مسلم بن ميمون الخوّاص يقول: كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حـلاوة فقلت فى نفسى: اقرأه كأنك تسمعه من رسول الله ﷺ فجاءت حلاوته، ثم أردت زيادة فقلت فى نفسى: اقرئيه كأنك تسمعينه من جبريل عليه السلام حيث نزل به على النبى ﷺ فزادت حلاوته، ثم أردت زيادة فقلـت لهـا: اقرئيه كأنك تسمعينه من رب العالمين فجاءت الحلاوة كلها اهـــ، فـإن قلت: إن استحلاء الطاعة سم قاتل لأنه إذا فتح عليه باب حلاوة الطاعـة

يصير في حال قيامه بها متطلباً لتلك الحلاوة فيفوته صدق الإخلاص في نهوضه لها ويكون في الظاهر قائماً لله تعالى وفي الباطن قائمـــا لنفســـه فيخشى عليه أن تكون حلاوة الطاعة جزاء تعجله في الدنيا فيـــأتي يـــوم القيامة صفر اليدين، قلت: المذموم إنما هو تطلب الحلاوة وبخلاف ما لو جاءته بنفسها فلا ينقص من إخلاصه شيء، وهذا هو المراد فـــي هـــذا المطلب فلا إشكال، ويكفي في قيام الليل شيء قليل لقوله ﷺ : «**من قـــام من الليل قدر حلب شاة كتب من قوّام الليل**»، ومن فوائد قيام الليل النجاة من بول الشيطان في الأذن، ومن آداب الطريق من فاته موســم طاعـــة كقيام الليل يوبخ نفسه على ذلك بين إخوانه، قال ابن عطاء الله السكندري – رضي الله عنه –: من علامات موت القلب عدم الحزن على ما فاتـــك من الموافقات، وترك الندم على ما فعلته من وجود الزلات، وقال: الحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض إليها من علامات الاغتـــرار اهـــ فإن قلت: إن إبراهيم بن أدهم نام ليلة عن ورده فتأسف على ذلك فنودي في سره كن بنا، إن أنمناك نم وإن أقمناك قم، أجيب عن ذلك بأن القصد من ذلك ترك الاعتماد على العمل وعدم نقصان الرجاء عند وجود الزلل وذلك لا ينافي الحزن على ما فات اهـــ، **(وحَسُنَ)** بفـــتح الحـــاء وضـــم السين مبنياً للفاعل يقال: حسن الشيء حسنا ضد قبح، وقوله: **(تخضـــعنا)** أي تذللنا فاعل حسن، قال في "المصباح": خضع له يخضع خضوعا: ذل فهو خاضع، وأخضعه الفقر: أذله، والخضوع قريب من الخشـــوع؛ لأن الخشوع أكثر ما يستعمل في الصوت والبصر، والخضوع في الأعنـــاق اهـــ، **(على أعتابك)** أي عبادتك وأذكارك؛ فإنها عتبة أي مقدمة لأبـــواب الرحمة، فكل من ترامى عليها جل مقداره وفتح له البـــاب فيـــدخل مـــع الأحباب **(يا عزيز)** هو الغالب الذي لا يعجزه أحد **(يا جبار)** الجبار هـــو

الذى يقهر بكبريائه فتخضع له الموجودات طوعاً وكرهاً، وقيل: هو الذى ينفذ قضاءه ولا يبالى بهلاك من هلك، وقيل: معناه المصلح للشىء، ومن خواص هذا الاسم الحفظ من ظلم الجبابرة فى السفر والحضر، يقرأ بعد مسبعات الخضر صباحاً ومساءً إحدى وعشرين مرة ذكر ذلك سيدى أحمد زروق، وعن العارف الحنفى - رضى الله تعالى عنه - أنه قال: من قرأه مائتين وست عشرة مرة، وقرأ قبله: يا عزيز مائة مرة صباحاً ومساءً أمن من شر الجبابرة، ولما ذكر المصنف - قدس سره - أنه حلا له الذكر فى الأسحار وحسن له الخضوع بين يدى مولاه خشى أن يطرأ عليه ما يشغله من الأغيار فسأل الله تعالى أن يمنع عنه ذلك لتدوم الحلاوة فقال: **(إلهى حُلْ)** بضم الحاء وإسكان اللام، أى: أوجد لى بفضلك حائلا يحول **(بينى)** أى بين سرى وصفاتى الباطنة **(وبين من يشغلنى)** بفتح الياء من شغل يشغل بفتح الغين ثلاثى مجرد ضد الفراغ أى: يكون سبباً فى اشتغالى عنك من قريب أو بعيد؛ فإن كل من شغل عنك فهو قاطع، ومن أراد الاشتغال بك لا ينبغى له الركون لما يقطعه **(عن شغلى)** بضم الشين مع سكون الغين وضمها وبفتح الشين مع سكون الغين وفتحها أى اشتغالى حال إقبالى عليك **(بمناجاتك)** المناجاة ابتهال العبد لمولاه وتضرعه إليه وشكوى ما به وحط أثقاله ببابه وإقباله عليه **(وأفض علىّ)** أى على أجزاء وجودى **(من الأسرار التى خبأتها)** بالهمز، يقال: خبأت الشىء بالهمز من باب نفع: سترته، أى: سترتها وصنتها عن أن ينالها غير من منحته إياها **(فى منيع)** أى حصين وعزيز **(سرادقاتك)** جمع سرادق، وهو ما يمد على صحن الدار، قاله فى "المختار" والمراد به هنا: خزائن الغيوب التى لا يصل إلى العبد شىء منا إلا بعناية إلهية لا بعمل، لأن فيوضاته تعالى لا تتوقف على اجتهاد

كما يشير اليه كلام المصنف فى قوله: وأفض على إلـخ، قـال سـيدى ابراهيم الدسوقى - رضى الله تعالى عنه -: فيض الربوبيـة إذا فـاض أغنى عن الاجتهاد اهـ، ولما سأل إفاضة الأسرار على عين بصـيرته فرأها قد اشتملت على علوم ومعارف قد أسدل إزار الأستار عليها فتوجه بسره إلى الله تعالى فى رفع ذلك فقال: **(إلهى حلّ)** بضم الحاء وتشـديد اللام من الحل وهو ضد العقد **(لنـا)** معاشر الطالبين أو القوى الظـاهرة والباطنة لنيل اليقين **(إزار الأسرار)** قال فى "المختار": الإزار والمئـزر: ما يغطى أسفل البدن، يذكر ويؤنث ويجمع فى القلة على أزررة كخمـار وأخمرة اهـ، وفيه استعارة مكنية فإنه شبه الأسرار بشخص وأثبت لـه الإزار تخييلا، وأخبر أن ذلك الإزار انسدل على علوم الأنوار فسأل حل عقد ذلك الإزار لينكشف الحجاب عن هذه العلوم فلذا قال: **(عـن علـوم الأنوار)** والمراد بعلوم الأنوار: اللوح والقلم كما قال البوصيرى:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

ومن كشف عن تلك العلوم - أعنى علم اللـوح والقلـم - علـم العوالم بأجمعها على ما هى عليه مَن تفاريعها من المبـدإ إلـى الميعـاد وسمعت من الأستاذ سيدى محمد السباعى نقلاً عن والده السـيد صـالح السباعى - رضى الله عنهما - أنه كان يقول: لا يكون الولى ولياً كاملا حتى يعلمه الله ما عليه من العوالم من خير أو شر من يوم **(ألست بربكم)** اهـ، وهذا الكلام لا يفهم إلا بالذوق، اللهم أذقنا ذلك يا كريم.

إن قلت: وهل ثم علم غير علم اللوح والقلم؟ قلت: نعم، وهو علم أم الكتاب الجامع للعجب العجاب، ولما سأل المصنف - رحمه الله تعالى - حل الإزار عن علوم الأنوار أعطى الله تعالى له هذه الحقيقـة فعـاين بعض أشعة تخطف العقول، فقال على لسان ما شهدته حقيقته فـى تلـك

الأطوار: **(إلهى خطفت)** بكسر الطاء من باب فهم، وفى لغة رديئة بفتحها من باب ضرب، والمعنى: سلبت **(عقـول)** جمع عقل، وهو نور روحانى تدرك به النفس العلوم الضرورية والنظرية، وابتداء وجوده عند اجتنـان الولد ثم لا يزال ينمو ويزيد إلى أن يكمل عند البلوغ، وفى العقل كـلام طويل، فإذا أردت الزيادة فعليك "بالشرح الكبير" للمصنف **(العشاق)** جمع عاشق مصدر عشق بكسر الشين: أفرط فى الحب، ثم اعلم أن الإرادة لها تسعة مقامات: المقام الأول: الميل، وهو انجذاب القلب إلى مطلوبه، فإذا قوى ودام سمى ولعاً، وهو المظهر الثانى للإرداة، ثم إذا اشتد وزاد سمى صبابة، وذلك إذا أخذ القلب فى الاسترسال فيمن يحـب فكأنـه انصـب كالماء إذا أفرغ فلا يجد بداً من الانصباب، وهو المظهر الثالث لـلإرادة ثم إذا تفرغ له بالكلية وتمكن منه سمى شـغفاً، وهـو المظهـر الرابـع للإرادة، ثم إذا استحكم فى الفؤاد وأخذه عن الأشياء سمى هـوى وهـو المظهر الخامس للإرادة، ثم إذا استولى حكمه على الجسد سمى غرامـاً وهو المظهر السادس للإرادة، ثم إذا تمكن وزالت العلل الموجبة للميـل سمى حباً، وهذا هو المظهر السابع للإرادة، ثم إذا هاج حتى كـاد يفنـى المحب عن نفسه سمى وداً، وهو المظهر الثامن للإرادة، ثـم إذا طفـح حتى فنى المحب عن المحبوب سمى عشقاً، وفى هذا المقام يرى العاشق محبوبه فلا يعرفه ولا يصغى إليه، كما روى عن مجنون ليلى أنها مرت به ذات يوم فدعته إليها لتحدثه فقال لها: دعينى فإنى مشغول بليلى عنـك وهذا أخر مقامات الوصول والقرب وفيه ينكر العاشق معشوقه ولا يبقى إلا العشق وحده فالعشق أعلى المقامات، ولذا خص المصـنف العشـاق بالذكر دون غيرهم، وقد جاء فى فضل العشاق أخبـار قـال ﷺ: **«مـن**

عشق وكتم وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة»، رواه ابن عساكر عن ابن عباس وأنشد بعضهم فقال:

كفى المحبين فى الدنيا عذابهم تالله ما عذبتهم بعدها سقر

بل جنة الخلد مأواهم مزخرفة ينعمون بها حقاً بما صبروا

فكيف لا وهمو حبوا وقد كتموا مع العفاف بهذا يشهد الخبر

يأووا قصورا وما وفوا منازلهم حتى يروا الله فى ذا جاءنا الأثر

(بما) أى بالذى **(أشهدتهم)** أى أريتهم فى السر والعلانية **(من سناء)** بالمد: الرفعة أو الجلال أو الشرف، وهو فى تأويل المشتق وإضافته إلى قوله: **(أنوارك)** من إضافة الصفة إلى الموصوف، أى: من أنوارك الرفيعة أو الجليلة أو الشريفة الساطعة فى القلوب **(مع)** بالتحريك كما هو الأفصح فيها، وهى كلمة تدل على المصاحبة **(وجود)** أى ثبوت وتحقق **(أستارك)** جمع ستر وهو الحجاب الذى يستر مطلوبك عن عينيك والأستار المسبلة على العشاق قبل حصول القوّة لهم أستار رحمة إذ لولاها لهلكوا، فقد ورد فى بعض الأخبار أن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه وسُبُحات وجهه بضمتين: جلاله وعظمته ونوره وبهاؤه، وإذا كان الواحد منا لا يستطيع رؤية الجان فكيف بالمولَى جل جلاله؟ والعشاق وإن جلوا فرتبتهم نازلة بالنسبة لمن فوقهم كأهل الفناء وأهل البقاء وغيرهم من أرباب المقامات **(فكيف)** حالهم **(لو كشفت)** الحجب **(لهم عن بديع جمالك)** أى جمالك البديع الذى لا مثل له فى الكمال المنيع **(و)** عن **(رفيع)** أى شامخ **(جلالك)** أى جلالك الرفيع، فالتجلى الإلهى لا يتحمله العاشق إذا رفعت عنه الأستار إلا إذا ساعدته الأقدار، ولاحظته عين

الرعاية من الكريم الستار، فالحجاب رحمة على المحجوب إلى أن يتقوّى بمدد علام الغيوب على مشاهدة أنوار المطلوب كما تقدم **(إلهى خصنى)** أى اجعلنى مخصوصا منك **(بمددك)** الذى فيوضه واسعة، ولما كان التخصيص بالمدد سيوله متدافعة خص بالذكر المدد **(السبوحى)** الذى إمداداته رافعة نافعة للحجب دافعة، وهو المنسوب إلى السبوح وهو صفة من صفاته تعالى كالقدوس؛ لأنه يسبح ويقدس، إذ هذا المدد منزه عن كل عيب ونقص يحجب عن غيب **(ليحيا)** أى لكى يتصف بالحياة الأبدية **(بذلك)** المدد إذا سرى حكمه فى الروح والجسد **(لبى)** أى عقلى الكامل الذى به قوام الدين **(وروحى)** أى بالعلم الربانى الذى يفاض من حضرة الإله على الروح والعقل، فإن الجهل موت والعلم حياة، قال تعالى: ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ**﴾ [الأنعام:١٢٢]، قيل فى بعض التفاسير: ميتا بالجهل فأحييناه بالعلم، وأنشد بعضهم فقال:

العلم فيه حياة للقلوب كما تحيا البلاد إذا ما مسها المطر

ولما كانت إفاضة الإمدادات لا تكون إلا بعد مداواة القلب وتفريغه عن كل ما يشينه طلب المصنف ذلك بقوله: **(إلهى داونى)** فإنك أنت الحكيم الشافى كما فى حديث: اللهم أنت الشافى فلا شفاء إلا شفاؤك ولا دواء إلا دواؤك، وأنشد بعضهم:

يا رب قد عجز الطبيب فداونى بخفىّ لطفك واشفنى يا شافى
أنا من ضيوفك قد حسبت وإنّ من شيم الكرام اللطف بالأضياف

(بدواء) بالمد واحد الأدوية، وأما بالقصر فهو المرض **(من عندك)** أى صادر من حضرتك العلية **(كى)** أى لأجل أن **(يشتفى)** أى يحصل الشفاء **(به)** أى بذلك المدد **(ألمى)** أى وجعى الذى أتألم به

وقوله: **(القلبى)** صفة لما قبله أى الذى وصل للقلب فأوجب على الصابر أن يشتكى للرب سبحانه وتعالى **(وأصلح)** بقطع الهمزة من الإصلاح ضد الإفساد وفى الحديث: «**اللهم أصلح لى شأنى كله ولا تكلنى إلى نفسى**» **(منى يا مولاى)** أى يا ناصرى **(ظاهرى)** أى حواسى الظاهرة **(ولبــى)** أى باطنى؛ فإن من أصلحت منه الظاهر والباطن صــلح للقــرب مــن حضرتك، ولكن لا يحصل له الترقى فى مقامات القرب عادة إلا بــدليل يدله لكثرة تشعب الطرق التى قد يتحير فيها الدليل فضلاً عن غيره كمــا قيل:

لمعت نارهم وقد عســعس الليــــ ــل ومل الحادى وتاه الــدليل

فتأملتهــــا وقلــت لــصحبــــى هذه النار نار ليلــى فميلــوا

فلذا قال: **(إلهى دلنى)** فإنى حائر فى تيه الغفلات ولا يدل علــى مافيه نجاتى إلا أنت كما قيل:

إذا لم تكن أنت الدليل فلا هــدى وإن أنت لم تشفى من الداء من يشفى

فيا دعوة المضطر قد آن وقتهــا ويا بارئ الألطاف جــد لــى بــاللطف

وقال آخر:

قد تحيرتُ فيك خذ بيدى يا دليلاً لمن تحيــر فيكــا

(على من) أى الذى **(يدلنى)** بحسن إرشاده وإسعافه **(عليــك)** أى على طريق معرفتك ومحبتك والتلقى منك والقيام بين يديك من كل مقرب إليك **(وأوصلنى)** يا واصل المنقطعين عن درجات المطيعين **(إلــى مــن يوصلنى)** بضم الياء وسكون الواو أى يقربنى **(إليك)** أى إلى حضــرتك الرفيعة من كل مقرب، وفى الحقيقــة لا دليــل ولا موصــل إلا أنــت والوسايط والأسباب لا تأثير لها حقيقة بل عادة، والوصــل عنــد القــوم

مكاشفة القلوب ومشاهدة الأسرار بأن يطلع الله تعالى من أراد من أهل العناية على كونه تعالى معنا فى سائر الأحوال الثابت ذلك فى نفس الأمر، وسمى هذا الشهود وصلاً لاتصال العارف بشهود ما هو الأمر عليه فى الواقع، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤] أى على أى حال كنتم، فمعيته تعالى لنا متحققة فى نفس الأمر، والذى يحصل لأهل العناية أن يكشف عن بصائرهم حتى يشهدوها، وإذا حصل لهم ذلك لا يزول عنهم لأن الله تعالى ما تجلى لشىء ثم انحجب عنه فضلاً منه وكرماً، ولما ذكر الوصول إلى حضرات القرب هاجت الأرواح وذابت القلوب شوقاً إلى ذلك فقال: **(إلهى ذابت)** أى ماعت وسالت **(قلوب العشاق)**، وفى هذا المعنى أنشدوا:

كيف يبقى للعاشقين قلوب وهى من جمرة الغرام تذوب

كيف ينسى المحب ذكر الحبيب واسمه فى فؤاده مكتوب

(من فرط الغرام) أى مجاوزة الحد فى الغرام أى الولوع، أى: ذابت قلوبهم ذوباناً معنوياً بسبب تجاوز الولوع حده من اضطرام نار الهيبة، قال بعضهم: نار الهيبة تذيب القلوب، ونار المحبة تذيب الأرواح ونار الشوق تذيب النفوس اهـ، ومن العجب ذوبان قلوب العشاق والمحبوب متجل فيها وحاضر لديها تناجيه ويناجيها كما قال سيدى محيى الدين – قدس الله سره –:

ومن عجب أنى أحن اليهم وأسأل عنهم دائماً وهم معى

وتفقدهم عينى وهم فى سوادها ويشتاقهم قلبى وهم بين أضلعى

أى: لأن المحب لا يزال متطلبا الزيادة على حد قول ابن الفارض – قدس الله سره –:

وكنت أظن قرب الدار يطفــى لهيب القلب فــازداد اللهيــب

وقوله أيضا:

وإن اكتفى غيرى بطيف خياله فأنا الذى بوصالــه لا أكتفــى

(وأقلقهم) أى أزعجهم **(إليك)** أى إلى مشاهدة آثارجمالك **(شديد)** فاعــل أقلق **(الوجد)** أى ما يجده العاشق فى باطنه من الأحوال من غير طلــب ولا تكلف **(والهيام)** بالضم، وهو شىء يشبه الجنون من العشق الهطــال **(فتعطف)** أى تحنن وتلطف فضلاً منك يا متعال **(عليهم)** أى على قلوبهم بالوصال ليزول به وهج الانفصال **(يا عطوف)** هذا الاسم لم يرد به سمع مع أن أسماءه تعالى توقيفية كصفاته على قول الأشعرى، فيخــرج ذلــك على ما قاله الباقلانى من جواز إطلاق اللفظ عليه تعالى إذا صح اتصافه بمعناه ولم يوهِم نقصاً وإن لم يرد سمع، وقال الغزالى وإمام الحــرمين: يجوز الإطلاق فى الوصف حيث لم يوهِم نقصاً بخلاف الاسم؛ لأن وضع الاسم له تعالى نوع تصرف فلا يجوز بغير توقيف، ولا كذلك الوصــف **(يارءوف)** من الرأفة وهى شدة الرحمة ومعناه: هو الذى يرحم الكــون بتجليه فيه من غير حلول، ولولا تجليه فى الكون لتلاشى العالم بأسره فى أسرع من طرفة عين، ومن خواص هذا الاسم أن من ذكره عند الغضب عشر مرات وصلى على النبى ﷺ كذلك سكن غضبه، ومن ذكــر هــذا الاسم وحده مع استحضاره عظمة مولاه حال غضبه فإنه يورثه الحلم **(يا الله يا رحمن يا رحيم)** هذا موقف من مواقف الورد المورد تاليه أعظــم ورد، وهذه أسماء البسملة التى بها الابتداء، وقد قسم المؤلف التوســلات بحروف المعجم أثلاثاً، وفى كل ثلث بيا الله يا رحمن يا رحيم، وكــذلك يفعل فى الصلاة النبوية تبركاً بهذه الأسماء كما تبرك بها فــى الابتــداء واتفق أن هذا الثلث تسعة أحرف واللذان بعده عشرة عشرة، وسبب هــذا

التقسيم أن الأصوات ربما ارتفعت فإذا وصلوا إلى ثلث من هذه الأثلاث وقفوا وبدأ بهم المقدم عليهم خافضاً صوته كما ابتدأ بهم، وقد اقتفى فـــى هذا الصنيع أثر جناب الإمام الشيخ أبى الحسن البكرى فى حزبه المسمى "بحزب الفتح"، فإنه وقف على قوله: يا الله يا رحمن يا رحيم ثـــم شـــرع المصنف فى النمط الثانى من التوسل الربانى فقال: **(اللهم رقق)** أى يـــا الله أذهب كثافة **(حجاب بشريتى)** والبشرية هى النشأة الإنسانية، والبشر: الخلق، سُمُّوا بذلك لظهور بشرتهم وهى ظاهر الجلد، وحجاب البشـــرية لوازمها المانعة عن الاتصاف بالصفات الروحانية، فمـــن غلـــب عليـــه صفات روحانيته فيكون إنسانا فى صورة ملك، فهو ســـماوى البصـــيرة أرضى الصورة، ومن غلب عليه صفات بشريته كان حيواناً فى صـــورة إنسان وترقيق حجاب البشرية لا يكون عـــادة إلا بالمجاهـــدة والمكابـــدة وارتكاب أحوال الطاعة حتى تصفو النفس عن كدرات شـــهواتها، فـــإذا صار حجابها مثل الزجاج رأى الغيب كالشهادة، وإنما طلـــب المصـــنف الترقيق دون الإزالة بالكلية لأن الانسلاخ عن حكم البشرية بالكليـــة مـــع بقاء عنصر الصورة الإنسانية لا يمكن، بـــل لايكـــون إلا بعـــد الرحلـــة الأخروية والموت الحقيقى لا المجازى، ولما كانت المجاهدات لا تفيد إلا بعناية من الله تعالى نسب المصنف الترقيق إلى ذلك بقولـــه: **(بلطـــائف)** جمع لطيفة، وهى كل إشارة دقيقة المعنى لا تلوح للفهم ولا تسعها العبارة كالعلوم الذوقية التى تدرك بالذوق والوجدان، واللطيفـــة الإنســـانية هـــى النفس الناطقة المسماة عندهم "بالعقل" والمراد باللطائف هنـــا: الألطـــاف وإضافة ذلك لقوله **(إسعاف)** للبيان أى بألطاف هى إسعاف أى مســـاعدة وتأييد، وجمع المصنف اللطائف مع أن المراد بها شـــىء واحـــد وهـــو الإسعاف للتعظيم **(من عندك)** أى لا بمجاهدة منى **(لأشـــهد)** أى أعـــاين

ببصرى وبصيرتى **(ما انطوت عليه)** أى ما احتوت عليه البشرية **(من عجائب قدسك)** جمع عجب، وقيل: عجيب، أى العجائب الناشئة عن طهارتك أى ذاتك المطهرة من كل نقص وعيب، ومن جملة تلك العجائب انطواء ذلك العالم الأكبر فى صاحب تلك البشرية وهى النشأة الإنسانية ولما كان مَنْ رَقَّ حجابُ بشريته يخشى عليه أن يغلبه الحال أو تركن إليه نفسه الأمارة بالسوء طلب المصنف الستر بقوله: **(إلهىَ ردنى)** أى استرنى **(برداء)** بالمد وهو فى اللغة: ما يلبس فى أعلى البدن وجمعه أردية، وفى الاصطلاح: فهو ظهور صفات الحق على العبد، والمراد به هنا، رداء الصون عن الأعداء **(من عندك)** أى من مقام عنديتك الذى مدده لا ينال بكسب كاسب وإنما ينال بالمواهب الإلهية ومن تردى برداء العندية اقتبس أنوار المعية، ومن نازع فى طلب رداء الكبرياء وإزار العزة والعظمة قصم وقذف فى النار، ففى الحديث الشريف: «**قال الله تعالى: العظمة إزارى والكبرياء ردائى، فمن عارضنى فيهما قصمته ولا أبالى**» وفى الحديث أيضا: «**لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من الكبر** »، كذا فى الجامع الصغير **(حتى)** أى لأجل أن **(أحتجب)** أى أستتر **(به)** أى بذلك الرداء **(عن وصول)** أى بلوغ **(أيدى)** جمع يد تطلق على القوة وهى المرادة هنا، قال تعالى: ﴿**وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ**﴾ [الذاريات:٤٧] أى بقوة وقوله: **(الأعداء)** جمع عدو، وهو خلاف الصديق الموافى والأعداء كثيرون كالشيطان والهوى والنفس والمال والأهل والبنين وغيرهم، ولولا الملائكة وحمايتهم لاختطفت الجن الموحدين وكون هؤلاء من الأعداء بالنسبة لمن وقف معها إذ هو الحجاب عن الارتقاء لمنازل الاقتراب وقوله: **(إلى)** أى إلى ذاتى فلا تصل إليها أيدى الأعداء بوجه من الوجوه فى الظاهر والباطن فأكون محمياً من سائر

الطوارق إلا طارقا يطرق بخير حتى من أرباب الأحوال وأهل السير ولما سأل أن يسبل عليه رداء الصون ليأمن ظاهرا وباطنا بزينة الحماية من سائر الكون طلب زينة أخرى تحتاجها النفس فقال: **(إلهى زين ظاهرى)** أى حسن جوارحى الظاهرة **(بامتثال ما أمرتنى به)** من الأعمال كالصلاة والزكاة وغيرهما من سائر الفرائض والنوافل وامتثالها هو العمل بها **(ونهيتنى عنه)** أى وزين ظاهرى أيضا بامتثال ما نهيتنى عنه من سائر المنهيات الشرعية وامتثالها: عدم ارتكاب شىء منها فلا يلحقه لسان ذم أبداً **(وزين سرى)** فضلاً منك وجوداً **(بالأسرار)** أى بالعلوم والمعارف والزهد والتوكل والصبر وغير ذلك **(وعن الأغيار فصنه)** أى احفظه واحرسه من التعلق بالأغيار، ولما كانت زينة الظاهر والباطن لا تتم إلا بالسلامة سألها بقوله: **(إلهى سلمنا من كل الأسواء)** أى نجنا وخلصنا من جميع ما يسوء الظاهر والباطن دنيا وأخرى والأسواء جمع سوء **(واكفنا)** ضمنه معنى احمنا واحفظنا، فعداه بمن فى قوله: **(من جميع البلوى)** اسم مصدر بمعنى البلاء أى الغم لأنه يبلى الجسم، ولذا كان التكليف بلاء لأنه شاق على البدن أو لأنه اختبار من الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ﴾ [محمد:٣١] وكان المصنف - رحمه الله تعالى - اعترف بعدم تحمل أثقال البلاء فطلب ألا يصل إليه شىء منه وأن يعامله بالإحسان كما قال سيدى عمر ابن الفارض - رضى الله تعالى عنه -:

بانكسارى بذلتى بخضوعى بافتقارى بفاقتى بغناكا

لا تكلنى إلى قوى جلدخا ن فإنى أصبحت من ضعفاكا

وبما شئت فى هواك اختبرنى فاختيارى ما كان فيه رضاكا

(وطهر أسرارنا) أى قدسها **(من)** كدرات **(الشكوى)** ولو فى نفسها لنفسها فإنها أثر الرعونات، وهى من السالكين قبيحة، ومن المحبين فضيحة، ومن المجذوبين إذا كانت لله بالله صحيحة، ومن الكاملين موازين رجيحة، أى مطلوبة منهم، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ**﴾ [يوسف:٨٦]، فالمطلوب من كل من يدعى حب الله تعالى أن لا يبث شكواه فى سره ونجواه إلا إليه تعالى لا لغيره ولو لنفسه، ولذا عوتب أيوب فى أنينه يوماً من الأيام فأوحى الله إليه: يا أيوب شكوتنى؟ فقال: إلهى وسيدى إلى من ولم يسمع أنينى أحد؟ فقال: إلى أعدى عدو وهو نفسك، وفى الحديث: «**ثلاث من كنوز البر: كتمان الصدقة وكتمان المصيبة وكتمان الشكوى**»، يقول الله تعالى: «**اذا ابتليت عبدى فصبر ولم يشكنى إلى عواده أبدلته لحما خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه فإن أبرأته أبرأته ولا ذنب عليه وإن توفيته توفيته إلى رحمتى**» فعلم من هذا أن المحب لا تصعد منه شكوى ولذا قال العارف بالله سيدى مصطفى البكرى - رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين -:

لا تليق الشكوى من الأحباب ... لو يصابوا بجملة الأوصاب

كيف يشكو المحب فعل حبيب ... إن هذا لمن عجيب العجاب

أهل الغرام لو مات منهم ... بعضهم ما دروا عهد الخطاب

وإذا طافت الكئوس عليهم ... لم يميزوا بين الخطا والصواب

وإذا شاهدوا الجمال تبدى ... حسبوهم فى زمرة الغياب

بلوة فوق بلوة وسقام ... فوق سقم تترى بغير حساب

هكذا هكذا وإلا فلالا ... شيمة العاشقين قطع الرقاب

(و) طهر **(ألسنتنا)** جمع لسان وهو آلة النطـق، وأتـى بصـيغة الجمع هنا وفيما مر لأنه ناب مناب الأمة، أو لاحظ كل جزء من أجزائه **(من الدعوى)** بمعنى ادعاء شيء ليس لنا، وجمعها دعاوى بكسر الـواو وفتحها، أى: طهرها من أن تدعى ما ليس فينا بل وما هو فينا، فإنه ليس لنا فى الحقيقة، وإنما طلب طهارة اللسان دون القلب لأنه ترجمان القلـب فيكون طلب طهارته متضمنا لطلب القلب لأنه لا يطهـر إلا إذا طهـر القلب أو لأن القلب ليس محلاً للدعوى وإنما محلها النفس، وقد جعل الله الدعوى مقرونة بالعجز ولوكان صاحبها محقـاً، إذ الـدعوى الصـادقة تحدث فى القلب ظلمة فما بالك بالكاذبة؟ ولذا قال بعضهم:

فدعوة المرء تطفى نور بهجته ولو بحق فكيف المدعى زللا

وسئل سيدى إسماعيل السلمى جد سيدى عبد الرحمن السـلمى – رضى الله تعالى عنهما – عن هذه الدعوى من أين تتولد؟ فقـال: مـن الاغترار وتشويش الأسرار، وكان يقول: إنما تتولد الدعاوى مـن فسـاد الابتداء، فمن صحت بدايته صحت نهايته، وكان ذو النون يقول: كل مدع محجوب بدعواه، وكان سيدى إبراهيم الدسوقى – رضى الله تعالى عنـه – يقول: عليك بالعمل وإياك وشقشقة اللسان بالكلام فـى الطريـق دون التخلق بأخلاق أهلها، وسمعت من أستاذى سيدى محمد السباعى نقلاً عن والده – رضى الله تعالى عنهما – أنه كان يقول منشداً:

أما الخيام فإنهـا كخيامهـم وأرى نساء الحى غير نسائها اهـ

وقال سيدى عبد الوهاب الشعرانى – رضـى الله عنـه – فـى "العهود الصغرى": أخذت علينا العهود أن لا نقر النفس قط على دعواها العلم والمعرفة فوق جميع أقرانها، وسمعت العارف بالله سـيدى محمـد السباعى نقلاً عن والده أنه كان يقول: سمعت شيخنا "يعنى العـدوى" –

رضى الله عنهم أجمعين – يقول: من ادعى الولاية أو شيئاً من المعارف ولو صدقاً يخاف عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى اهـ، وفى قصة موسى والخضر عليهما السلام كفاية للمعتبر، نسأل الله السلامة بجاه من ظللت عليه الغمامة **(إلهى شرف مسامعنا فى خطابك)** أى اجعلها شريفة المقدار فإنك من أسمعته الخطاب عد من الأحباب **(وفهمنا أسرار كتابك)** التى هى البحور الزواخر بلا حد تقف عنده الذى أنزلته على سيد أحبابك، وجمعت فيه ما تفرق فى كتب أنبيائك، وجعلته بحراً لا ساحل له؛ لأن المتكلم به عالم بجميع المعانى سبحانه وتعالى والوجوه التى تدل عليها هذه الألفاظ، فما من مفسر يبدى وجهاً موافقا للغة والأصول الشرعية إلا وهو مقصود له تعالى، قال بعض العارفين: أن لكل آية ظهراً وبطناً وحداً ومطلعاً، ولبطنه بطن إلى سبعة أبطن إلى سبعين وقال بعض العارفين: لكل آية سبعون فهماً، وقيل أكثر، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا**﴾ [الملك:١٥]، قيل فى أسواقها وهذا للتجار وقيل: فى أمصارها وهذا للمتعيشين، وقيل: فى فيافيها للسواح، وكلها صحيحة لا تعارض فيها، ولما كانَ القرآن العظيم جامعاً لسائر العلوم محيطاً بدوائر الفهوم لا يشذ عنه فهم فاهم ولا علم عالم سأل المصنف مولاه أن يفهمه أسرار كتابه ولو من بعض الوجوه، ومن خص بفهم أسرار الكتاب وتحقق له ذلك كان من المعتنى بهم فى القرب من الأعتاب فلذا قال: **(وقربنا من أعتابك)** أى أدننا لطاعتك؛ لأنها المرادة من القرب لاقرب مسافة، قال ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فإذا سجد أحدكم فليجتهد فى الدعاء**»، **(وامنحنا)** أى أعطنا **(من لذيذ شرابك)** أى من شرابك اللذيذ أى الذى لا ألم فيه ولا كدر، لأن اللذة الخلوص من الآلام وقيل: ارتياح النفس وانشراح الصدر بما يحصل

وأنواع الشراب الإلهية كثيرة لا حصر لها؛ لأن لكل مقام درجات، ولكل درجة أهل ولكل واحد منهم مشرب معلوم، فشراب مقام المحبة مثلا يتنوع لكل محب بحسب إنائه، فمنهم من شربه عن ظمأ، ومنهم من شربه عن تلذذ، ومنهم من شرب نقطة سكر بها إلى الأبد، ومنهم من يكفيه القليل وإذا زيد عليه هلك، ومنهم من لا يرتوى بل يزيده الشرب التهابا وظمأ إلا إذا أدركت المحب العناية الإلهية، وأما قول الحلاج المحب "لا يروى" لا يعول عليه لأنه قال ذلك فى حال دهشته، ولذا لما اجتمع عليه السيد محيى الدين فى عالم المثال وقال له: أنت القائل المحب لا يروى؟ قال: نعم، فقال له: أسقيك؟ قال: نعم، فسقاه ثم قال: أزيدك؟ قال: نعم فزاده ثلاثا ثم أراد أن يزيده فقال له: قد رويت، فقال له ما معناه: كيف تقول المحب لا يروى وها أنا قد رويتك؟ ولما سأل المصنف تشريف الأسماع بالخطاب وكان ذلك قد يصاحب فهم أسرار الكتاب وقد لا يصاحبه سأل الفهم فى أسرار الكتاب، ثم تأمل فرآهما قد يقعان لغير مقرب من الأعتاب فطلب التقريب منها ثم تأمل فوجد القريب قد يسقى ولا يسقى، وإن سقى فربما لا يكون من الشراب اللذيذ فسأله، فهذه الأمور بعضها مرتب على بعض على سبيل الترقى، والمعنى: شرف يا الله مسامعنا بسماع خطابك بالكشف عنه ليتشرف الجسم به الآن كما تشرفت به الروح فى عالم الذر حين الخطاب بـ**(ألست بربكم)**، وفهمنا أسرار كتابك لنسير على طريقته بإيمان وإيقان وقربنا من أعتابك لندرك حقيقة الإحسان، وامنحنا من لذيذ شرابك لنحظى بكامل العرفان، ولما كان الشراب اللذيذ هو الذى لا يستغرق صاحبه عن إحساسه إذ لو استغرقه لم يدرك لذة، وصاحب هذا المشرب هو الجامع بين الصحو والسكر، ومن كان كذلك حق له أن يتصرف فى العالم بأسره ناسب أن

يقول المصنف: (**إلهى صرفنا**) أى حكمنا وفوض لنـــا الأمـــر واجعـــل تصريفنا بك لا بنا ليكون تصرفنا تاماً وتحكمنا عاماً ولنحفظ فيه مـــن أن ننسب شيئاً منه إلينا؛ فإن من رأى له ذلك فهو الهالك لا السالك واعلم أن التصرف على أقسام: عام وخاص وظاهر وباطن فى اليقظة والنوم مـــع شعور صاحبه أو عدم شعوره بأن يتصرف بحقيقته ولا تحس به نفســه فمن أهل الله من يتصرف فى بعض الأوقات دون بعض، ومـــنهم مـــن يتصرف ببلدة دون أخرى أو بإقليم دون آخر، والمحمدى المقام، أى الذى على قدم رسول الله محمد ﷺ تصرفه عام فى جميع الأشياء ورجـــال الله المتصرفون فى الكون كثيرة ولا يزيد على مائة ألف وأربعة وعشـــرين ألفاً عدد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكلهم يستمدون من رســـول الله ﷺ (**فى عوالم**) بكسر اللام جمع عالم وهو ما سوى الله تعالى أى: اجعلنا متصرفين فى كل عالم من العوالم الظاهرة والباطنة (**الملك**) هو العـــالم الظاهر وهو عالم الشهادة (**والملكوت**) هو العالم الباطن وهو عالم الغيب المختص بالأرواح والنفوس، ويقال له: عالم الأرواح القدسية والأســـرار الأنسية، ثم اعلم أن الله تعالى جعل العوالم أربعة: عالم الملك وهـــو مـــا شأنه أن يدرك بالحس والوهم، وعالم الملكوت وهو ما شـــأنه أن يـــدرك بالعقل والفهم، وعالم الجبروت وهو ما شأنه أن يدرك بالحس وما معـــه وبالعقل وما معه لكن لا فى أول حال بل فى ثانى حال كتعلـــق الجســـم بالروح وهى به وقد يقال: الإنسان روح ثم نفس ثم جسم، فالروح عـــالم الجبروت، والنفس عالم الملكوت، والجسم عالم الملك، فالروح الجبروتى مظهر الذات، والنفس الملكوتى مظهر الصفات، والجسم الملكى مظهـــر الأفعال، ويقال أيضا: الملك ما ظهر والملكوت ما بطن، والجبروت جامع لهما، كما أن الانسان ظاهره ملك وباطنه ملكوت وحيث جمع بينهما كان

جبروت فيدرك بالبصر والبصيرة، والعالم الرابع عالم العزة وهو ما امتنع إدراكه من كل وجه فلم يظهره لأحد من خلقه كتعلق أسمائه وصفاته من حيث تعلقها به **(وهيئنا)** أى اجعلنا مهيئين وصالحين **(لقبول)** بفتح القاف **(أسرار الجبروت)** ليكمل لنا بالتهيئة جميع التشريف **(وأفض علينا)** أى أفرغ على ذواتنا المتعطشة لإحسانك وبرك وامتنانك **(من)** بحار خزائن **(رقائق)** جمع رقيقة، ومر الكلام عليها **(دقائق)** جمع دقيقة وهى كما فى "القاموس" الأمر الغامض وهو السر الخفى والحضرة الغيبية المعبر عنها بعالم **(اللاهوت)**، وقد تقدم بيانه، ولما سأل الشيخ المصنف التصريف فى العالم والتهيئة لقبول الأسرار وإفاضة العلوم والأنوار، وكانت هذه مطالب شامخة الأبواب من دونها قطع الرقاب ناسب أن يقول: **(إلهى ضربت)** بالبناء للمجهول أى قطعت **(أعناق الطالبين دون الوصول إلى ساحات حضراتك العلية)** أى الرفيعة التى لا يصل إليها أحد من الناس إلا بعناية من الله تعالى، ولذا قال سلطان العاشقين ابن الفارض - رحمه الله تعالى -:

أروم وقد طال المدى منك نظرة وكم من دماء دون مرماى طلت

(و) مع ذلك **(تلذذوا بذلك)** أى بضرب الأعناق لشهودهم أن المحبوب هو الفاعل وما يفعله المحبوب محبوب، وقد حكى أن السيدة رابعة العدوية - رضى الله عنها - كانت مجتازة مع نفر من أصحابها لبعض حاجاتها فضرب رأسها ركن جدار فجرى الدم على وجهها ويدها وهى لا تلتفت إلى ذلك ولا تبالى به، فقال لها بعض أصحابها: أما تحسين بما جرى لك وهذا الدم قد خضب وجهك وثوبك؟ فالتفتت وأقبلت عليه من غفلتها وقالت لهم: يا إخوانى التداوى بموافقة مراد محبوبى فيما جرى أشغلنى عن الإحساس بما ترون من شاهد الحال اهـ، **(فطابوا)**

أى طابت نفوسهم وانشرحت (**بعيشتهم**) أى بحياتهم (**المرضية**) وهى حياة قلوبهم بالقرب من محبوبهم، وكان المصنف - رحمه الله تعالى - يقول: إذا كان الطلاب الراغبون فى نيل وصالك تضرب أعناقهم قبل الوصول كان ذلك عسيراً على أمثالنا، فمُنَّ علينا بعناية منك نقطع بها المهالك، ونقوى على حمل وارادات جلالك، ولما كان لابد فى دخول تلك الحضرة من صفاء السريرة طلبه بقوله: (**إلهى طهر سريرتى**) أى قدسها ونزهها من الأدران الحسية والمعنوية؛ لأن المراد بالطهر هنا الحسى والمعنوى، ففى الحديث: «**إذا نام العبد وهو على الطهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة، وإن لم ينم على الطهارة قصرت روحه عن البلوغ وتكون أضغاث أحلام لا تصدق**»، قال سيدى محيى الدين - قدس سره - فى "الفتوحات" كل سبب موجب للنظافة ظاهرا وباطناً ينبغى استعماله فى كل حال؛ فإن الله جميل يحب الجمال والسريرة مقابل العلانية ففى الحديث: «**اللهم اجعل سريرتى خيراً من علانيتى، واجعل علانيتى صالحة**»، ولما كانت الطهارة على أقسام: طهارة القلب من التقلب فيما لا يعنى، وطهارة الروح من الشغل بالمعارف والفتوح، وطهارة العقل من تقييد المولى وعدم إطلاقه وطهارة السر من شهود الأغيار وكانت هذه هى الأصل فلذا خصها بالذكر، فإن قلت: قد ذكر سيدى محيى الدين - قدس سره - أن طهارة الأسرار ذاتية، وطهارة الطبيعة عرضية، فقدس طبيعتك؛ فإن سرك مقدس وتحصيل الحاصل تضييع للوقت اهـ، أى والمصنف قد طلب طهارة السريرة مع أنها مطهرة كما علمت، قلت: نعم، هى مطهرة ولكن نجاسة الطبيعة تعود على الأسرار بالضرر فتنجسها، فطلب طهارة سريرته من الله تعالى وإن كان لا يوجد إلا بطهارة الطبيعة المنجسة لها

فهى المطلوبة حقيقة، ولما كانت الموانع غير محصورة فى عدد قال المصنف: **(من كل شىء)** أى ظاهر وباطن **(يبعدنى)** بالتخفيف والتشديد أى يجعلنى بعيداً **(عن حضراتك)** الإلهية **(ويقطعنى عن لذيذ مواصلاتك)** جمع مواصلة، وهى ضد المقاطعة "مفاعلة"؛ فإن البعد عن الحضرات عقوبة من أعظم العقوبات، والمعنى: يمنعنى عن مواصلاتك اللذيذة - من إضافة الصفة للموصوف - فإنه ليس فى العالم لذة أعظم من مواصلة الأحباب، ولذا قال بعض العاشقين:

يزيدهم شرب المدام صبابة فأحشاؤهم من حبه تتلوع

وما عندهم شىء أمر من الجفا ولا قامع للنفس من ذاك أقمع

فلا تزال الأرواح متعطشة إلى محبوبها، ولذا قال: **(إلهى ظمؤنا)** أى عطشنا واشتياقنا **(إلى شرب حمياك لا يخفى)** عليك ولا على كل من أطلعته عليه من أحبابك، والحميا: من أسماء الخمرة، والمراد بها: خمرة الشهود المشار إليها بقول سلطان العاشقين عمر بن الفارض:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

وقال أيضا:

فتلك خمر الشهود تدعى لا خمرة الكرم والدنان

وقال المصنف - رضى الله تعالى عنه -:

وما الخمر إلا مسكر العقل وحده وخمرتها تسرى إلى كل شعرة

وأطلق عليها اسم الخمرة بجامع الأسكار فى كل، وأضيفت إليه تعالى تشريفاً ولأنها لا تحصل إلا بمعونة منه، والظمأ ثمرة الإيمان فمن اشتد إيمانه قوى ظمؤه للشرب، فإذا ذاق عرف فزاد ظمأه إلى مشاهدة

محبوبه الحبُ، فلذا قال: **(ولهيب قلوبنا)** أى اشتعال نار الحب والوجد فى القلوب، ولقد قال مَنْ عليه الحبُّ صالَ:

كلما قلت بقربى تنطفى نيران حبى

زادنى القرب لهيبا هكذا حال المحب

وأنشد المصنف – نفعنا الله به –:

أزيدك اشتياقا كلما ازددت من قربى ويقلقنى وجدى فأنشد بالركب

وأزداد فى شربى إليك تعطشا ويطلق دمع العين ينهل كالسحب

(إلى مشاهدة) أى معاينة **(جمالك)** المقدس المنزه عن المثيل **(لا يُطفى)** أى لا يخمد، ولما كان الشرب والمشاهدة بدون المعرفة الخاصة لا يتم ولا يكمل طلب المصنف ذلك بقوله: **(إلهى عرفنى)** أى علمنى لأن العلم والمعرفة بمعنى واحد على الصحيح وهو الجزم المطابق للواقع وتعلق أحدهما بالجزيئات، والآخر بالكليات، ولذا قال الرضى: إنه مجرد فرق فى الاستعمال فقط أى كذا خلقت، وقيل: متغايران، فالمعرفة إدراك الشىء على ما هو عليه وهى مسبوقة بنسيان حاصل بعد العلم ولذا يسمى الحق تعالى بالعالِم دون العارف، وأجاب الأول بأن عدم وصفه تعالى لعدم التوقيف، وإن كانت المعرفة بمعنى العلم فكل عالم بالله تعالى عارف به، على أن بعضهم حَسَّن ذلك وأطلق المعرفة عليه تعالى ففى الحديث عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**تعرَّفْ إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة**» فإن العبد إذا اتقى الله تعالى وحفظ حدوده و رعى حقوقه حال الرخاء فقد تعرف بذلك لمولاه، حيث راقبه فى تلك المواطن، فعرفه ربه معرفة خاصة من هذا الوجه وشكره على ذلك وذكره فيما هنالك ذكراً خاصاً ينجيه من المهالك، وهذا هو الذى إذا دعا

الله تعالى تقول الملائكة: "يا رب صوت معروف من عبد معروف"، وأما معرفة العبد العامة فهى الإقرار بالوحدانية، والتصديق بالغيب، وإن كان إطلاق المعرفة عليه تعالى محتملاً للمشاكلة أو المجازاة على ما هو الشأن فى العمل بمقتضى المعرفة كما هو الأظهر فى معنى قول ابن الفارض – قدس سره –:

قلبى يحدثنى بأنك متلفى روحى فداك عرفت أم لم تعرف

أى جازيت أم لم تجاز، ومعنى فداك فدية مقدمة لحضرتك، قال سيدى عبد الرحمن الفاسى – رحمه الله تعالى – فى حاشية "حزب البر": معرفة الله تعالى هى أعلى المطالب وأسنى المواهب، ولذا قال بعض العارفين: مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما عرفوا أطيب ما فيها، قيل له: وما هو؟ قال: معرفة الله تعالى، وهى لا تحصل إلا بإفاضة من الله تعالى لا بالاجتهاد، ولذا سئل الصديق الأكبر – رضى الله تعالى عنه – بم عرفت ربك؟ فقال: عرفت ربى بربى، ولولا ربى ما عرفت ربى وسئل على بن أبى طالب – رضى الله تعالى عنه – بم عرفت ربك؟ فقال: بما عرفنى به نفسه، لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالقياس، قريب فى بعده بعيد فى قربه، فوق كل شيء وهو على كل شيء ولا يقال كشيء فى شيء فسبحانه من إله تنزه عن الحوادث اهـ، والمعنى على كلا القولين: اللهم علمنى إدراك الأشياء على ما هى عليه التى منها علم الحقائق فأدرك إذاً **(حقائق)** مفعول عرفنى **(أسمائك)** جمع اسم وهو اللفظ الدال على المسمى، وأسماؤه تعالى كثيرة قيل: ثلاثمائة، وقيل: ألف وواحد، وقيل: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً على عدد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأن كل نبى تمده حقيقة اسم خاص به مع أمداد بقية الأسماء له لتحققه بجميعها، وقيل: ليس لها حد ولا نهاية، فلا يحيط بها

عد ولا غاية، وإليه ذهب ابن عباس، ومال إليه العلامـــة الأميـــر، وإذا كانت أفعاله لاتنحصر كذلك أسماؤه كالمحيى والمميت، وحقائق الأسماء: معانيها، وحينئذ فالمراد بمعرفتها: التخلق بتلك المعـــانى، كـــأن يتخلـــق بالرحمة مثلا (**الحسنى**) مصدر وصف به أو مؤنث أحسن، وأفرد لأنـــه وصف جمع مالا يعقل فيجوز فيه الإفراد والجمع، وسميت حسنى لأنهـــا دالة على معان حسنة وهى أحسن المعانى من المدح والتعظيم والتحميـــد وغير ذلك؛ لأنها إما ذاتية كالله والرحمن، أو صفاتية كالحى والعلـــيم، أو أفعالية كالمحيى والمميت، والصفاتية على أقسام: أسماء صـــفات جمـــالٍ كالرحيم والكريم، وأسماء صفاتِ جلالٍ كالكبير والعظيم، وأسماء صفاتِ كمال كالسميع والبصير، ويحتمل أن المـــراد بهـــا خصـــوص التســـعة والتسعين اسماً المشار إليها بحديث: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة**» «**إنه وتر يحب الوتر**» وليس فـــى هـــذا الحديث ما يدل على نفى ما عداها كما فى قولك: إن لزيد تسعة وتسعين درهماً أعدها للصدقة من زاره أعطاه إياها، فهذا لا يدل على أنه لـــيس عنده من الدراهم غيرها ولا على أكثر منها، وإنما يدل علـــى أن الـــذى أعده زيد من الدراهم للصدقة أو للعطيـــة هـــو ذلـــك العـــدد المـــذكور والإحصاء فى الحديث صادق بالعد والحفظ والفهـــم والتخلـــق والتحقـــق ووجوه ذلك لا تنحصر وعند العارفين هـــو الاتصـــاف بهـــا والظهـــور بحقائقها فيتخلقون بما يصلح منها للتخلق كالرحمة والكرم والحلم، فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا وأحبتنا من هؤلاء أهل العرفان بجاه سيد ولد عدنان؛ فإنه جواد كريم حنان منان (**وأطلعنى**) أى اجعلنى ممن أشـــرف (**على رقائق دقائق**) جمع رقيقة ودقيقة، وتقدم الكلام عليهما (**معارفـــك**) المانحة طيب عوارفك (**الحَسْنَا**) أى ذات الحسن الباهر (**وأشـــهدنى**) أى

اجعلنى مشاهدا بك **(خفى)** أى مصون مكنون **(تجليات صفاتك)** جمع صفة **(وكنوز أسرار ذاتك)** الكنز: مصدر كنز من باب ضرب بمعنى اسم المفعول أى المكنوز، وهو معروف، وحينئذ فإضافة الكنوز لما بعدها من إضافة المشبه به للمشبه، أى: وأشهدنى أسرار ذاتك الشبيهة بالأموال المكنوزة بجامع النفاسة فى كل، وتقدم الكلام على الأسرار، ولما سأل المصنف – قدس سره – نيل هذه المطالب نادته هواتف الحقيقة الإلهية: إذا مننا عليك بهذا الغنى الأكبر هل تنسب شيئاً منه لنفسك وتدعى المشاركة لنا فى وصف الغنى؟ فأجاب بلسان الأدب مثبتاً لمولاه الغنى المطلق ولنفسه الغنى المقيد فقال: **(إلهى غناك)** بالكسر والقصر، أى: عدم احتياجك إلى شىء من الأشياء **(مطلق)** حتى عن وصف الإطلاق فلا يتقيد بشىء دون شىء؛ لأن الله تعالى هو الغنى بالذات وغيره بالعرض **(وغنانا)** معاشر الفقراء إليك بموجب ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾ [فاطر:١٥] **(مقيد)** بحال دون حال ووقت دون وقت فالمقيد وصف لنا فى كل أوصافنا، والإطلاق وصفك، ونحن لا غنى لنا إلا إن أغنيتنا **(فنسألك)** أى نطلب منك بحق **(غناك المطلق)** الأزلى الأبدى المحقق **(أن تغنينا)** بضم التاء من أغنى منصوب بأن المصدرية، والضمير للجماعة من الحاضرين والسامعين أى: أن تغنى نفوسنا؛ فإن الغنى الكامل هو غنى النفس، أو: مُنَّ علينا بحفظ القرآن وفهم أسراره ففى الحديث: «**القرآن غنى لا فقر بعده ولاغنى دونه**»، رواه أبو يعلى فى مسنده ومحمد بن نصر عن أنس **(بك)** أى بحولك وقوتك **(غنى)** مفعول تغنى **(لا فقر)** أى لا احتياج ولا فاقة **(بعده)** أى بعد ذلك الغنى **(إلا إليك)** أى إلا لواسع فضلك وجودك

فان الفقر الى غيرك مذلة، وإليك عز **(يا غنى)** أى عن كل شىء وسيأتى الكلام عليه وعلى خواصه **(يا حميد)** هو بمعنى محمود ومعناه: المستحق لجميع المحامد، ومن خواص هذا الاسم أن من داوم عليه يحصل له رزق عظيم، قاله سيدى أحمد زروق **(يا مبدئ)** المبدئ هو الموجد والمنشئ، ومن خواصه أن من قرأه على بطن الحامل سَحَرًا تسعا وعشرين مرة فإن ما فى بطنها يثبت ولا يتزلزل، وقال بعضهم: من داوم عليه تسعة وتسعين يوماً أطلعه الله على العلوم **(يا معيد)** المعيد هو الذى يعيد عين الفعل من حيث هو خالق وفاعل وجاعل وعامل، فإذا فرغ من إيجاد شىء أوجد غيره؛ لأنه ليس فى العالم شىء يتكرر، وإنما هى أمثال تتجدد وأعيان توجد؛ لأنه لا يوجد شيئاً ما مرتين، كما أنه لا يتجلى على عبد بتجليين متفقين من كل وجه ولا على عبدين بتجل واحد للوسع الإلهى، ولنص قوله تعالى: **﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾** [الرحمن:٢٩] أى كل وقت هو فى شأن، وأنشد سيدى محيى الدين – قدس سره –:

ولا أقول بتكرار الوجود ولا عود التجلى فما فى الأمر تكرار
الأمر أمر على ما كان من قدم إن الحوادث أمواج وأنهار
لا تحجبنك أشكال مشكلة عمن تشكل فيها فهى أستار

وهذا الاسم من أسماء الأفعال، وصفته الإعادة على الدوام، ولهذا الاسم خواص كثيرة منها أن من أكثر من ذكره تذكر ما نسيه وإن طالت مدته، ومنها أن من كان له غائب وأراد مجيئه أو مجىء خبر منه فليقرأه سحراً فى أركان بيته الأربع فى كل ركن سبعين مرة ثم يقول بعد قراءة هذا العدد المذكور: "يا معيد رد فلاناً لهذا المكان أو أوصل لنا خبراً منه" فإنه يحصل المراد بعد سبعة أيام.

(فائــدة) قال أبو زرعة العراقى: وقعت نار بجرجان فاحترق فيها تسعة آلاف بيت وكان فيها تسعة آلاف مصحف كلها احترقــت إلا هــذه الآيات الشريفة فإنها لم تحترق من كل مصحف، وهى قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾ [الأنعام:٩٦]، ﴿**وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [آل عمران:١٢٢]،﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّــهَ غَــافِلاً عَمَّــا يَعْمَــلُ الظَّــالِمُونَ**﴾ [إبراهيم:٤٢]، ﴿**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَــتَ اللّــهِ لاَ تُحْصُــوهَا**﴾ [إبــراهيم:٣٤] [النحل:١٨]، ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّــاهُ**﴾ [الإسراء:٢٣]، ﴿**تَنزِيلًــا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى الرَّحْمَنُ عَلَــى الْعَــرْشِ اسْــتَوَى**﴾ [طه:٤-٥]، ﴿**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْــبٍ سَــلِيمٍ**﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩]، ﴿**ائْتِيَــا طَوْعًــا أَوْ كَرْهًــا قَالَتَــا أَتَيْنَــا طَــائِعِينَ**﴾ [فصلت:١١]، ﴿**وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**﴾ [الذاريات:٢٢]، قــال الدميرى: ما كتبت هذه الآيات ووضعت فى متاع أو غيره إلا حفظ بإذن الله تعالى، ولا حملها إنسان معه إلا حفظ بإذن الله تعالى ولم ير فى نفسه ولا عياله مكروهاً، وإذا علقت على صغير حفظ من القرائن والتوابع وأم الصبيان، ونشأ منشأ صالحاً وخرجت أسنانه من غير ألم، فيا أيها الرجل الذى وصلت إليك هذه الذخيرة، عض عليها بالنواجــذ فمنافعهــا كثيــرة اهــ، ولنرجع لما نحن فيه فنقول: قال المصنف: **(يا رحيم يــا ودود يــا الله يا رحمن يا رحيم)** سيأتى الكلام على هــذه الأســماء، ولمــا ســأل المصنف – رحمه الله تعالى – الغنــى ومــن جملتــه أن يغنيــه ســيده بخصوصية يمنحه بها وكان ذلك لا يصح إلا بعد فتح أقفال القلوب ســأل ذلك فى أوائل النمط الثالث فقال: **(اللهم إنك)** إنَّ حرف توكيــد ونصــب والكاف ضمير المخاطب **(فتحت)** يا فتاح بمفتاح قدسك الفيــاح **(أقفــال)**

جمع قفل وهو معروف **(قلوب أهل)** أى أرباب وأصحاب **(الاختصـــاص)** أى الذين خصصتهم من الأزل بأســـرارك ومعارفــك، وصـــفيتهم مـــن كدورات النقائص، فشبه قلوبهم أولاً ببيوت أغلقت أبوابها وضربت عليها أقفال الاحتجاب فعز اقترابها، ثم لما فتحت مغاليقها خلصت من العيـــوب وأطلعت على الغيوب وعدت من الخواص؛ إذ هم على الحقيقـــة عبـــاد الرحمن، ولهذا يشير حديث: «**إذا سمعتم المؤذن يؤذن فقولـــوا: اللهـــم افتح قلوبنا بذكرك وأتمم علينا نعمتك من فضلك واجعلنا مـــن عبـــادك الصالحين**» رواه ابن السنى عن أنس **(وخلصتهم)** أى ســـلمتهم بتجلـــى اسمك السلام مما يوجب الملام على الآثام فأطلقوا **(من قيـــد الأقفـــاص)** جمع قفص، والمراد به الجسم، وقيود الشهوات التى تقتضيها، وذلـــك أن الروح ملكية وعلوية مقدسة، لكن لما أهبطت مـــن عليـــين إلـــى أرض الطبيعة امتزجت معها امتزاج الماء بالعود الأخضر، وألفت الصفات التى اقتضاها الجسم ونسيت عهود مولاها، فإذا ذكرها مذكر بعهـــدها القـــديم حنت واشتاقت وتريد الخلاص والانطلاق من ضيق هـــذا القفـــص فـــلا تستطيع، فيحتاج صاحبها إلى مجاهدة تذهب ظلمات الغفـــلات لتضـــعف تلك النفس وتقوى الروح إلى أن ترجع لصفائها، ولابد لها مـــن طبيـــب حاذق يعالجها من الأسقام التى حلت بها؛ إذ المجاهدة من غيـــر أســـتاذ لاتنفع، فإذا خلصت من قيودها انكشفت لها الأستار، وحصول ذلك بدون مجاهدة كالجذب الإلهى أمر نادر، فلا يعول عليه السالك، بل ينبغى لـــه التفرغ لنفحات الرب بالمجاهدة، وإذا كنت أنت الذى قد فتحت قلوب أهل الاختصاص **(فخلص)** أى نج يا معطى يا مانع **(سرائرنا)** جمع ســـريرة لأنه لا مخلص إلا أنت **(من التعلق)** أى من تعلقها وتمسكها **(بملاحظـــة)** أى مراعاة ومراقبة **(سواك)** أى غيرك الناشئ عن الغفلة عنك التى هـــى

بلية منك، ولذا سئل الشبلى - رضى الله تعالى عنه - عن قوله ﷺ: «**إذا رأيتم البلاء فاسألوا الله العافية**»، فقال: أهل البلاء هم أهل الغفلة عن ذكر الله تعالى اهـ، **(وأفننا)** بقطع الهمزة من أفنى، فإن الإفناء والإبقاء بك وهما حالتان يتصف بهما العبد منحة من الله تعالى كبقية الأحوال **(عن شهود نفوسنا)** فى مراتبها السبعة؛ فإنها ولو كملت فهى حية تسعى فهى مكارة خداعة، وبعّلها احذره الذى هو إبليس - لعنه الله تعالى - فإذا فنى العبد عنهما بالله حيثما تولاه احتمى، ورماهما بسهم وما رمى إذ رمى **(حتى)** للغاية أى: إلى أن **(لا أشهد)** فى سرنا وجهرنا **(إلا علاك)** أى رفعتك وشرفك، ومن شاهد رفعة قدس مولاه وكشف له عما منحه وأولاه استغرقه هذا الشهود عن رؤية الموجود، بل عن نفسه وحسه وأنسه، ثم لما طلب المصنف فناء الوجود طلب حصول مقام البقاء والشهود بقوله: **(إلهى قد جئناك)** معاشر الحاضرين من الجهات والأقطار، ومن عوالم الأنوار والأسرار، ومن الجوارح الظاهرة والباطنة **(بجمعنا)** معاشر المسلمين، يجعل التالى نفسه نائباً عنهم أو الحاضرين فإن الأصل فى قراءة هذا الورد أن يُقرأ مع الجماعة إلا إذا لم يتمكن التالى من الحضور معهم فيرخص له فى تلاوته وحده لكن الاجتماع فيه بركة لقوله ﷺ: «**يد الله مع الجماعة فالشاذ منهم يختطفه الشيطان كما يختطف الذئب الشاة من الغنم القاصية**» أى المنفردة، رواه الطبرانى عن ابن عمرو الحاكم عن ابن عباس.

(تنبيه) تطلب القراءة فى المساجد إن سلمت من الرياء، فإن لم تسلم كما هو الغالب خصوصاً فى المساجد المشهورة فالقراءة فى غيرها أولى لسلامتها من الرياء غالباً، وإياك أن تترك الأعمال خوف الرياء لأن ترك العمل خوف الرياء رياء، والكامل لا يبالى فى حالتى اجتماعه

وانفراده؛ فإنهم لا يرون لأنفسهم عملا، نسأل الله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه، إنه جواد كريم **(متوسلين إليك)** أى متقربين إلى جنابك طالبين راغبين **(فى)** نيل **(قبولنا)** أى طالبين منك إدراجنا فى درج اقترابك ونسبك وإحسانك **(متشفعين إليك)** أى عندك **(فى غفران ذنوبنا)** أى معاصينا وعيوبنا **(فلا تردنا)** أى لا تصرفنا عن بابك خائبين؛ لأنك لا ترد السائلين، وكرمك يقتضى شفاعة الشافعين، وقد أتيناك بجمعنا وقل أن يخلو الجمع من مقبول الشفاعة ولو أشعث أغبر، وأيضاً فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه لاسيما إذا دعا لغيره بقلب خالص، فقد جاء فى الحديث: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**»، وإنما طلب المصنف غفران الذنوب لأنه لا ينفك أحد عنها ولو من أهل العناية، إذ هى على أقسام: ذنوب العامة وهى المعاصى المعروفة، وذنوب الخاصة وهى غفلة القلوب عن المحبوب، ولذا سأل جماعةٌ بعضَ العارفين عن كيفية سجود السهو فقال: هو عندكم سجدتان وتسليمة، وعندنا ضرب العنق للغفلة عن الله تعالى، وذنوب خاصة الخاصة وهى خطور ماسوى الله تعالى بقلوبهم وقد أشار ابن الفارض لذلك بقوله:

ولو خطرت لى فى سواك إرادة   على خاطرى سهواً قضيت بردتى

فدوام الحضور من غير تخلل غفلة لا يكون إلا للأفراد كالأنبياء وبعض كمل الأولياء دون غيرهم، وينبغى سؤال المغفرة ولو من معصوم إظهاراً للعبودية وقياماً بحق الربوبية وتعليما للأمة، قال ابن عمر - رضى الله تعالى عنهما -: كنا نعد لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد مائة مرة «**رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم**» أى لأنه ﷺ دائم الترقى فى المقامات فكلما ترقى من مقام إلى غيره عد الأول نقصاً بالنسبة لمقامه ﷺ فيستغفر الله منه، ولما سأل المصنف - قدس سره -

على لسان الأمة القبول وغفران الذنوب نادته هواتف الحقيقة الإلهية: إذا لم أعطكم ما سألتم فما تقولون؟ فقال: نرضى عنك ونقول: (**إلهى كفانا شرفا**) أى علوا ورفعة (**أننا**) أى معاشر الموحدين أو الحاضرين التالين للورد (**خدام حضرتك**) العلية التى مَنْ خَدَمَهَا خَدَمَتْهُ جميع العوالم؛ فإن من أطاع الله أطاع له كل شيء، قال المناوى فى "كنوز الحقائق": يقول الله تعالى للدنيا: اخدمى من خدمنى، وقال المصنف فى "ألفية التصوف":

وخادم الحق له الخلق خدم لاسيما إن كان ثابت القدم

(**و**) كفانا شرفا أيضاً أننا (**عبيد لعظيم رفيع ذاتك**) المقدسة الكريمة، فيحق لنا أن نطيش ونزهو بهذه النسبة، ولذا حكى أن عتبة الغلام زهى يوماً من الأيام وجعل يتبختر فى مشيته لأنه رأى بعض عبيد السلطان يمشى كذلك، فقيل له: لِمَ تزهو يا عتبة؟ فقال: كيف لا أزهو وقد أصبح لى رباً وأصبحت له عبداً؟ وقال بعض العارفين لتلميذه وقد خالفه فى حين من الأحيان: أما تخشى أن أسلبك ثوب الإيمان؟ فقال له: يا سيدى أتقدر أن تسلبنى عبودية الرحمن؟ قال: لا، قال: يكفينى إذا قبلنى الديان، ولما اعترف المصنف أنه من الخدام، والخادم لا ينبغى له البراح عن باب مخدومه، فإذا قصد سواه ضل وتاه قال: (**إلهى لو أردنا الإعراض عنك**) أى الصد عن أبوابك الشامخة الرفيعة (**ما وجدنا لنا سواك**) أى مولى نطلب منه غيرك (**فكيف بعد ذلك**) أى فقد وجدان إله غيرك (**نعرض عنك**) أى عن الطلب منك والشرب من شرابك، فيحق لنا أن نرضى بكل ما يجرى به قضاؤك ففى الحديث: «**من رضى عن الله رضى الله عنه**».

(**ويحكى**) عن شخص أنه سمع برجل فى الحرم اشتهر بالولاية بين الرجال قال: فجئته وهو يطوف، فلما قال: لبيك، سمعت مناديا يقول

له: لا لبيك ولا سعديك، قال: فقلت: خابت سفرتى فى رؤية رجل مطرود فرفع رأسه إلىَّ وقال: يا أخى أسمع ما سمعته أربعين سنة وهو أنه طردنى عن بابه فأى باب ألتجئه سوى باب ربى وعزته وجلاله؟ لا أبرح عن بابه قط، فإذا بالنداء: قد فتحنا لك الباب، وأدخلناك مع الأحباب اهـ.

(وحكى أيضا) أن رجلا من بنى إسرائيل عبد الله تعالى سبعمائة سنة فأوحى الله تعالى إلى دانيال عليه السلام: قل لعبدى فلان: تعبد ما شئت فإنك من أهل النار، فلما قال له ذلك قال: مرحبا بحكم ربى، ثم قال: إلهى عبدتك وأنا أظن أنى لا أزن عندك كثيراً ولا قليلا، فإذا أنا أصلح لنارك، وعزتك وجلالك ما زادنى هذا إلا حباً وتلهفاً لجمالك فأوحى الله تعالى إلى دانيال عليه، وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام: قل لعبدى: رضيت منى بأصعب حكم وقضاء، وعزتى وجلالى لو ملأت ذنوبك الأرض والسماء لغفرتها ولا أبالى اهـ، فانظر يا أخى كيف أثمر الرضا بقضاء المولى سبحانه وتعالى، نسأله سبحانه وتعالى الرضا فى جميع أحكامه بجاه سيد أحبابه إنه جواد كريم رؤف رحيم، وإذا كان الإعراض عن المولى لا يفيد وأن لا ملجأ منه إلا إليه كان المناسب أن يلوذ العبد بجنابه الرفيع فلذلك قال: **(إلهى لذنا بجنابك)** أى التجأنا وتحصنًا، قال فى "المختار": لاذ به: لجأ إليه وعاذ به، وبابه: قال اهـ وفى الحديث: «**من عاذ بالله فقد عاذ بمعاذ**» وفيه: «**أنت ملاذى فبك ألوذ وأنت معاذى فبك أعوذ**» وقوله: بجنابك أى عزك، أى ذاتك، أى لذنا بذاتك العظيمة حال كوننا **(خاضعين)** أى ذليلين لعظمتك، والخضوع قريب من الخشوع إلا أن الخشوع أكثر ما يستعمل فى الصوت والبصر والخضوع فى الأعناق، قال فى "المختار": والخضوع: التطامن

والتواضع اهـ، **(وعلى أعتابك واقعين)** أى ساقطين عليها من هيبة سطوتك ولتعطينا مطالبنا، وأنشد القطب سيدى محمد البكرى – رضى الله تعالى عنه – فقال:

ما خاب من لازم الأعتاب ماخابا ويا خسارة من عن بابهم غابا

وله أيضا فى مطلع قصيدة:

دعنى أزاحم فى أعتاب ساداتى يا فرحتى يا هَنا حظى ولذاتى

وأى وقت أرانى فيه بابهم وحقهم ذاك عندى خير أوقاتى

(فلا تردنا) أى خائبين فإنك الكريم المفضال، ولا ترد قاصداً وإن عصاك، قال القطب الشاذلى – قدس سره – فى "حزبه الكبير": فليس كرمك مخصوصاً بمن أطاعك وأقبل عليك، بل هو مبذول بالسبق لمن شئت من خلقك وإن عصاك وأعرض عنك، وليس من الكرم أن لا تحسن إلا لمن أحسن إليك وأنت المفضال الغنى، بل من الكرم أن تحسن إلى من أساء اليك وأنت الرحيم العلى، كيف وقد أمرتنا أن نحسن إلى من أساء إلينا؟ فأنت أولى بذلك منا اهـ، نقل فى شرح البخارى قيل: إن موسى عليه وعلى نبينا الصلاة وأتم التسليم قال بعد مناجاته: يا رب فقال الله تعالى: لبيك موسى، فقال موسىعليه السلام: يا رب أنت أنت فمن أنا حتى تجيبنى بالتلبية؟ فقال: يا موسى إنى آليت على نفسى أن لا يدعونى عبد من عبادى بالربوبية إلا أجبته بالتلبية، فقال: موسى عليه السلام: يا رب هذا لكل عبد طائع؟ قال: ولكل عبد مذنب، قال موسى: يا رب أما الطائع فبطاعته، فما بال المذنب؟ قال الله تعالى: يا موسى إنى إذا جازيت المحسن بإحسانه وضيعت المسيء لإساءته فأين جودى وكرمى؟ اهـ، وفى الحديث: «**ما رفع قوم أكفهم إلى الله تعالى يسألونه شيئاً إلا كان حقاً على الله أن يضع فى أيديهم الذى سألوا**»، رواه الطبرانى عن

سلمان، ويُسنُّ بعد الدعاء أن يمسح وجهه ببطن كفيــه لمــا روى: «**إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها**» ويروى: «**فــإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم**» اهــ، إلا فى القنوت فإنه لا يسن المســح المذكور كما هو معلوم **(يا عليم)** هو المدرك لمــا يدركــه المخلوقــون بعقولهم وحواسهم وما لا يستطيعون إدراكه من غير أن يوصف ســبحانه وتعالى بعقل أو حس، وذلك راجع إلى أنه لا يعــزب عنــه شــىء، ولا يعجزه شىء، وجاء على فعيل للمبالغة فى وصفه بكمــال العلــم أعنــى المبالغة باعتبار المعلومات التى لانهاية لها وإن كان عمله واحــدا فــى ذاته، لأن حقيقة المبالغة مستحيلة فى حقه تعالى كما تقدم توضيح ذلك فى البسملة، ومن خواص هذا الاسم أن من أكثر من ذكره أطلعه الله تعــالى على دقائق العلوم وخفايا أسرارها، ويصلح ذكره لمن كان اسمه عيســى أو سلطاناً **(ياحكيم)** هو الذى ينزل كل شىء منزلته ويجعله فى مرتبتــه لأن أفعاله سديدة وصنعه متقن، ولا يظهر الفعل المتقن الســديد إلا مــن حكيم، ومن خواصه أن من أكثر من ذكره ألهمه الله تعالى الحكمة وعلمه دقائق العلوم وألقى عليه غرائب المعانى ولطائف الإشارات.

ولما ثبت أن المولى لا يمكن الإعراض عنه وأنه لابد من القيــام على أعتابه وكان ذلك القيام يحتاج الــى أدب وطهــارة مــن الأدنــاس المعنوية ليصلح العبد لمجالسة ملك الملوك، وهذه الطهارة ليست فى وسع العبد طلب المصنف ذلك بقوله: **(إلهى محص ذنوبنا)** أى أزلها وامحهــا والذنوب جمع ذنب وهو ما عصى الله به، وسمى بذلك لأن مرتكبه يــذم شرعاً وورد: «**ذنب العالم ذنب واحد وذنب الجاهل ذنبان**» قيل: ولم يــا رسول الله؟ قال: «**العالم يعذب على ركوب الذنب والجاهل يعــذب علــى ركوب الذنب وترك التعلم**»، اهــ، وذنب العالم و إن كان ذنباً واحــد إلا

أنه عظيم، وربما يؤاخذ بنحو هاجس وحديث نفس إن كان من المقــربين لوفور معرفته وقد يعظم الذنب لشرف الزمان كرمضان أو المكان كمكة وقد يقع مغفوراً من بعض أحباب الله تعالى كأهل بــدر، قــال القطــب الشاذلى - قدس سره -: واجعل سيئاتنا سيئات من أحببــت، ولا تجعــل حسناتنا حسنات من أبغضت، فالإحســان لا ينفــع مــع الــبغض منــك والإساءة لا تضر مع الحب منك، بل ربما كانت سبباً فى القرب مــن الله تعالى كما قال ابن عطاء الله السكندرى - قدس ســره -: رب معصــية أورثت ذلاً وانكساراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً، وسئل الجنيد - رضى الله عنه - أيزنى الولى؟ فأطرق مليا وقال: وكان أمر الله قدراً مقدوراً، لكن قلَّ أن تقع معصية من عارف حال شهوده للحق تعالى بــل يحصل له غفلة وحجاب حتى يقع منه الذنب ثم تعقبه الندامة ويرد لمقامه **(بظهور)** أى بسبب وجود **(آثار)** أى نتائج **(اسمك الغفار)** وهى تجلياتــه تعالى بذلك الاسم علينا فيغفر لنا ذنوبنا، **(وامح)** مجزوم على الدعاء أى أزل **(من ديوان)** بكسر الدال، وقد تفتح "فارسى معــرب" وهــو الــدفتر ويقال له "جريدة الحساب" وأصله دوّان فأبدل من إحدى المضعفين يــاء للتخفيف، ولهذا يرد فى الجمع إلى أصله فيقال: دواوين، وفى التصــغير فيقال: دويوين، لأنهما يردان الأشــياء إلــى أصــولها، وأول مــن دون الدواوين فى العرب عمر بن الخطاب - رضى الله تعــالى عنــه - أى رتب الجرائد للعمال وغيرها، ويطلق الديوان علــى مكــان الاجتمــاع فيقال: ديوان السلطان الفلانى للمكان الذى تجتمع فيه دولته، وللحكام من أهل الله تعالى دواوين يجتمعون فيها، وكلما اتفقوا على شىء بينهم وقــع فى الظاهر لأنهم هم الحكام حقيقة ويحضر القطب مشــرفاً علــيهم مــن مخدعه ولا يعلم به إلا الأفــراد، وأكثــر أهــل الله تعــالى يحضــرونه

بروحانيتهم، وبعضهم لا يشعر بذلك، ولايخلـــع علـــى أحـــد خلعـــة إلا ويحضرها أغلب هذا الجمع، قاله سيدى محيى الـــدين فـــى "فتوحاتـــه" **(الأشقياء)** جمع شقى ضد السعيد **(شقينا)** معاشر الحاضرين، أو جميـــع المسلمين على ما تقدم فى مرجع الضمير، ثم اعلم أن القضاء المحـــتم لا يمكن التبديل فيه، وأما القضاء المعلق فيمكن فيه التغيير، قـــال تعـــالى: **﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاء﴾** [الرعد:٣٩]، بخلاف القضاء المحتم فإنه المشـــار إليه بقوله تعالى: **﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّـــهِ قَـــدَرًا مَّقْـــدُورًا﴾** [الأحـــزاب:٣٨] وأصعب شيء على المكاشف معرفة القضاء المعلق من القضاء المحـــتم فيتأدب فيما يعمله محتما ويشفع فيما يعمله معلقـــا، وإعـــلام الحـــق لـــه بالقضاء المعلق هو الإذن له بالشفاعة، قال تعالى: **﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْـــفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِه﴾** [البقرة:٢٥٥]، والمراد بالمحو محو ذلك مـــن صـــحف الملائكة أو من اللوح المحفوظ بناء على الصحيح من أنه يقبـــل التغييـــر والتبديل بخلاف أم الكتاب، وهى علم الله تعالى، وأما ما روى فى بعض الأدعية عن إدريس عليه السلام: ياذا الجلال والإكـــرام ويـــاذا الطـــول والإنعام لا إله إلا أنت، ظَهْر اللاجين وجار المستجيرين وأمان الخـــائفين اللهم إن كنت كتبتني فى أم الكتاب شقياً أو محروماً أو مقتراً علـــىَّ فـــى الرزق فامح اللهم من أم الكتاب شقاوتى وحرمانى وإقتار رزقى وأثبتنى عندك سعيداً مرزوقاً للخيرات إلخ اهـــ، فـــالمراد بـــأم الكتـــاب اللـــوح المحفوظ، سمى بالأم لجمعه ما يكونَ إلى يوم القيامة **(واكتبـــه عنـــدك)** عندية شرف ومكان **(فى ديوان الأخيار)** أى الذين اخترتهم مـــن خلقـــك وأدخلتهم فى جوارك، ولما سأل المصنف تمحـــيص الـــذنوب والمحـــو والإثبات المذكورين انتظر سماع الخطاب، فنادته هواتف الحقيقـــة: هـــل

أنت أسير للسبوى المانع لك من سماع الخطاب أم حر؟ أجــاب مطرقــا رأسه من الخجل بقوله: **(إلهى نحن)** أى: معاشر الحاضرين أو المسلمين أو مجموع الأعضاء والجوارح **(الأسارى)** جمــع أســير وهــو المقيــد والمسجون، أى نحن المسجونون فى سجن الطبيعة، المقيدون بقيود النفس والشيطان والهوى والدنيا وكل ما يدعون إليه من العــادات والشــهوات **(فمن قيودنا)** المذكورة المانعة من كل خير **(فأطلقنا)** لنفوز بالمنى، ومن السالكين من هو مقيد برؤية الأعمال، ومنهم المقيد بالمكاشفة عن عــالم من عوالم الأنوار، فإنه وقف عند ذلك ما ينوف عن أربعمائة رجل ظنوا أنه ليس فوقهم شيء، والقيود فى كلام المصنف محتملــة لجميــع ذلــك **(ونحن العبيد)** الذين استرقهم الهوى واستولى على حاضرتهم وبــاديتهم ولا ناصر لنا غيرك فبسر جمالك الفريد الوحيد وحبيبــك الأحيــد **(مــن سواك)** يا مريد **(فخلصنا)** أى سلمنا ونجنا **(وأعتقنا)** من أســرنا لنحــوز درجة الأحرار، وهى عند القوم أن لايكون العبد بقلبه تحت رق شيء من المخلوقات لا من أعراض الدنيا ولا من أعراض الأخرة، فيكــون فــرد الفرد لم يسترقه عاجل دنيا ولا حاصل هوى، وســمعت ســيدى محمــد السباعى يقول نقلاً عن والده سيدى صالح السباعى - رضى الله تعــالى عنهما -: علامة الحرية أن يستوى عنده ذهب الــدنيا وحجرهــا اهـــ وصاحب هذا المقام المتحقق به لو خيره مولاه بين الرق والحرية لاختار الرق على الحرية كما قال ابن الفارض - قدس سره -:

عبد رق ما رَق يوما لعتق لو تخليت عنه ما خلاكا

(يا سند المستندين) أى ياعمدة من يعتمــد عليــه **(ويــا رجــاء المستجيرين)** بك من الزيغ والضلال، ولما سأل المصنف - رحمـــه الله تعالى - ذلك كأن هواتف الحقيقة أجابته لما طلب، ومعلوم أن من أطلــق

من قيوده فقد تهيأ للشرب من شراب المحبة، فطلب ذلك من مولاه مقسماً عليه بكرم ذاته فقال: يا **(إلهنا وإله)** منصوب على النداء، وأتى بنون الجمع لكونه نائباً عن مجموع أجزائه أو عن العالم بأسره **(كل)** بالجر مضاف إليه **(مألوه)** المألوه: المعبود سواء عبد بحق أو باطل، والمراد هنا الثاني؛ لأن العبادة لا يستحقها إلا الله وحده، قال تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ**﴾ [الإسراء:٢٣]، **(ورب)** أى مالك **(كل مربوب)** أى مملوك **(وسيد)** أى مولى **(كل ذى)** أى صاحب **(سيادة)** أى مجد وشرف **(وغاية)** أى منتهى **(مطلب)** أى مقصد **(كل طالب)** أى قاصد؛ لأنك المعطى المحرك للقلوب، فغيرك وإن قصد ظاهراً ليس بيده ضر ولا نفع ولا إعطاء ولا منع، فآل الأمر إلى أنه لم يقصد حقيقة إلا أنت وإن غاب ذلك عن القاصد لحجاب طبيعته المانعة له، والطلاب ثلاثة: طالب دنيا وطالب أخرى وطالب الله، وهو أعز الثلاثة، وإلى هذا أشار ابن الفارض لما كشف له عن مقعده فى الجنة بقوله:

إن كان منزلتى فى الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضيعت أيامى

وقول السيدة رابعة:

ليس قصدى من الجنان نعيما غير أنى أريدها لأراكا

فكلاهما قاصد الله وحده – رضى الله تعالى عنهما – **(نسألك)** أى نتوجه ونبتهل ونتضرع إليك بسر **(أهل)** أى أصحاب **(عنايتك)** أى الذين اعتنيت بشأنهم فى السابقة، وأحسنت إليهم فى الخاتمة واللاحقة، وخلعت عليهم خلع العناية، وأمرت جبريل أن ينادى بحبهم فى السماء والأرض فأحبهم أهل السماء والأرض لحديث وارد فى ذلك، وهم **(الذين اختطفتهم)** أى سلبتهم عن إحساسهم وأخذتهم **(يد جذباتك)** جمع جذبة وهى تقريب العبد بمقتضى العناية الإلهية مهيأ له كل ما يحتاج إليه فى

طى المنازل إلى الحق بلا كلفة وسعى منه، وقد أشار إلى ذلــك الشــيخ الدردير – رضى الله عنه – فى منظومته بقوله:

ومُنَّ علينا يــا ودود بجذبــة بها نلحق الأقوام من سار قبلنا اهـ

وفى إسناد اليد إلى الجذبات استعارة بالكناية وتخييل، ثم اعلــم أن أهل الجذب على أقسام، كما أن أهل السلوك كذلك، فمنهم مجذوب ســالك ومنهم مجذوب دام له الجذب، ومنهم مجذوب وقف بعد سيره، ولا يصلح للإرشاد إلا الأول لمشاهدته سائر المقامات حال سلوكه، وبعــض أهــل الجذب يطلعه الله تعالى على تلك المقامات فى زمن يسير كلحظة ليصلح للإرشاد، وكل من تقدم جذبه على سلوكه دل على عناية الله تعــالى بــه لكن يشترط فى صلاحيته للإرشاد أن يصحب جذبه السلوك ليقف علــى المقامات كما علمت، والسلوك – كما قال سيدى محيى الــدين – قــدس سره – عبارة عن الانتقال من مقام إلى مقام كانتقاله من اسم الــى اســم ومن تجلٍ إلى تجلٍّ ومن نفس إلى نفس اهـ، **(وأدهشتهم)** أى حيــرتهم **(سناء)** بالمد أى رفعة وهو فاعل أدهش **(تجلياتك)** أى تجلياتك الرفيعــة رفعة معنوية **(فتاهوا)** أى ضلوا ولم يهتدوا، وهذا الضلال فــى الحقيقــة عين الهداية إذ هو الحيرة، فطلب الزيادة منها لأنها تنتج الهداية، ولذا قال الشيخ المصنف – رضى الله تعالى عنه –:

ضلالك عندى يا مناى هو الهدى ومنعك فى التحقيق ذا عين إعطائى

وقال سلطان العاشقين ابن الفارض – قدس سره –:

زدنى بفرط الحب فيــك تحيــرا وارحم حشاً بلظى هواك تسعرا

بــ**(سبب)** شهودهم **(عجيب كمالاتك)** أى كمالاتك العجيبــة مــن إضافة الصفة للموصوف، أى صار يتعجب منه، والكمالات جمع كمــال وكمالاته سبحانه وتعالى: صفاته الكمالية التى لانهاية لها، وهو يعلمهــا

تفصيلا مع كونها لا نهاية لها؛ لأن استحالة علم ما لانهاية له إنما تثبت في حق الحوادث، وقولهم: كل ما دخل فى الوجود فهو متناه إنما هو بالنظر لعقولنا فقط لا بالنظر له تعالى، فكمالاته تعالى لا يحيط بها حد ولا يحصرها عد، والكاملون من جميع الممكنات إنما هى مزايا لكمالاته تعالى، فالكمال المحمدى مرآة للكمال الإلهى، ولا يتجلى الحق للكامل إلا من خلف حجاب الكمال المحمدى؛ إذ هو الواسطة العظمى التى لا وصول إلا بها، لكن ربما غفل عن ذلك بعض الناس فظن أنه أخذ عن الحق بلا واسطته ﷺ، وذلك غلط محض، أى: فالتكميل لكل كامل إنما يكون من الحضرة المحمدية، واعلم أن كماله تعالى لا يشبه كمال غيره لأن كمال المخلوقات بمعان موجودة فى ذواتهم، وهى مغايرة لذواتهم وكماله تعالى بذاته لا بمعان زائدة عليه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فكماله عين ذاته، ولذا صح له الكمال المطلق التام **(أن تسبقنا)** هذا وما بعده هو المسئول فى هذا التوسل، والضمير إما للأمة أو لجميع الحاضرين من إنس وجن وروحانيين وملائكة؛ فإنهم يحفون حلق الذكر كما روى عن أبى هريرة – رضى الله عنه – «**كل مجلس يذكر اسم الله تعالى فيه تحف به الملائكة، حتى إن الملائكة يقولون: زيدوا زادكم الله تعالى، والذكر يصعد بينهم وهم ناشرو أجنحتهم** »، فطلب المصنف تعميم الشرب لجميع من حضر على حد قول بعضهم:

لا تسقنى وحدى فماعودتنى أنى أشح بها على جلاسى
أنت الكريم وهل يليق تكرما أن تعدم الندماء دور الكاس

(شربة) مفعول تسقى **(من صافى)** أى خالص **(شراب أهل مودتك)** أى ودك الذين توددت إليهم فى الأزل بلطائف الجود وتوددوا إليك بك بدوام الإقبال والشهود وقوله: **(الربانيون)** بالرفع على القطع

جمع ربانى منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون كاللحيانى والرقبـانى وهو الكامل فى العمل والعلم **(وعرائس)** جمع عروس **(أهل حضرتك)** أى المتزينين بزية الظاهر والباطن وهم الذين تمر عليهم الفتن كقطع الليـل المظلم وهم منها فى عافية، ومن هؤلاء العرائس أصحاب الكهف، وهـم وزراء المهدى عليه السلام **(الذين هم فى جمالك مهيمون)** المهيمون فى الأصل: صنف من الملائكة خلقوا عن تجل ذاتى، فهم هائمون سـكارى سائحون يسبحون فى أرض بيضـاء لا يعرفـون أن الله خلـق سـواهم لدهشتهم بسناء التجليات، ولذا لم يؤمروا بالسجود لآدم، قال سيدى محيى الدين: وهذه الأرض خارجة عن عالم الطبيعة ولا يجوز عليها الانحلال ولا التبدل أبداً، ولكل إنسان فيها مثال، وله حكم فيها، وله فـى الأرواح مثال آخر، وهم فى كل عالم على مثال ذلك العالم اهـ، والمراد بهم هنا: رجال خلقهم الله تعالى على أقدام هذه الملائكة، وربمـا تجـرد هـؤلاء الرجال عن هياكلهم فى بعض الأوقات واتصلوا بعالمهم وهاموا بهيامهم وأقاموا عندهم أياماً وأعواماً وهم غافلون عن تدبير أجسامهم، لا يدرون ماذا حصل لها، ومن عناية الله تعالى لمن شاء منهم أن يحفظ عليه أوقاته فى ذلك الحال فلا يفوته صلاة ولا صيام كما وقع للشيخ الأكبـر سـيدى محيى الدين، فإنه على ما نقل عنه فى فتوحاته أنه أخبر أنه أقام عنـدهم عشر سنين وبعد أن رجع لأصحابه سألهم عن حاله فقالوا: مـا اختلـف علينا شىء من حالتك التى كنت عليها من الصلاة وغيرها، فحمـد ربـه الذى حفظ عليه أوقاته، ومن المقيمين فى هذا العالم الخضر عليه السلام ومن الناس من يكون معهم ولا يدرى أنه منهم، فهو مستور الحال رفقـا به ولما كان الشراب الإلهى لا يفـاض علـى العبـد إلا فـى أوقـات مخصوصة ومن أحسن الأوقات وقت السحر قال: **(إلهى هذه أويقـات)**

تصغير أوقات جمع وقت، والتصـــغير للتعظـــيم، أى: أوقــات عظيمـــة لحصول تجلى المحبوب فيها، قال ابن الفارض - قدس سره -:

ما قلت حبيبى من التحقيــر بل يعظم اسم الحب بالتصغير

والإشارة بهذه الأوقات السحرية لأن التلاوة واقعة فيها كما هــو الأصل فى وضع هذا الورد **(تجلياتك)** جمع تجل، وتجليات المـــولى وإن كانت لا تنقطع فى كل وقت من ليل أو نهار لكن تجلى السَّحَر أعظم من غيره، فالمراد أويقات تجلياتك العظيمة التى لا يفوقهـــا تجـــل **(ومحــل)** يحتمل أنه معطوف على تجلياتك أى أويقات محل أى حلـــول وحصـــول **(تنزلاتــك)** ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فارتفع ارتفاعـــه ويحتمل أن المراد بالمحل: سماء الدنيا، والتقدير: وهذا محـــل تنزلاتـــك المشار إلى ذلك بحديث: «**ينزل الله تعالى إلى سماء الدنيا كل ليلة حـــين يمضى ثلث الليل الأخير فيقول: أنا الملك أنا الملك من ذا الذى يدعونى فأستجيب له؟ من ذا الذى يسألنى فأعطيه؟ من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يصلى الفجر**»، رواه الترمذى عن أبى هريـــرة والمراد بنزوله: نزول رحمته ومزيد لطفه، لا نـــزول حركـــة وانتقـــال لاستحالة ذلك عليه، أو المراد بالنزول انتقال تجليه من صـــفة الجـــلال المقتضية للقبض إلى تجليه بصفة الجمال المقتضية للرحمة والإنعـــام، أو المراد بالنزول نزول الملك الحامل لأمره المأمور بالنداء المـــذكور، والله أعلم بحقائق الأشياء، وخص ثلث الليل الأخير بذلك لأنـــه وقـــت غفلـــة واستغراق نوم ولذة به، ومفارقة تلك اللذة صـــعب ســـيما علـــى أهـــل الرفاهية، فمن آثر القيام لمناجاته دل على خلوص نيته وصـــحة رغبتـــه فيما عند ربه فكان حقيقاً بالإجابة، وتخلف الإجابة فى البعض إما لخلـــل فى الداعى أو فى الدعاء، قال بعض العارفين: ما من ليلة إلا وينزل من

السماء فى الثلث الأخير فتوح ربانى، فيلتقطه أهــل التســليم ثــم أهــل التفويض، ثم تقع الإفاضة من هؤلاء على أصحاب الدوائر العلية أقطاب الأفلاك الكلية، ثم تقع منهم على الحفظة والنواب، ثم منهم على السالكين والصالحين والعلماء العاملين ممن حضر الباب، فإن الهداية لمن حضــر قال: وأما النائمون فى الثلث الأخير فنصيبهم عند أحد الرجــال الخمــس يعنى رجال الصلوات الخمس المفيضين على أهلها أمــدادها، والموكــل بصلاة الصبح يأخذ لكل من غاب نصيبه ويؤديه له عند صلاة الصبح إما قبل فراغه منها أو معه، ومن تخلف عن اليقظة عند صلاة الصبح أعطى نصيبه فى أسبابه الدنيوية إذا رضى بإقامة الله له فيها اهــــ، **(ونحــن)** الواو للحال، أى والحال أنَّا **(عبيدك)** الذين عَبَّدْتَهم لجنابك فأقبلوا عليــك بكليتهم، فهم الواقفون ببابك النائبون عنك فى إيصــال الخيــر لأحبابــك **(الواقعون على أعتابك)** التى لا يحصل العــز والشــرف إلا بــالترامى عليها، ولذا قال بعضهم:

ليختـــار مــن يختار عزاً فإننى رضيت بذلى فى منازل أحبابــى
ويدخل من يهوى الدخول لحيهم فغاية فخرى أن أكون على الباب

وقال العارف المصنف – قدس الله سره ونفعنا به –:

رضيت بفتح الباب من دون وصلها فإنى أرى أشتم من خارج الباب
وأقنع من حلــو الحــديث بقولهــا رضيتك يا عبدى خديماً لأبوابى

(الخاضعون لعزة جنابك) العزيز الرفيع، فإن من عاين لمعة مــن عزة رب الأرباب غاب عن حسه، وكاد أن يذوب إلا إن ثبته الله وقــواه على ذلك، وإذا لم يتصف المحب بالذلة بين يدى محبوبه لم يدرك وصله ولذا قيل:

إذا كان من تهوى عزيزاً ولم تكن ذليلاً له فاقرا السلام على الوصل

بل يطلب الذل لمحب الحبيب وحبه لأجل حب الله تعالى، ولذا وجب حب المقربين من أهل الله تعالى، فمن أحب ولياً من أهل الله تعالى فقد أحب الله تعالى، وفى الحديث: «**من أكرم امرأ مسلما فكأنما أكرم الله تعالى**»، ولذا كان سيدى عيسى بن الحجاج اليمنى كل من دخل عليه وخرج يقبل يده، فأنكر عليه بعض الناس، فقال: العبد المؤمن من رياحين الله تعالى فى أرضه، ولا بأس بشم الرياحين فى الدخول والخروج اهـ، **(الطامعون)** جمع طامع، وهو قسمان: محمود، وهو الطمع فى عفو الله تعالى ونيل القرب منه، وهذا هو المراد هنا، ولذا قيده المصنف بقوله: **(فى سنى بهى شرابك)** أى فى شرابك الرفيع الجميل الخاص بمن اصطفيته الحاصل أولاً بالوسايط إلى أن يرتقى الشارب فيأخذ عن الله تعالى لكن بواسطته ﷺ، ومذموم، وعرفه بعضهم بقوله: هو انبعاث هوى النفس لما فى أيدى الناس، **وقيل: هو تعلق البال بالشىء من غير تقدم** سبب له، وقد ورد فى النهى عنه أحاديث كثيرة منها «**إياكم والطمع فإنه الفقر الحاضر، وإياكم وما يعتذر منه**» أى إياكم من الأفعال الذميمة التى تحوجكم إلى الاعتذار، ومن أراد زيادة على ذلك فعليه بشرح "الأصل الكبير" **(فلا تردنا على أعقابنا)** جمع عقب بكسر القاف مؤخر القدم أى لا ترجعنا ناقصين الحظ منك ولا تفرقنا عن بابك **(بعد)** منصوب على الظرفية الزمانية **(ما)** مصدرية **(قصدناك متذللين)** أى منكسرى القلوب وحاشا أن تخيب من قصدك **(يا الله يا رحمن يا رحيم)**، ولما سأل المصنف القبول وعدم الرد على الأعقاب كأن طارقاً طرقه من جانب مولاه وقال: يا عبدى إذا لم أجب سؤالك ما تفعل؟ هل تقصد غيرى؟ فقال مبتدئا فى النمط الرابع من توسلات الورد: **(اللهم لا نقصد إلا إياك)** لأن قصد غيرك خسران **(ولا نتشوق)** لشىء من الأشياء الجليلة أو الحقيرة

(إلا لشرب شرابك) القديم المعبر عنه بشراب الجمال، فمن شــرب منــه فهو السعيد، ومن خلا عنه فهو الطريد البعيد، فلهذا حصــر المصــنف الشوق فيه دون غيره، ثم عطف الحميا عليه عطف تفسير؛ إذ هى مــن أسماء الخمرة عند المقربين فقال: **(وبديع حمياك)** أى وحميــاك البــديع الذى أوجدته على غير مثال سبق ، فإن قلت: ربما قصد العبد غير مولاه بحكم البشرية أو العادة، قلت: المراد بالقصد المضر هو التوجه القلبــى لذلك الغير، وأما توجه الظاهر له فلا يضر، سيما إذا كان الغالب علــى المتوجه شهود الأفعال كلها من الله تعالى، فإنه حينئذ لــم يقصــد غيــر مولاه، ولما كان التشوق لشرب الشراب لا يفيد إلا بعناية إلهية توصــله لتجريد التوحيد فيحظى بالوصال منه ويسلم من الانقطــاع طلــب ذلــك بقوله: **(اللهم يا واصل المنقطعين أوصلنا اليك)** أى إلــى شــهودك **(ولا تقطعنا بالأغيار)** جمع غير، وهو ما سوى الله تعالى، أى بــالتعلق بهــا **(عنك)** أى عن الحضور معك الذى لا يصل إلى لذته لذة من لذات الدنيا وبعض من ذاقه قد يموت من عظم التجلى إلا إذا ثبته الله تعــالى، ولــذا حكى أن فقيرين من أصحاب الشيخ أبى الحسن حضــرا ســماعاً فقــام أحدهما وصاح من كثرة التجلى، فقال له صاحبه: تكذب إن كنت صــادقاً فاثبت، قال: فجاس فمات، فقيل: إن الشيخ سأل صاحبه عن ذلــك فقــال صاحبه: هو كشف له عن أمر فضاق عنه، فقلت له: إن كنــت صــادقاً فاثبت، ولم يطق فمات اهـ، من "شــرح التوحيــد" للعلامــة القوصــى **(برحمتك)** أى بحق رحمتك التى وسعت كل شىء ولذا طمع فيها إبلــيس حيث لا يفيده، وقد ورد فى الأحاديث: «**إن الله خلق يوم خلق السموات والارض مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فجعــل منها فى الأرض رحمة، فبها تعطف الوالدة علــى ولــدها والوحــوش**

والطير بعضها على بعض، وأَخَّرَ تسعاً وتسعين، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة» رواه أحمد ومسلم عن سلمان وأبى سعيد معاً (**يا أرحم الراحمين**) بعباده فإنه تعالى أرحم بالعبد من نفسه، وأشفق عليه من والديه، ولذا أحب توبته ورجوعه إليه، قال ﷺ: «**لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم إذا سقط عليه بعيره قد أضله بأرض فلاة**»، رواه الشيخان عن أنس، ثم قال: (**يا الله**) بعد يا أرحم الراحمين للمناسبة بينهما فى ترتب الإجابة على الدعاء بكل منهما كما ثبت بالأدلة، وينبغى للتالى أن يمد صوته بيا الله ويحضر قلبه ويحقق الهمزة والهاء لكن الإجابة تقع بيا أرحم الراحمين بعد ثلاث مرات كما يدل له حديث «**إن لله ملكاً موكلاً بمن يقول: يا أرحم الراحمين فمن قالها ثلاثاً قال له الملك: إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فسل**» رواه الحاكم عن أبى أمامة وتقع بيا الله بعد مرة أخذاً بظاهر قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ**﴾ [البقرة:١٨٦]، والإجابة بلفظ "رب" تقع بعد مرتين كما يدل له حديث: «**إذا قال العبد: يا رب يا رب قال الله له: لبيك عبدى، سَلْ تُعْطَ**»، أو بعد ثلاث كمايدل له حديث: «**إذا قال العبد: يا رب ثلاثا قال الله له: لبيك عبدى**» فيعجل الله ما يشاء ويؤخر ما يشاء، وربما تقع الإجابة فى كل الأسماء بعد مرة لخلوص قلب الداعى وصدق نيته، وقد تقع الإجابة بمجرد توجه القلب بدون حركة لسان (**ست وستون مرة**) وهذا عدد الاسم الجالب للمسرة ومَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذكره فى السحر وعند القيام من النوم وعند غفلة الناس واشتغالهم بأشغالهم الدنيوية وعند طلوع الشمس وبعد غروبها وبعد الصلوات وفى الليالى المباركات مع طهارة الظاهر والباطن انفتح له الباب وشاهد العجب العجاب لأنه اسم الله الأعظم عند الأكثر، قال الجيلى – قدس سره –: الله اسم الله الأعظم وإنما يستجاب

لك إذا قلت يا الله وليس فى قلبك غيره؛ إذ هو من العارف بمنزلة كن من الله تعالى أى فى سرعة الإجابة وعن بعض العارفين أن من أراد الولاية الحقيقية فليصم أحد عشر يوما لا يكلم فيها أحداً ولا يغفل عن ذكره بهذا الاسم سيما عقب الصلوات ويكون ذكره بهمة واستحضار، فإن الله تعالى يبلغه ما طلب، ويكشف له عن أسـرار الكتـاب، وعـن سـر الملـك والملكوت، ومن داوم على ذكره فى خلوة مجرداً عن العلائق بأن يقول: الله الله حتى يغلب عليه الحال أشهده الله عجائب الملكوت ويقول بإذن الله للشيء كن فيكون وهو ذكر الأكابر من المألوهين اهـ، وذكـر بعـض العارفين أن من كتبه فى إناء مكررا بحسب ما يسع الإناء ورش به وجه المصروع أحرق شيطانه اهـ، ومن ذكره تسعين ألف مرة فى موضـع خال من الأصوات لا يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إيـاه، وإن واظـب على ذلك كان مجاب الدعوة، ومن دعا به على ظالم أخذ لوقته، ويكتـب بعدد حروفه لسائر الأمراض ويشربه المريض يعافى بإذن الله تعالى **(يا واجد)** هو الذى يجد كل ما يريد ولا يفوته شيء، وهذا الاسم من أسـماء الصفات، وصفته الوجود، وهو عبارة عن تحققـه بالكمـالات ظهـوراً وبطوناً صورةً ومعنىً غيباً وشهادةً علواً وسفلاً حقاً وخلقاً حكماً وعينـاً حيطةً وشمولاً قيداً وإطلاقاً اهـ، قال الجيلى: وعدد هذا الاسم بالجمـل **(أربعة عشر مرة)** ومن واظب على ذكر هذا الاسم لم يعجـز بـإذن الله تعالى عن أمر يريده، ومن ذكره وهو يأكل طعاما جعله الله نـوراً فـى باطنه **(يا ماجد)** هو بمعنى المجيد إلا أن المجيد أبلغ منه، ومعناه: الواسع الكرم دون تحديد، ومن خواصه: أن من ذكره فى خلوة حتى يغيب عـن حسه ظهرت الأنوار فى قلبه **(يا واحد)** معناه: المنفرد فى ذاته وصـفاته وأفعاله، فلا تقبل ذاته التجزُّؤ ولا الانقسـام، ولا تتصـف بشـيء مـن

الاجرام، ولا شريك له فى أفعاله، ومن خواص هذا الاسم أن من ذكـره ألف مرة خرج من قلبه خوف الخلق ومن داوم على ذكره اطمأن قلبـه وسكن روعه **(يا أحد)** ومن خواصه: أن من أكثر من ذكره فتح له فـى التوحيد فتحاً عظيماً، ومن قرأه ألف مرة عاين الملائكة، وإذا أضيف إليه الاسم الجامع للأسماء كلها وهو "الله" كان من أعظم الأذكـار، ويصـلح ذكراً لمن كان اسمه أحمد **(يا فرد)** هو المنفرد فـى ديموميتـه وبقائـه والحاكم على ما سواه بانعدامه وفنائه **(يا صمد)** تقدم الكلام عليـه فـى سورة الإخلاص **(لا إله إلا أنت)** حتى يقصـد **(برحمتـك)** أى بسـرها **(نستغيث)** أى نطلب منك الإغاثة من عذابك، وفى الحديث: «**ما يمنعـك أن تسمع ما أوصيك به أن تقول إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حـى يـا قيوم برحمتك أستغيث ،أصلح لى شأنى كله ولا تكلنى إلى نفسى طرفـة عين ولا أقل من ذلك**»، رواه الحاكم عن أنس **(فأغثنا)** إغاثة ننجو بهـا من الهلاك ونسلم بها من شر كل معاند، وينبغى للتالى أن يلاحـظ ذلـك المعنى **(يا مغيث)** هو المنقذ من الشدائد بحسن الخلاص منهـا وتفـريج الكرب عن المكروبين، وإغاثته تعالى لا تختص بالمؤمنين، بل هى عامة لجميع خلقه كما هو المعهود من سعة رحمته، فما بالك يا أخى بالمتقين؟ فتكون الرحمة بهم أولى، وقوله: **(أغثنا)** أى أعِنّا، وانصـرنا واكشـف الشدة عنا برحمتك الواسعة **(ثلاثـا)** أى يكرر التالى ذلك ثـلاث مـرات لحديث التاجر الذى قال: يا ودود يا ذا العرش المجيد يا مبدئ يا معيد يا فعال لما يريد أسألك بنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك وأسألك بقدرتك التى قدرت بها على جميع خلقك، وبرحمتك التى وسعت كل شىء لا إله إلا أنت يا مغيث أغثنى، يا مغيث أغثنى، يا مغيث أغثنى ذكره القشيرى فى رسالته ثم اعلم أن الولى دائم الاضطرار لربه، قال ابن عطاء الله فى

"حكمه": لا يزال اضطرار الولى لربه لتحققه بفقره ولا يكون مع غير الله قراره لاستيحاشه مما سواه، فهو مستأنس بقربه، طلق اللسان بذكره بخلاف العامة فإن اضطرارهم بمثيرات الأسباب، فإذا زالت زال اضطرارهم، وذلك لغلبة دائرة الحس على مشهدهم، والدليل على عظم الاضطرار إلى الله تعالى أن الله تعالى أوقف الإجابة عليه، فإذا أراد أن يعطى عبداً شيئاً وهبه الاضطرار إليه فيه، فيطلب فيعطى، وإذا أراد أن يمنع عبداً أمراً منعه الاضطرار إليه فيه، ثم منعه إياه، وقامت حجة الله على العبد لو اضطررت إلينا لأعطيناك، فلا يخاف عليك أن تحرم الاضطرار فتحرم الطلب أو تطلب بغير اضطرار فتحرم العطاء وهذا الاسم من أسماء صفات الأفعال، وصفته الإغاثة، وهى عبارة عن سرعة إجابة كل مضطر بإيصاله إلى ما اضطر إليه على ما تستحقه قابليته والأسئلة مختلفة، فمنها ما يكون باطناً، ومنها ما يكون ظاهراً ومنها ما يكون بلسان الحال، ومنها ما يكون بلسان المقال، هو وكل مضطر، فآل الأمر إلى أن كل موجود مضطر على الحقيقة لمولاه من حصول ذلك الأمر، فلذا أغاثه الله تعالى، ولو لم يكن الأمر كذلك لانعدم أثر اسمه تعالى المغيث كذا أفاده الجيلانى فى "الكلمات الإلهية" اهـ، **(لغوث الغوث)** أى أسألك إغاثة بعد إغاثة، فهو نصب على المصدر بعامل محذوف كما فى "لبيك اللهم لبيك" أى أجيبك إجابة بعد إجابة وفى الحديث: «**من أغاث ملهوفاً كتب الله له ثلاثاً وسبعين مغفرة، واحدة منها فى صلاح أمره، وثنتان وسبعون له درجات يوم القيامة**»، رواه البخارى فى التاريخ والبيهقى عن أنس، ومن فوائده قوله ﷺ: «**إذا ضل أحدكم شيئاً وأراد أحدكم غوثاً وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل: يا عباد الله أغيثونى يا عباد الله أغيثونى، فإن لله عباداً لايراهم أحد**» رواه

الطبرانى عن عتبة بن غزوان **(من مقتــك)** أى بغضــك **(وطــردك)** أى واستغيث بك من طردك عن بابك؛ فإنه عين الغضب والســخط، وفـــى الحديث: «**إن لم تكن ساخطاً علىَّ فلا أبالى**»، **(وبعدك)** البعد ضد القرب فعطفه على الطرد عطف تفسير، وجمع المصنف بــين هــذه الكلمــات موافقة للإمام جعفر الصادق حيث كان يقول فى دعائه: أنت يــا إلهـــى صاحب كل وحيد ومؤنسه وكاشف ضره، الغوث الغــوث مــن مقتــك وطردك وبعدك، وما كان يدعو به الجيلانى - أمدنا الله بمدده -: اللهــم إنا نعوذ بوصلك من صدك، وبقربك من طــردك، وبقبولــك مــن ردك واجعلنا من أهل طاعتك وودك، وأهّلنا لشكرك وحمدك **(يا مجيــر)** هــو الذى يُؤَمِّن من المخاوف ويُنَجِّى من المتالف، قال تعالى: **﴿قُلْ مَن بِيَــدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْــهِ﴾** [المؤمنــون:٨٨]، قــال البيضاوى: يغيث من يشاء ويحرسه، ولا يجار عليه: ولا يغاث أحــد ولا يمنع منه، وتعديته بعلى لتضمنه معنى النصرة اهــ، **(أجرنا)** أى أنقــذنا ويكرر ذلك **(ثلاثاً)** أى ثلاث مرات **(من خزيك)** أى من إذلالك وإهانتــك لنا **(وعقابك)** أى معاقبتك لنا على الذنوب **(ومن شر عبــادك)** أى ظلــم عبادك **(أجمعين)**، توكيد قصد به شمول كل من يتأتى منه الشر من إنس وجن وحيوان، ولما طلب المصنف - نفعنا الله به - الإجارة من الشــر ناسب أن يطلب اللطف ليكفى الضر فقال: **(يا لطيف الطف بنا بلطفك يا لطيف)** اللطيف هو الذى يريد لعباده الخير ويقضى لهم أسباب الصــلاح الدنيوى والأخروى من فضله وإحسانه، ومن خواصه كما قالــه الشــيخ محمد البكرى فى رسالته "المنهج الحنيف" فى معنى اسمه "اللطيف": من أراد أن يرى فى منامه ما يحب ويختار فليتوضأ ويصلى ركعتــين بعــد

العشاء ويستغفر الله تعالى ما أمكنه، ثم يقول: يا لطيف مائة وتسعة وعشرين مرة، ثم يقول بعد ذلك: **﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾** [الملك:١٤] يا هادى يا مهدى يا لطيف يا خبير اهدنى وأرنى وأخبرنى فى منامى ما يكون من أمر كذا وكذا - وتذكر حاجتك - بحق سره المكنون **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾** [الروم:٢٥]، ثم ينام، فإنه يرى فى منامه ما يطلبه إما فى أول ليلة أو فى الثانية، أو فى الثالثة ويكرر التالى هذا الاسم فى الورد **(مائة وتسعة وعشرين مرة)** وهذا هو العدد الصغير، وأما العدد الكبير فستة عشر ألفاً وستمائة واحدا وأربعون، لكن يبدأ بالواحد أولاً مع تطويل نَفَسِهِ إلى نهايته ثم بالأربعين ثم بالستمائة ثم يبدأ بالآلاف المذكورة، يستعمل لكل خير ودفع ضر مع الطهارة، ومن خاصيته: إذا قرأه من تعسرت أموره واشتد كربه العدد المذكور فرج الله تعالى عنه، وقد جربنا ذلك ولله الحمد والمنة، ولهذا الاسم خواص كثيرة ذكرها المصنف فى شرحه الكبير للورد، فانظره إن أردت، ثم يقول التالى: **﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾** [الشورى:١٩] أى الذى لا يغلب **(عشراً)** أى يكرر التالى هذه الآية بتمامها عشر مرات ثم يقول: **(اللهم يا لطيفاً بخلقه يا عليماً بخلقه يا خبيراً بخلقه الطف بنا يا لطيف يا عليم يا خبير ثلاثاً)** أى ثلاث مرات.

يحكى عن بعض الصالحين أنه حصل له عطش شديد فى بعض المفاوز حتى أشرف على الهلاك، قال: فقعدت مستعداً للموت، فغلبنى النوم وأنا جالس فقال لى قائل: قل: يا لطيفاً بخلقه يا عليماً بخلقه يا خبيراً بخلقه الطف بى يا لطيف يا عليم يا خبير ثلاث مرات وهذه تحفة الأبد

فاذا ضاع لك ضائع أو نزل بك نازل فقلها تكفى وتشفى، فقلت له: مـــن أنت؟ فقال: أنا الخضر عليه السلام فقلت ذلك فزال كربى ســريعاً اهـــ والخبير بمعنى العليم ومن خواصه أن من ذكره سبعة أيام عدده بالجمــل تأتيه الروحانية بكل خبر يريده من أخبار السنة وأخبار الملوك والغائــب وهو يصلح لإخراج الخبايا والاطلاع على المغيبات، وذاكره لا يهمه أمر إلا رآه فى منامه أو يقظته بحسب حاله، ومن كتبه فى إناء طاهر أربعين مرة ومحاه بعسل وماء ورد ولعق منه كل يوم ثلاث لعقات على الريــق مدة سبعة أيام متوالية فإن الله تعالى يؤتيه الحكمة ويلهمـــه مـــن العلـــوم اللدنية ما يعجز عنه أهل زمانه ومن كان سيئ الخلق وداوم على ذكـــره خلصه الله من سوء الأخلاق، قاله المصنف فى "شرحه الكبير" – نفعنـــا الله به – ثم يقول التالى: **(يا لطيف عاملنا)** أى قابلنا **(بخفـــى)** مســتور مكتوم **(وفىّ)** أى الوافى الكثير **(بهى)** أى: جميـــل **(ســنى)** أى: رفيـــع **(على)** لطفك الخاص بأهل الاختصاص **(يا كافى المهمات)** أى يـــا مـــن يكفى عبده كل حائجة ومصيبة، ويقوم بكفايته، والمهمات جمع مهم، وهو كل أمر شديد **(والملمات)** جمع ملمة وهى النازلة من نوازل الدنيا **(اكفنا)** بحولك وقوتك **(ما)** اسم موصول بمعنى الذى **(أهمنا)** أى أحزننا من كل هفوة **(والمسلمين)** الطائعين منهم والعاصين **(والحاضرين)** مـــن الخلـــق أجمعين **(والغائبين)** عن الحضور **(والمنتقلين)** فى المراتب أو مـــن دار الفناء الى دار البقاء **(من إخواننا)** فى الإيمان أو العهد المصون أو فـــى النسب الدانى وأهل الصفاء والمكانة والإحسان والذين على سرر متقابلين **(هموم الدنيا)** قيل: سميت "دنيا" لدنوها من الآخـــرة، وقيـــل: لـــدناءتها بالنسبة إلى الآخرة **(والآخرة)** أى واكفنا هموم الآخرة من عذاب وعقاب وحساب وحجاب **(يا كريم)** هو المتفضل الذى يعطى من غير مسألة ولا

وسيلة ومن خواصه أنه لتيسير الرزق والخير لذاكره ومن ذكره عند النوم وقع فى قلوب الخلق كرمه **(يا الله يا رحمن يا رحيم)** مر الكلام على هذه الأسماء، وأول النمط الخامس الغامس تاليه فى بحر طامس: **(اللهم أسكن)** أى أنزل **(ودك)** أى حبك **(فى قلوبنا)** لنفوز بخيرى العاجل والآجل، والود بضم الواو وكسرها كما فى "المختار" - ونقل فتحها أيضا - أى المودة **(ودنا)** أى وأنزل ودنا **(فى قلوب أحبابك)** جمع حبيب وقوله: **(المصطفين)** نعت للأحباب، وأصله مصطافين، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، أى المختارين من أمثالهم المتميزين عن أشكالهم، قال الله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ**﴾ [ص:٤٧] وفى الحديث: «**اللهم ارزقنى حبك وحب من ينفعنى حبه**» واعلم أن من علامات حب الله للعبد أن ينزل حبه فى الأشياء حتى لا يبغضه شىء ولا عبرة بمن يبغضه لحظ نفسه ولمجرد الحسد، وإذا أحبه جميع الأكوان لحب الله أمدوه حتى يترقى على غيره من الأقران، وربما زاد له الحق فى المدد حتى صار خليفة فى العالم، وهو المراد بقوله ﷺ: «**إذا أراد الله أن يخلق خلقاً للخلافة مسح على ناصيته بيده فلا تقع عليه عين إلا أحبته**» رواه الحاكم عن ابن عباس **(وأهل جنابك المقربين)** مرادف لما قبله؛ لأنك من أحببته ناديت له بالحب فى الأكوان فأحبه امتثالا لأمرك الثقلان والمقرب من أعطاه الله سعادة الدارين وصار يغضب لغضبه ويرضى لرضاه، قال ﷺ: «**إن الله عز وجل يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها**»، **(آمين)** أى استجب منا دعاءنا كرماً وفضلاً **(يا ودود)** ومعناه: الذى يود أولياءه ويودونه، ويحبهم ويحبونه، قال البونى فى "شمس المعارف الكبرى": هذا الاسم هو المغناطيس الجذاب والياقوت الجلاب، مَنْ أكثر من ذكره كان محبوباً عند الناس ويثبت الله قلوب

الخلائق على محبته، وهو من الأذكار الجليلة، ومن كتبه في حريرة بيضاء وحملها رُزِقَ محبةً في القلوب، وينبغي حملها على طهارة، ومن أكثر من ذكره إلى أن يغلب عليه الحال فكل من رآه مال إليه بطبعه وأحبه وأحيا الله باطنه بنور المحبة وزين ظاهره بأسرار المودة، ومن أكثر من ذكره عطفت عليه العوالم بأسرها وكان مجاب الدعوة، وإن كان ملكا رفع الله قدره، ومن كتبه في ورقة مائة مرة ووضعها في منزل فإنه لا يزال أهل المنزل عندهم الوداد لبعضهم، ومن قرأه على طعام أو شراب ألف مرة وأطعمه أو سقاه لأحد أحبه، ومن كتبه وكتب معه "محمد رسول الله ﷺ" خمساً وثلاثين مرة "وأحمد رسول الله" خمساً وثلاثين مرة بعد صلاة الجمعة رزق القوة على الطاعة **(مائة مرة)** أي يكرر التالي هذا الاسم كذلك **(يا ذا العرش المجيد)** هو السرير المحيط بجميع الكائنات الذي ينزل منه محكمات الأقضية والأحكام، فلذا وصفه بالمجيد ومجده: علوه وعظمته، ويصح أن يكون صفة لـ "ذا العرش" وهو الله تعالى ومجده عظمته في ذاته وصفاته، فإنه واجب الوجود تام القدرة والحكمة، وهو كما قاله اللقاني في "شرح الجوهرة الصغير": جسم نوراني علوي محيط بجميع الأجسام، قيل: هو أول المخلوقات ولا قطع لنا بتعيين حقيقته لعدم العلم بها، والكرسي جسم عظيم نوراني بين يدي العرش ملتصق به، لا قطع لنا بتعيين حقيقته أيضا، والماء كله في جوف الكرسي على متن الريح، ولهذا العرش قوائم يحمله في الدنيا أربعة أملاك وفي الآخرة ثمانية، الملك الأول على صورة إسرافيل، والثاني على صورة جبرائيل، والثالث على صورة ميكائيل، والرابع على صورة رضوان، والخامس على صورة مالك، والسادس على صورة آدم والسابع على صورة إبراهيم، والثامن على صورة محمد صلى الله عليه

وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين اهـ، قال الجيلى: فإسرافيل وآدم للصور وجبريل ومحمد للأرواح، وميكائيل وإبراهيم للأرزاق، ورضوان ومالك للوعد والوعيد، وحملة الكرسى أربعة فاتت أقدامهم الأرض السابعة السفلى مسيرة خمسمائة عام، وبين حملة العرش وحملة الكرسى سبعون حجاباً من ظلمة، وسبعون حجابا من نور، غِلظ كل حجاب خمسمائة عام، ولولا ذلك لاحترقت حملة الكرسى من نور حملة العرش وفضل الكرسى على السموات السبع كفضل الفلاة على الحلقة، وفضل العرش على الكرسى كذلك، وليسا متصلين بالسماء السابعة وانظر أيهما أفضل من الآخر، والوصف بالعظم لا يستلزم التفضيل اهـ، وقال سيدى محيى الدين فى "فتوحاته": اعلم أن هذا العرش قد جعل الله له قوائم نورانية لا أدرى كم هى لكن أشهدتها، ونورها يشبه نور البرق، قال: وقد حدثنى ولد الروح أبو الفتوح الممنوح شهود السبوح السيد محمد ابن السيد أحمد لازالت فواتح بوارق القرب عليه تلوح وفوائح طوارق الشرب لديه تفوح أن الله خلق ملكاً له ثلاثون ألف جناح وأمره أن يطير ثلاثين ألف سنة، فطار فلم يبلغ عشر قائمة من قوائم العرش، ثم قال: وقوائمه ثمانية عشر ألف قائمة، عند كل قائمة قنديل، ضمن كل قنديل ثمانية عشر ألف عالم، فيكون مجموع عوالم تلك القناديل ثلاثة آلاف ألف ألف عالم وألفى ألف عالم وأربعمائه ألف عالم وعشرة آلاف عالم فسبحان الواسع العليم القادر الحكيم وسبحان من يعلم الحقائق على التفصيل اهـ، والتسليم لأهل الكشف هو اللائق، نسأل الله تعالى من فضله وكرمه أن يمدنا بهم آمين بجاه سيد المرسلين **(يا فعال)** منادى مبنى على الضم، وقوله **(لما يريد)** متعلق به بعد دخول "يا" عليه، ويجوز أن ينصب إن اعتبر تعلق الجار والمجرور به قبل ندائه، أى: يا من لا

يمتنع عليه مراد من أفعاله وأفعال غيره، وهذه الأية دليل على حضرة الإطلاق التى يفعل فيها الحق ما يشاء، ومن هذه الحضرة خوف أهل الكمال من الرجال، ومنها قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿**قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنْ الرُّسُلِ**﴾ [الأحقاف:٩]، فتكون على ظاهرها وليست من باب إرخاء العنان للخصم **(نسألك)** أى نتوجه إليك **(بحبك)** أى بسر حبك الأزلى عليك **(السابق فى)** علمك الدال عليه قولك **(يحبهم)**[1] قال القاضى البيضاوى: ومحبة الله تعالى لعباده هى إرادته الهداية والتوفيق فى الدنيا وحسن الثواب فى الآخرة، ومحبة العباد له إرادة طاعته والتحرز من معاصيه اهـ، ولذا قال بعضهم:

تعصى الإله وأنت تظهر حبه   هذا لعمرى فى القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع

(وبحبنا اللاحق فى) الوجود لتأخر أعياننا التى كانت فى بحر العدم إلى أن أبرزتها يد القدرة وكستها حلة المحبة الدال على ذلك قولك **(ويحبونه)**[1] قيل: الضمير لأهل اليمن نزلت فيه الآية لما روى أنه عليه الصلاة والسلام أشار إلى أبى موسى وقال: «**قوم هذا**» وقيل: الفرس لأنه ﷺ سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال: «**هذا وذووه**» اهـ، أفاده البيضاوى، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فمحبة الله لنا قديمة سابقة على وجودنا، ولذا قال بعض المحبين لما سمع الآية: إلهى تقول: يحبهم ويحبونه، يكفينا قولك: يحبهم، لأن سعادتنا لم تحصل إلا بذلك ولم تحصل بقولك: يحبونه، إلهى أحببتنى وأحببتك ولكن حبك

---

[1] فى قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤]

[1] فى قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤]

لى أكبر من حبى لك لأن حبك إياى صفة من صفاتك، فلابــد أن تكــون اكبر، لكن حبى لك أعجب من حبك لى، لأنك أحببتنى وقد رأيتنى، وأنــا أحببتك ولم أرك، فنودى فى سره: أنت غالط نحن نحبك قبل أن خلقنـــاك اهــ، ويحكى أن ذا النون المصرى – رضى الله تعــالى عنـــه – رأى رابعة العدوية – رضى الله تعالى عنها – وهى متعلقة بأســتار الكعبـــة وهى تقول: بحبك لى إلا ما غفرت لى، فقال لها يا رابعة تأدبى وقــولى: بحبى لك إلا ما غفرت لى، فقالت له: إليك عنى يا ذا النون، لولا أن حبه سبق حبى له ما أحببته اهــ، **(أن تجعل محبتك)** هــذا ومــا بعــده هــو المسئول، أى: أن تصير محبة ذاتك **(العظمى)** بوزن فعلى أى العظيمـــة فى نفسها المعظمة عند غيرهــا **(وودك الأســنى)** أى وحبــك الأرفـــع **(شعارنا)** قال فى "المصباح": والشعار بالكسر ما ولى الجسد من الثيــاب وشاعرتها: نمت معها فى شعار واحد: وقال فـــى "القـــاموس": ويفـــتح وجمعه أشعرة اهــ، وعنه ﷺ أنه قال: «**يا معشر الأنصار أنتم الشـــعار والناس دثار**»، قال سيدى على – قدس سره –: فكانوا شعاراً لأن حبهم لا لعلة، والناس دثاراً لتعلقهم بالعلل الخارجيـــة **(ودثارنـــا)** قـــال فـــى "القاموس": والدثار بالكسر ما فوق الشعار من الثياب اهـــــ، والمعنـــى: اجعل محبتك وردك ملاصقين لقلوبنا ومحيطين بهـــا ملاصـــقة الشـــعار وإحاطة الدثار **(يا حبيب)** أى يا محبوب **(المحبين)** جمع محب وهو الذى تيمه الجمال وهيمه الكمال، ولم يبق الحب فيه للغير بقيـــة **(يـــا أنـــيس)** بوزن فعيل من المؤانسة وهى الملاطفة، قال فى "المختـــار": والأنـــيس المؤانس وكل ما يتأنس به اهــ، **(المنقطعين)** بخدمتك ومشاهدتك المقبلين عليك المعرضين عن مسامرة غيرك، ولولا هذه المؤانسة ما قـــدر أحـــد على التبتل والانفراد فى رءوس الجبال والقناعة بأكل الحشـــيش، فلـــذة

المؤانسة تنسيهم أنفسهم فلا يلتفتون إليها، سيما إذا كان الانقطاع ناشئا عن الحب **(يا جليس الذاكرين)** يشير إلى الحديث الذى رواه الديلمى عن ثوبان وهو كما فى الجامع الكبير: «**قال موسى: يا رب أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك، فإنى أحس حس صوتك ولا أراك فأين أنت؟ فقال الله له: أنا خلفك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك، يا موسى أنا جليس عبدى حين يذكرنى وأنا معه إذا دعانى**»، وروى ابن شاهين فى "الترغيب فى الذكر" عن جابر: «**أوحى الله تعالى إلى موسى أتحب أن أسكن معك فى بيتك؟ فخر موسى ساجدا، ثم قال: يا رب كيف تسكن معى فى بيتى؟ فقال: يا موسى أما علمت أنى جليس من ذكرنى وحيثما التمسنى عبدى وجدنى**» اهـ، والذكر سار فى جميع أجزاء العبد، فإن ذكره بجزء كاللسان كان الحق فى ذلك الوقت جليس ذلك الجزء خاصة دون بقية الأجزاء ولابد أن يكون فى الإنسان جزء يذكر ربه ويكون الحق جليسه ليحفظ عليه باقى العناية الإلهية كما ذكره فى "الفصوص" لسيدى محيى الدين اهـ، **(ويا من هو عند قلوب المنكسرين)** يشير لحديث أورده المناوى فى كنوز الحقائق: «**قال الله تعالى: أنا عند المنكسرة قلوبهم**» **(أدم لنا)** معاشر المؤمنين أو الحاضرين أو الأجزاء على ما تقدم فى مرجع الضمير وهذا جواب النداء أى اجعل **(شهودك)** المقصود لكل موجود دائماً لنا **(أجمعين)** توكيد **(ثم يقول التالى بصوت حزين)** أى نداء فيه ترقيق وتخشع كأنه يبكى؛ لأن فى ذلك تأثيراً فى رقة القلب وجريان الدمع، وفى الحديث: «**اقرءوا القرآن بالحزن؛ فإنه نزل بالحزن**» قال المناوى بالتحريك، أى: بترقيق الصوت والتخشع والتباكى فإن لذلك تأثيراً فى رقة القلب وجريان الجمع اهـ، **(ماداً بها)** أى مطولا بما يقرأه من التوسلات الأربعة الآتية **(صوته)** لما جرب من تأثير تلك

الكيفية فى القلوب، وقد ذكر الشيخ يحيى المناوى أن من اســتعمل هــذه التوسلات كما ذكر فى بيت مظلم فإنه يرى لها العجب العجاب اهــ، **(يا غنى)** أى عن كل شىء وما عداه مفتقر إليه فى ذاته وصــفاته وأفعالــه ومن خواصه أن من داوم على ذكره أغناه الله تعالى عن الناس واتسعت عليه أبواب الرزق الحسى والمعنوى كالعلوم والمعارف **(أنت الغنى)** أى الذى لا أغنى منك ولا استغناء لأحد عنك **(وأنا الفقير)** الذى لا أفقر منى **(من)** استفهامى **(للفقير)** الذى لا يملك شيئاً **(سواك)** فيغنيه **(يــا عزيــز)** تقدم معناه، وأما خواصه: فمَنْ أكثر من ذكره كان مهيبا عند الناس، آمنا بعد خوفه، عزيزاً بعد ذله، ومن ذكره أربعين صباحاً كل يوم أغنــاه الله تعالى وأعزه، ولم يحوجه لأحد، ومن أضاف إليه العظيم ظهر عليه حال العز والشرف، ومن أكثر من ذكره بحضور قلب خال عــن الشــواغل وسأل الله تعالى أن يسخر له بعض عوالمه عاين الإجابة **(أنت العزيــز)** أى الذى لا أعز منك **(وأنا الذليل)** أى الذى لا عز له إلا بك **(من للذليل سواك)** فإن الذل لك عز، ولغيرك حجاب وطرد عن الباب، قال القطــب الشاذلى – رضى الله تعالى عنه –: سألت أستاذى عن قوله عليه الصلاة والسلام: «**المؤمن من لا يذل نفسه**» فقال: لهواه بل يذلها لمولاه، وقــال تلميذه المرسى – رضى الله تعالى عنه –: والله ما رأيت العــز إلا فــى رفع الهمة عن الخلائق، وقال تلميذه سيدى أحمد بن عطاء الله – قــدس سره –: يقال لك إذا استندت لغير الله ففقدته: انظر إلى إلهك الذى ظلــت عليه عاكفاً، وقال تلميذه سيدى داود بن باخلا – رضى الله تعالى عنه –: ما ذل قلب قط لبارئه إلا أفاده نوراً وخيراً اهــ، **(يا قوى)** معنــاه: تــام القدرة الذى لا يلحقه ضعف ولا يمسه نصب، وقيل: هو الذى لا يستولى عليه العجز بحال، إذ له القدرة التامة البالغة الكمال، قال ســيدى محمــد

القونوى - رضى الله تعالى عنه - ما حاصله: القوى بمعنى القادر وهو القوى بما هو عليه من العزة والاقتدار، ثم اعلم أن آثار هذا الاسم لا تظهر إلا على العبد الكامل فى الصفات والأحوال كالنبى ﷺ، ولهذا لم يسمع قبل خلق آدم "لا حول ولا قوة إلا بالله" كما ورد فى الخبر أن جبريل عليه السلام لما علم آدم آداب الطواف بالبيت قال: أنا طفت بالبيت قبل أن تخلق بكذا وكذا ألف سنة، فقال له آدم: فما كنت تقول عند الطواف؟ قال جبريل عليه السلام: كنا نقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فقال آدم: وأزيدكم: لا حول ولا قوة إلا بالله فاختص آدم بهذا الذكر، وكذلك الكمل من ورثته الذين لم يبق لهم صفة من الصفات الإلهية إلا وظهرت فى مراتب وجودهم، ولما كان الممكن متصفاً بالضعف الذاتى قابلاً للاقتدار الإلهى أمر الله العباد أن يستعينوا به فى الاقتدار؛ إذ لا قوة للممكن على ما كلفه الحق من الإعمال إلا باستعانته به تعالى، ولما كان محلاً لظهور الاقتدار الإلهى وقعت الدعوى والتنازع ممن وقع منه ذلك وظهر عليه أثر الاقتدار الإلهى، فرد الله تعالى عليه الضعف الثانى بالموت ليستعد بالنشأة الآخرة لقبول القوة الصافية من شوائب النزاع والدعوى اهـ، ومن خواص هذا الاسم: أن من داوم على ذكره وجد فى نفسه قوة لم يكن يعهدها، وإذا ذكره المسافر لا يعيا، ومن أكثر من ذكره قويت روحه، ويصلح ذكراً لمن كان اسمه موسى أو يونس، ومن ذكره كل يوم ألف مرة أذهب الله عنه الأوهام والوسواس وملك نفسه وغيره ولا يخاصم أحداً إلا قهره، ومن تلاه على ظالم أخذ لوقته، وذكر بعضهم أن من تلاه على فنجان قهوة مائة وست عشرة مرة فإنه يعطى شاربه قوة ونشاطاً إذ هو على عدده؛ فإن الاسم الإلهى إذا وافق اسماً كونياً وذكر عليه بعدده أورثه من مدده، فلذلك قيل

فى فتاح أن من ذكره بعدده على تفاح وأكل منه عاين فى بطنه فتحاً جديداً اهـ، **(أنت القوى)** أى على الإطلاق والكل فى قيد ووثاق **(وأنا الضعيف)** عن حمل الأسرار الإلهية لأنك بالقوة التامة معروف وأنا بالضعف الكلى موصوف، وإذا كان الأمر كذلك **(من للضعيف سواك)** يأخذ بيده ويمده بمدده، وعنه ﷺ: «**قل: اللهم إنى ضعيف فقونى، وإنى ذليل فأعزنى، وإنى فقير فارزقنى**»، رواه الحاكم عن أبى هريرة **(ياقادر)** معناه المتمكن من الفعل بلا معالجة وبلا واسطة، قال تعالى: ﴿**أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى**﴾ [القيامة:٤٠]، وكان ﷺ إذا قرأها قال: بلى، وكذا إذا قرأ: ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ**﴾ [التين:٨] قال: بلى، فهو القادر الحقيقى، والممكن إنما له القدرة بواسطة الاقتدار الإلهى، ومن خواصه أن من قرأه إثر الوضوء قهر أعداءه، ومن قرأه عند وضوئه على كل عضو فإنه يقهر خصمه ومن أكثر من ذكره أشهده الله أفعاله بالحق فلا يرى له فعلاً، وله خواص كثيرة فمن أرادها فعليه بشرح الأصل الكبير **(أنت القادر)** أى على كل شىء **(وأنا العاجز)** عن كل شىء فى ذاتى عن حمل ذرة فما فوقها إلا أن تمدنى بأمدادك، قال البكرى: ومن لم يستطع لنفسه جلب مسرة، ولا يقدر على دفع مضرة فماله إلا اظهار العجز بين يدى من أحسن إليه **(من للعاجز)** عن إصلاح نفسه **(سواك)** فيعينه ويبلغه مطالبه، ثم يقول التالى: **(لا إله إلا الله محمد رسول الله ثلاثاً)** أى ثلاث مرات، وفضائل هذه الكلمة المشرفة لا تنحصر، وهى أشهر من أن تذكر، وفى شرح "المصنف الكبير" ما ينوف عن الأربعين حديثاً الواردة فى فضلها فانظره إن شئت **(صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه)** أى نسائه الأطهار التى اختارهن الله لنبيه

ﷺ سيد الأخيار ورضيهن له زوجات فى هذه الدار وفــى تلـك الـدار وأزواجه ﷺ اللاتى دخل بهن بلا خلاف إحدى عشرة: خديجة بنت خويلد القرشية وهى أولاهن، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، ثم سودة بنت زمعة الأسدية القرشية العامرية، ثم عائشة بنت أبى بكـر الصـديق القرشـية التيمية، ولم يتزوج بكراً غيرها، ثم حفصة بنت عمـر بـن الخطـاب القرشية العدوية ثم زينب بنت خزيمة الهلالية العامرية وماتت - رضـى الله عنها - فى حياته ﷺ مثل السيدة خديجة، ثم أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة القرشية المخزومية، ثم زينب بنت جحش الأسدية، ثـم جويريـة بنت الحارث بن أبى ضرار الخزاعية، ثم أم حبيبة بنت أبى سفيان بـن حرب القرشية، ثم صفية بنت حيى بن أخطب الإسرائيلية النضرية مـن سبط هارون بن عمران عليه السلام، ثم ميمونة بنت الحـارث الهلاليـة العامرية، واختلف فى ريحانة القرظية فقيل: زوجة نكحها بعد جويريـة وقيل: أم حبيبة، وقيل: سرية، واختلف هل ماتت فـى حياتـه ﷺ عنـد مرجعه من حجة الوداع أو بقيت بعده؟ والتسع البواقى كلهن بقين بعـده وما تقدم فى ترتيب أزواجه ﷺ هو الأشهر، وقيل فيه غير ذلك، وقد عقد ﷺ على غيرهن ولم يدخل بهن على المشهور من أقاويل العلماء، وأمـا سراريه ﷺ فقيل: إنهم أربع: مارية بتخفيف اليـاء أم إبـراهيم ابنـه ﷺ وريحانة المتقدمة، وجميلة التى أصابها فى بعض السبى وأخرى وهبتهـا له زينب بنت جحش - رضى الله تعالى عنهن ونفعنا بهن آمين - **(وأهل بيته)** مر الكلام فى الخطبة **(بكرة)** أى فى البكـرة وهـى أول النهـار **(وأصيلا)** أى فى الأصيل، وهو كما قال فى "المختار": الوقت بعد العصر إلى الغروب اهـ، **(وصل وسلم عليه وعلى أبيه إبراهيم)** أى فيكون أباً لأمته أيضاً، قال تعالى: ﴿**مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ**﴾ [الحج:٧٨]، قال البيضاوى:

وإنما جعله أباهم لأنه أبو رسول الله ﷺ وهو كالأب لأمته من حيث أنه سبب لحياتهم الأبدية ووجودهم على الوجه المعتد به فى الآخرة، أو لأن أكثر العرب من ذريته فغلبوا على غيرهم اهـ، وإبراهيم اسم أعجمى جامد غير مشتق، وقال المناوى معرب أصله إبراهام اهـ، ومعناه أب رحيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤]، وهو أول من أضاف الضيف، وأول من قص شاربه واختتن وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم، وقيل: ابن عشرين ومائة سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة فيكون عمره حينئذ مائتى سنة، وهو بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغو ابن فالغ بن عابر – وهو هود عليه السلام – ابن شالخ بن أرفخشذ ابن سام بن نوح عليه السلام ابن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ – وهو إدريس عليه السلام – ابن يرد بن مهلاييل ابن قينان بن أنوش بن شيث عليه السلام ابن آدم عليه الصلاة والسلام وإنما ألحقهم المصنف بالذكر مع النبى ﷺ امتثالا لقوله ﷺ : «**صلوا على أنبياء الله ورسله؛ فإن الله بعثهم كما بعثنى**»، وفى رواية: «**صلوا على النبيين إذا ذكرتمونى فإنهم قد بعثوا كما بعثت**»، كذا فى الجامع الصغير **(خليلك)** الإضافة للتشريف والخليل بوزن فعيل وهو اسم لمن صحت محبته لمحبوبه مأخوذ من التخلل وهو اشتباك البعض بالبعض، أو من الخلة بالضم وهى تخلل مودة فى القلب لا تدع فيه خلاء إلا ملأته ووصف إبراهيم عليه السلام بذلك لما خالله من الأسرار الإلهية والمعرفة الاصطفائية، ومن ثم قال ﷺ: «**لو كنت متخذاً خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلاً**»، أو من الخلة بالفتح وهى الحاجة، لكونه ﷺ قصر حاجته على ربه، كما فى بعض الأخبار أن جبريل عرض له وهو فى المنجنيق فى النار فقال له: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، فقال: سل ربك فقال: حسبى من سؤالى

علمه بحالى. واعلم أنهم اختلفوا فى مقام المحبة والخلة أيهما افضل وأرفع؟ فقال قوم: المحبة أرفع لأن الحبيب يصل بلا واسطة بخلاف الخليل، قال تعالى فى ذكر حق نبينا عليه الصلاة والسلام: ﴿**فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى**﴾ [النجم:٩]، ولما فى حديث الإسراء: يا رب إنك اتخذت ابراهيم خليلاً وموسى كليماً، فقال: ألم أعطك خيراً من هذا، إلى قوله: واتخذتك حبيباً، وقال بعضهم: الخلة أرفع ورجحه جماعة كالبدر الزركشى وغيره؛ لأن الخلة أخص من المحبة إذ هى نهايتها، ومن ثم أخبر نبينا ﷺ بأن الله اتخذه خليلاً للحديث المار مع إخباره بحبه لبعض الصحابة، قال ابن القيم: ومن ظن أن المحبة أرفع وأن ابراهيم خليل الله ومحمداً حبيب الله غلط وجهل فى رفعة ذات محمد ﷺ على ابراهيم عليه السلام مع قطع النظر عن وصف الخلة والمحبة اهـ، وهذا لانزاع فيه وإنما النزاع فى الأفضلية المستندة إلى أحد الوصفين والذى قامت عليه الأدلة والبراهين أن نبينا ﷺ متصف بالمحبة والخلة وخلته أرفع من خلة إبراهيم عليهما الصلاة والتسليم اهـ، أفاده ابن حجر فى شرح الأربعين **(و)** صلِّ وسلم على **(داود)** اسم أعجمى لا يهمز كما فى الصحاح، وهو من أنبياء بنى إسرائيل كما قاله صاحب "شرح الدلائل"، وهو ابن يانش بن عويال، وهو ولد يهوذا بن يعقوب عليه السلام، قاله سيدى محيى الدين اهـ، وكان يقيم التوارة على اثنين وسبعين صوتاً، وكان له تسع وتسعون زوجة، وكان ملكه أربعين سنة، وشيع جنازته أربعون ألف راهب، وقبره الشريف فى القدس يزار وعليه من المهابة والأنوار، وكان أشكر البشر وأعبدهم، أى: أكثرهم عبادة فى زمانه وكان أشد البشر، ففى الحديث: «**كان داود أشد البشر**»، وفى رواية: **أعبد**، وكان يطوى له

الزمن لأن الله تعالى يطوى الزمان لمن شاء من عباده كما يطوى لهم المكان لحديث وارد فى ذلك، وذلك لا يحصل إلا بفيض سبحانى، قال القسطلانى: قال ابن أبى شريف أن أبا طاهر القدسى كان يقرأ فى اليوم والليلة خمس عشرة ختمة، ونقل الشعرانى – رضى الله تعالى عنه – عن أحد تلامذة أبى مدين أن ورده كان فى اليوم ألف ختمة، فقد ثبت أن الله تعالى يطوى لمن شاء من خلقه الزمان كما يطوى المكان، أو أن الله تعالى يخلق لهم ألسناً بعدد آى القرآن كما أشار إلى ذلك ابن الفارض – قدس سره – بقوله:

فإن حدثوا عنها فكلى مسامع وكلى إذا حدثتهم ألسن تتلو

(خليفتك) قال تعالى: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ**﴾ [ص:٢٦]، قال القاضى البيضاوى: استخلفناك على الملك فيها اهـ والخليفة من الأنبياء كل نبى استخلفه الله فى عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم، لا لحاجة به تعالى إلى من ينوب عنه، بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقى أمره بغير واسطة، ألا ترى أن الأنبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار أرسل إليهم الملائكة، ومن كان منهم أعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى ونبينا ليلة الإسراء عليهما الصلاة والسلام، قاله البيضاوى **(و)** صل وسلم على **(موسى)** اسم غير منصرف للعلمية والعجمة وهو ابن عمران بن يصهر بن قاهث ابن لاوى بن يعقوب بن إسحق بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام، واسم أمه أناخيت وقيل: يوحانذ، قاله الجلال، ولما دنت وفاته سأل الله تعالى أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر كما فى حديث «**أرسل ملك الموت إلى موسى فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فقال:**

أرسلتنى إلى عبد لا يريد الموت فرد الله تعالى عليه عينه وقال له: **ارجع وقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة، قال: أى رب ثم ماذا؟ قال: ثمَّ الموت، قال: فالآن، فسأل الله تعالى أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر فلو كنت ثم لرأيتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر**» رواه البخارى ومسلم والنسائى عن أبى هريرة اهـ، وقتل موسى عليه السلام القبطى وسنه أربعون سنة وأقام بمدين تسعاً وثلاثين سنة ثم رجع إلى مصر بزوجته صفورا بنت شعيب، ثم بعثه الله تعالى إلى فرعون فأقام يدعوه أحد عشر شهراً ثم سافر ببنى إسرائيل، وتبعه فرعون فأغرقه الله تعالى، ومات عليه الصلاة والسلام وله مائة وعشرون سنة بعد أن استخلف يوشع بن نون فى حياته عليه السلام، ثم قال: **(كليمك)** قال تعالى: **﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾** [النساء:١٦٤]، وعنه ﷺ: «**لما كلم الله موسى كان يبصر دبيب النمل على الصفا فى الليلة الظلماء من مسيرة عشرة فراسخ**»، رواه الطبرانى عن أبى هريرة، وروى أن موسى عليه السلام لما كلمه الله أشرق وجهه بالنور حتى كان من نظر إلى وجهه عمى فتبرقع لئلا تذهب أبصار الناس إلى أن مات، قاله الغزالى اهـ، واعلم أنه قد وقع الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة فى قوله تعالى: **﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾** [النساء:١٦٤]، فقال أهل السنة: كلمه بكلام أزلى لا بحرف ولا صوت ولا تقديم ولا تأخير ولا لحن ولا إعراب إلى غير ذلك سمعه بجميع أجزائه من جميع الجهات بمعنى أنه خلق فيه قدرة على سماعه وفهم أن الذى يكلمه هو الله تعالى وليس فى جهة، وهذا معنى قولهم: أزال الله الحجاب عن موسى وأسمعه كلامه، فالكلام صفة قائمة بذاته تعالى، قيل:

إن الله تعالى أوحى إلى الملائكة أنى أتجلى للجبل ولموسى بن عمـــران قال: فارتعدت السموات والأرض والجبال والبحار والنجــوم والشــمس والقمر وخروا كلهم سجداً لله رب العالمين، ولما تجلى الله للجبل طــارت لعظمته ستة أجبل وساخ جبل التجلى من عظمة الله تعــالى فــى الأرض إلى الآن، وقالوا: وما ظهر للجبل من عظمة الله تعالى قدر خرم الإبــرة ولما أراد الله أن يخاطب موسى أنزل إلى الأرض ظلمـــة قــدر ســبعة فراسخ، وطردت الملائكة الهوام على المسيرة ســبعة فراســخ ونزلــت الملائكة المقربون فأحدقوا بالجبل على مراتبهم، ثم وقف موســـى وقــد أحدقت به الملائكة صفوفاً ثم تنحى عنه ملكاه وخاطبه الله تعالى وجبريل إلى جانبه لا يسمع الخطاب، وذكر أن الرب سبحانه وتعالى لمـــا تجلـــى للجبل لم يبق على وجه الأرض ماء إلا عذب، ولا أعمى إلا أبصـــر ولا ذو عاهة إلا برئ من بركة التجلى، قال ﷺ: «**إن الله تعالى قال لموسى: أتدرى لم اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى؟ قال: يــارب أنــت أعلم، قال: إنى نظرت إلى القلوب فما رأيت قلباً أكثر تواضــعاً منــك**» اهــ، وقالت المعتزلة: وكلم الله موسى تكليماً بمعنى أن الله تعــالى خلــق الكلام فى شجرة وهى التى كلمته مستدلين بأن الكلام مركب من الألفــاظ والحروف الحادثة المتقطعة المترتبة، وكل ما كان كذلك فلا يكون صــفة له تعالى لامتناع قيام الحوادث به تعالى، والإسناد فى الآية مجــاز مــن إسناد الشيء لغير من هو له، أو من إسناد المسبب للسبب لأنه الخالق له فهو مجاز إما فى النسبة أو الطرف، فرد ذلك أهل السنة بأن الكلام عندنا قسمان: مركب، وغير مركب وأنتم حصرتموه فى المركب ولــيس هــذا مراداً، بل المراد غير المركب النفسى، والإسناد فى الآية محمول علـــى الحقيقة لا المجاز لأنها الأصل ولا تحتاج لدليل، بخلاف المجــاز فإنــه

يحتاج لدليل اهـ المراد من ذلك، قاله الغزالي **(و)** صل وسلم على **(عيسى)** اسم أعجمي معرب وليس بمشتق من العيس بمعنى البياض لأن الاشتقاق مختص بكلام العرب، وعيسى عليه الصلاة والسلام رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة أو أربع وثلاثين سنة وهو الأشهر عند المحدثين والمفسرين، وقيل: ثمانية وعشرين سنة كما نقله ابن حجر في الإمامة، واختلف أيضا في مكثه في الدنيا بعد نزوله من السماء، فقيل: سبع سنين، وقيل: أربعون، وقيل غير ذلك، وجمع السيوطي بين السبع وبين الأربعين بأن المراد مجموع لبثه في الأرض قبل الرفع وبعده وروى ابن الجوزي عن ابن عمر – رضي الله تعالى عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل عيسى بن مريم إلى الأرض فيتزوج ويولد له ويمكث خمساً وأربعين سنة ثم يموت فيدفن معي في قبري، وأقوم أنا وعيسى ابن مريم من قبر واحد بين أبي بكر وعمر**» اهـ، أي فيدفن بالسهوة الشرقية كما في "متن الدلائل" اهـ، وقال سيدي محيي الدين: إن عيسى عليه السلام ينكح امرأة من بني غسان اسمها راضية، ويدفن مع النبي ﷺ في البيت، وهناك موضع قبر يقال إنما بقي له اهـ، قاله في الإشاعة وذكر الحسن أن مريم حملت بعيسى تسع ساعات ووضعته من يومها وقيل: حملت به على عادة النساء ومولده بيت لحم وهربت به إلى مصر فأقام بها اثنتي عشرة سنة، ثم رجعت به إلى الشام، وجاءه الوحي وهو ابن ثلاثين وتكلم في المهد ثلاث مرات، ثم لم يتكلم حتى بلغ المعتاد ومن خصائصه أن الشيطان لم يطعنه كأمه لحديث: «**كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم وابنها**»، رواه مسلم عن أبي هريرة ودليل نزوله إلى الأرض بعد رفعه الكتاب والسنة، أما الكتاب فلقوله تعالى: ﴿**وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ**﴾ [النساء:١٥٩]

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف:٦١]، وقرئ شذوذاً "لَعَلَمٌ" بفتحتين، أى: علامة، وأما السنة فقوله ﷺ: «**والذى نفسى بيده يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية**»، وعنه ﷺ: «**من أدرك منكم عيسى بن مريم فليقرئه منى السلام**»، ونزوله عند المنارة البيضاء شرقى دمشق ويصلى بالمسلمين العصر، ويخرج فى طلب الدجال فيقتله، وتظهر الكنوز فى زمانه، ويفيض المال فلا يوجد من يأخذ الزكاة، وينزع كل ذى سم سمه حتى تلعب الصبيان بالحيات فلا تضرهم، ويرعى الذئب مع الغنم، وتنبت الأرض نبتها لعهد آدم حتى يجتمع الجمع الكثير على القطف العنب فيشبعهم وكذا الرمانة، وتمتلئ الأرض سلماً أى صلحاً، ولا قتال فترخص الخيل لذلك، ويغلو الثور لحرث الأرض ويكون مقرراً لشريعة نبينا ﷺ لا ناسخاً ولا رسولاً لهذه الأمة وهو نبى وصحابى فيحشر مع أمة محمد ﷺ وعنه ﷺ: «**أنا أولى الناس بعيسى بن مريم فى الدنيا والآخرة، ليس بينى وبينه نبى، والأنبياء أولاد علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد**»، رواه الشيخان وأبو داود عن أبى هريرة والعلات: الضرائر (**روحك**) أى الموجود بأمر منك (**وإسحق**) بن ابراهيم عليهما السلام وهو اسم أعجمى غير منصرف للعلمية والعجمة (**ذبيحك**) جاء فى الحديث: «**الذبيح إسحق**» قال المناوى: أخذ به الأكثر وعزى لثلاثين من الصحابة وتابعيهم، واختاره ابن جرير وجزم به فى "الشفاء" وأخذ به الإمام مالك، لكن سياق الآية شاهد لكونه إسماعيل إذ هو الذى كان بمكة ولم ينقل أن إسحق كان بها ورجحه معظم المحدثين، قال الحليمى: إنه الأظهر، وأبو حاتم: إنه الصحيح، والبيضاوى: إنه الأظهر، وابن القيم: إنه الصواب اهـ، قال المصنف: ومما يدل على كونه إسماعيل أن الله

تعالى وصفه بالصبر دون إسحق، فدل على أنه الصبر على الذبح، ومن ثم قيل لرسول الله ﷺ يا ابن الذبيحين اهـ، **(وعلى جميع إخوانهم)** أى إخوان هؤلاء المذكورين **(من الأنبياء والمرسلين)** ولا يعلم عددهم إلا الله تعالى **(والحمد لله رب العالمين)** أى على نعمة مناجاته بالأذكار والدعوات اللسانية والتوجهات القلبيه قال ﷺ: «**الحمد لله على النعمة أمان لزوالها**»، ولما كان الحمد رأس الشكر، وأهل الذكر أعظم الشاكرين لله بطاعته له، وأيضا فمعنى الحمد الثناء بالجميل، وأهل الذكر لا يفترون عن الثناء على مولاهم ناسب أن يقول المصنف: **(إلهى بأهل الذكر)** أى أتوسل إليك بهم، وهذه القصيدة من بحر الطويل، وأجزاؤه: فعولن مفاعيلن ثمان مرات، سمى بذلك لأنه تام الأجزاء، وبقية الكلام مبسوط فى محله فانظره إن شئت، والذكر إما أن يراد به القرآن، قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ**﴾ [الحجر:٩]، وفى الحديث: «**أهل القرآن أهل الله وخاصته**» وإما أن يراد به ما يشمل التسبيح والاستغفار والصلاة على النبى ﷺ وقراءة قرآن ودرس علم وحلق ذكر، وهو أولى، وحقيقة الذكر دوام الحضور من غير تخلل غفلة وقصور فإن تخلله سمى تذكراً وأنشد أبو يزيد البسطامى – قدس سره –:

عجبت لمن يقول ذكرت ربى وهل أنسى فأذكر ما نسيت
شربت الحب كأسا بعد كأس فما نفد الشراب وما رويت

وأنشد الشبلى – رضى الله تعالى عنه –:

ذكرتك لا أنى نسيتك لمحة وأيسر ما فى الذكر ذكر لسانى
وكنت بلا وجد أموت من الهوى وهان على القلب بالخفقان
فلما أرانى الوجد أنك حاضرى شهدتك موجودا بكل مكان

فخاطبت موجــودا بغيــر تكلــم ولا حظت معلومـًـا بكــل عيــان

ويكفيك من خصائص أهله أنهم القوم الذين لا يشقى جليسهم، وأن أهله معانون على ما يطلبون من الحوائج اهـ، قاله المصـــنف، وقـــال القطب الحفنى – رضى الله تعالى عنه – فى رسالته فى آداب الذكر قال: روى الحاكم عن شداد بن أوس: إنا لعند رسول الله ﷺ فقـــال: «**ارفعـــوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله، فقلنا فقال: اللهم إنك بعثتنى بهـــذه الكلمـــة وأمرتنى بها ووعدتنى عليها الجنة إنك لا تخلـــف الميعـــاد، ثـــم قـــال: أبشروا بأن الله قد غفر لكم**» قال: وفى رواية أخرى عنه ﷺ: «**لا يقعـــد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمـــة ونزلـــت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده**»، ثم قـــال القطـــب المـــذكور: وينبغى للذاكر أن يكون فى غاية الخشوع والأدب ملاحظاً للمذكور كأنـــه واقف بين يديه ولا يضره التمايل يمينا وشمالاً فيبتدئ بالنفى مـــن جهـــة اليمين، قال: لأن النفس الأمارة فيها، والقلب فى الجهة اليســـرى، وهـــو محل الأنوار والأسرار، فجعل لفظ الجلالة الشريف عليه ليتلقى أنـــواره وأسراره، والذكر سراً أفضل من الجهر لمن خاف رياء أو أذية نـــائم أو قارئ، وإلا فالجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر، ويبعد الكسل ويوقظ قلب الذاكر ويطرد النوم ويزيد فى النشاط لتمايله يميناً وشمالاً، قـــال القطـــب المذكور: ولا عبرة بما أنكر بعض الناس على القوم فى التمايل وقالوا لم يرد بذلك نص، وإنما ورد الحث على ذكر الله من غيـــر تمايـــل، قـــال القطب المذكور: والجواب أن الحافظ أبا نعيم روى عـــن الفضـــيل ابـــن عياض أنه قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا ذكروا الله تعالى تمـــايلوا يميناً وشمالاً كما تتمايل الشجرة فى الريح العاصف إلى قدام ثـــم ترجـــع إلى وراء، ثم قال: فاحذر يا أخى من الاعتراض وإن كنت منكراً ولابـــد

فأنكر على أهل المعاصى بالنص اهـ، وقول القطب بالتمايل المذكور ليس على إطلاقه فهو مقيد بعدم التكسر والرقص لأنه يخرجه عن المباح هذا فى حال صحوه، وأما اذا غلبه الحال والسكر فلا لوم عليه كما قال أبو مدين:

فلا تلم السكران فى حال سكره فقد رفع التكليف فى سكرنا عنا

وهذا مراد القطب المذكور.

(فائدة) قال العلامة الأمير فى حاشيته على عبد السلام: ينبغى للذاكر عند ابتدائه بذكر الجلالة أن يلاحظ كونها آية من كتاب الله تعالى فإنه يثاب حينئذ وإن لم يلاحظ المعنى فى كل مرة اهـ، والذكر أنواعه كثيرة، وكلها توجب التفكير وتجلب الأسرار والأنوار، وتحضر الغائب وتغيب الحاضر، فأول ما يكون باللسان ثم بالجنان ثم بالسر ثم بالجملة والأركان ثم ترتقى من عالم شهادتك إلى عالم غيبك فترى الكل ذاكراً بذكرك فيذكر معك عالم الدنيا ثم عالم الملكوت ثم عالم فعالم حتى الأماكن والأزمان، وفى الخبر: «**أنا جليس من ذكرنى**» فمن ذكره بلسانه كان الحق جليس لسانه، ومن ذكره بجنانه كان الحق جليس جنانه، وهكذا الجهرى منه مقدمة السر، والسرى لحظ وشهود أو حضور مع وجود بغير وجود، ومتى كان الذاكر ذاكراً لذكره فى ذكره فهو مع ذكره، فإذا استغرق عن ذكره فهو مع مذكوره لا مع ذكره؛ فإن من كان ذكره بالمذكور كان مع المذكور والمعية تقتضى الاثنينية، وهى حجاب عند العارفين بالله تعالى، والحجاب رحمة على المحجوب، وعند رفع الحجاب يفنى المحجوب فهناك يفنى الذاكر ويبقى المذكور، فلا ذاكر له سواه وهو: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾ [البقرة:١٥٢] إذ الوجود لى، ولا وجود لكم وهذا مقام ترك الذكر، إذ الذاكر هو الله تعالى ولذكر الله أكبر؛ إذ لا ذكر

للعبد لأنه لا وجود له اهـ، سيدى محيى الدين فى "الفصوص"، قال سيدى محمد الغمرى:

الذكر ترك الذكر عند فنا الفنا   من دهشة فيها الموحد حائر

والذكر يكون من عدم الشهود عند المحققين فقد ورد: من ذكر لم يشهد ومن شهد لم يذكر، أى من كان يرى له وجوداً يذكرنى فإنه محجوب، والمحجوب لا يشهد، ومن شهد الوجود لى ولا وجود لغيرى علم أنى الذاكر والمذكور والذكر فلم يذكر، وبهذا يتضح قول سيدى محيى الدين – قدس سره–:

بذكر الله تزداد الذنوب   وتنعكس البصائر والقلوب

بذكر الله تبتهج القلوب   وتتضح السرائر والغيوب

وترك الذكر أفضل كل شىء   فشمس الذات ليس لها غروب

أى: لأن الذكر يستدعى ذاكراً ومذكوراً، والذاكر إذا كان غير المذكور كان له وجود مستقل فى دعواه حتى ذكر ربه، ودعوى الوجود ذنب لا يقاس به ذنب عند العارفين الذين وصلوا إلى مقام فناء الفناء فالتوحيد الخالص توحيد الحق نفسه بنفسه، وفى هذا المقام يجمع بين الذكر والشهود، وتكمل فيه للكامل مطالع الصعود، فصاحب اليقظة كل أوقاته ذكر وعظة، فلا يتحرك حركة إلا بذكر، والذكر على ما مر إما حالى أو مقالى، والذكر اللسانى إذا تمكن من القلب نوره، وربما صال على عقله وروحه فيسكره، فيترقى إلى المقامات المتقدمة، وإذا تمكن الذكر الحالى من الذاكر بقلبه أشهده حتى أنه لو تغافل ما استطاع لم ينقطع شهوده، قال القطب الشاذلى: حقيقة الذكر الانقطاع عن الذكر الى المذكور، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل:٨]

وهو حقيقة ما ينتهى إليه فى السلوك، والله خير وأبقى اهـ، قال بعض العارفين: وإذا قوى الذكر القلبى ربما تضرر صاحبه من الذكر اللسانى لغلبة تجلى الحق على قلبه، فلا يذكر به إلا فى نحو الصلاة، وذلك نتيجة الإكثار من الذكر اللسانى، والذكر اللسانى لابد منه عند السادة الخلوتية فى البداية، وبعد تمكنه من القلب يصير رخصة، وعلامة تمكنه من القلب أن يجرى على لسان الذاكر حال غفلته من غير قصد.

(خاتمة) نسأل الله حسنها فى كيفية تلقين الأسماء السبعة عند السادة الصوفية – نفعنا الله بهم – كما قاله العارف بالله الشيخ الشرقاوى فى كتابه «ربيع الفؤاد» فى كيفية قراءة الأوراد، فهو أن يضع الشيخ يده اليمنى فى يد المريد بعد طهارة كل منهما، ويجعل راحته على راحته ويقبض إبهامه ويقول له: غمض عينيك وقل أستغفر الله العظيم ثلاثاً، ثم بعد ذلك يقرأ الشيخ: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [التحريم:٨]، ويقرأ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾** [الفتح:١٠]، وقوله تعالى: **﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾** [النحل:٩١]، ثم يطرق رأسه ويدعو سراً بالفتح على المريد كأن يقول: اللهم أعنه واحفظه وتقبل منه وافتح عليه باب كل خير كما فتحته على أنبيائك وأوليائك، أو غير ذلك من الدعوات المناسبة ثم يقول وكل منهما غاض بصره: اسمع منى الذكر ثلاث مرات

وقل أنت بعدى ثلاث مرات وأنا أسمع منك، ثم يستأذن ويطلب بقلبه المدد من أهل السلسلة ويقول: دستور يا رسول الله دستور يا أهل الطريق، ويذكر ثلاثاً ويذكر المريد بعده كذلك، ويوصيه قبل أن يتفرقا بتقوى الله تعالى وملازمة الذكر وأوراد الطريق، وقد لقن النبى ﷺ عليا – كرم الله وجهه – هكذا، وهو لقن ابنيه الحسن والحسين والحسن البصرى، وكميل ابن زياد والحسن البصرى لقن حبيباً العجمى، وهو لقن داود الطائى، وهو لقن معروفاً الكرخى، وهو لقن السرى السقطى، وهو لقن سيد الطائفة الشيخ الجنيد البغدادى، وهو لقن ممشاد الدينورى، وهو لقن محمداً الدينورى، وهو لقن محمد البكرى، وهو لقن وجيه الدين القاضى، وهو لقن عمر البكرى، وهو لقن أبا النجيب السهروردى، وهو لقن قطب الدين الأبهرى، وهو لقن ركن الدين محمداً النجاشى، وهو لقن شهاب الدين محمداً الشيرازى، وهو لقن جمال الدين التبريزى، وهو لقن إبراهيم الزاهد التكلانى، وهو لقن محمد الخلوتى وهو لقن عمر الخلوتى وهو لقن محمداً مبرام الخلوتى، وهو لقن الحاج عز الدين، وهو لقن صدر الدين الخيانى، وهو لقن الشيخ يحيى الباكوبى صاحب ورد الستار، وهو لقن محمد بن بهاء الدين الشيروانى ويقال الأزربجانى، وهو لقن جلبى سلطان الأفندى أى الشهير بجمال الخلوتى، وهو لقن خير الدين الوقادى، وهو لقن الشيخ شعبان القسطمونى، وهو لقن محيى الدين القسطمونى، وهو لقن الشيخ عمر الفؤادى، وهو لقن الشيخ إسماعيل الجرومى، وهو لقن الشيخ على قراباشى، وهو لقن مصطفى أفندى الأدرنوى، وهو لقن الشيخ عبد اللطيف الحلبى، وهو لقن العارف بالله السيد مصطفى البكرى، وهو لقن القطب الشيخ محمد ابن الشيخ سالم الحفناوى، وهو لقن العارف بالله الشيخ عبد الله الشرقاوى، ولقنه بعده

ايضا العارف بالله الشيخ محمود بـن أبـى يزيـد الكـردى الكـورانى والعارف الشرقاوى لقن العارف بالله قطب زمانه الشيخ أحمد الدمهوجى وهو لقن الفقير وتلقنت بعده على العارف بالله السكران فى حب الله تعالى السيد محمد ابن الشيخ صالح السباعى، وأجازنى بالإرشاد وكتب الإجازة بختمه واسمه على طرة ربيع الفؤاد المذكور، والسيد محمد السباعى تلقن عن شيخنا العارف الشرقاوى وهلم جراً إلى آخر السلسلة المتقدم ذكرهـا وإذا تلقن المريد لا إله إلا الله لزمه أن يكثر من ذكرها ليلا ونهـاراً مـا عدا أوقات الضرورة إلى أن تزول عنه النفس الأمارة بالسوء، وهكذا إلى أن يذكر الأسماء السبعة وهى: لا إله إلا الله الله هو حق حى قيوم قهـار اهـ، فمعنى لا إله إلا الله لا معبود بحـق إلا الله، ومعنـى الله الـذات الواجب الوجود، واسم هو عند أهل الظاهر مبتدأ يحتاج إلى خبـر ليـتم كلاماً وأما عند الصوفيه فهو إخبار عن نهاية التحقيق، ولا يحتـاج إلـى تقدير بل هو مفيد وكلام تام بدون أن ينضم إليه شىء أخر يتصل بـه أو يضمر له لاستهلاكهم فى حقائق القرب، واسـتيلاء ذكـر الحـق علـى أسرارهم فلا يسبق إلى قلوبهم غيرُه ويكتفون به عن كـل بيـان، قـال العارف أبو بكر بن فورك – قدس سره – هو حرفان هاء و واو، فالهاء تخرج من أقصى الحلق وهو آخر المخارج والواو تخرج من الشفة وهو أول المخارج فهو إشارة إلى ابتداء كل حادث إليه، وإليه الاشارة بقولـه تعالى: ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ**﴾ [الحديد :٣] اهـ، قال بعضهم: رأيت بعض الوالهين فقلت له: ما اسمك؟ فقال: هو، فقلت: من أنت؟ فقال: هو، فقلت: من أين جئت؟ فقال: هو، فقلت له: من تعنى بقولك هو؟ فقال: هو، فمـا سألته عن شىء إلا قال: هو، فقلت له: لعلك تريد الله فصـاح وخرجـت روحه اهـ، قاله الجيلانى فى شرحه للأسماء، وقال الجيلانى أيضـا: إن

الأسماء لا توصل إلا للصفات، ولفظ "هو" يوصل إلى ينبوع تلك الصفات الذى هو الذات الأحدية المقدسة الكاملة بذاتها لا بوصفها، ولهـذا أشـار الراسخون فى العلم إلى أن ذاته تعالى ما تكملت بالصفات، بـل لغايـة كمالها استلزمت صفات الكمال، وهوية الحق عينه الذى لا يمكن ظهوره لكن باعتبار جملة الأسماء والصفات، فكأنها إشارة إلى باطن الواحديـة قال: وقولى: كأنها إنما هى لعدم اختصاصها باسم أو نعت أو مرتبـة أو وصف أو مطلق ذات بلا اعتبار ذات وصفات بل الهوية إشارة إلى جميع ذلك على سبيل الجملة والانفراد، وشأنها الإشـعار بـالبطون والغيبوبـة وهى مأخوذة من لفظة "هو" الذى هو للإشارة إلى الغائب، وهو فى حقـه تعالى إشارة إلى كنه ذاته باعتبار أسمائه وصفاته، فعلم من ذلك أن "هو" عبارة عن حاضر فى الذهن، إذ الهوية هى الوجود المحـض الصـريح المستوعب لكل كمال وجودى وشهودى، وقيل: إن الهوية غيـب لعـدم الإدراك لها؛ لأن الحق تعالى ليس غيبه غير وجه شهادته، ولا شـهادته غير وجه غيبه، بخلاف الحوادث، فإن لها شهادة وغيباً لكن شهادتها من وجه باعتبار، وغيبها من وجه باعتبار، وأما الحق تعـالى فغيبـه عـين شهادته، وشهادته عين غيبه، ومعنى حق: واجب الوجود، وقيل: معنـاه الثابت الذى لا يزول قط، وحى: من الحياة، وهى صفة قائمة بذاته تعالى أى هو حى حياة مطلقة، وأما الحوادث فحياتهم مقيدة، ومعنى القيوم: هو المدبر لعباده القائم بمصالحهم، ومعنى القهار: هو الجبار الذى يحصـل مراده من خلقه اهـ، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بهؤلاء الرجال ويجعلنا من أهل الذكر والأوراد، آمين، ولنرجع لما نحن فيه فنقول: قال المصنف: **(والمشهد الأسمى)** أى الأرفع، والمشهد بمعنى المشاهدة التى تحصل لأهل الله تعالى بسبب تجليه على قلوبهم فيشهدون تجليات الـذات

او الصفات أو الأفعال على حسب استعداد المتجلى عليه **(بمن)** أى بالذين **(عرفوا)** أى علموا **(فيك)** أى فى حال شهودهم لك فـــى تلـــك المظـــاهر وعدم غيبتهم عنك، أو بسبب إمدادك إياهم وتجليك عليهم **(المظاهر)** جمع مظهر بوزن مفعل كمذهب، وهو نفس الظهور أو زمنه أو محلّـــه وهـــو مفعول عرفوا على حذف مضاف، أى: ما احتوت عليه المظـــاهر هـــى الممكنات ويعبر عنها بالمجالى والظلال، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَـــى رَبِّـــكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ**﴾ [الفرقان:٤٥]، أى الوجود الإضافى على الممكنات، قـــال سلطان العاشقين ابن الفارض – قدس سره –:

بدت باحتجاب واختفت بمظاهر   على صبغ التلوين فى كل بـــرزة

وقال النابلسى:

لذاتى بذاتى لالكم أنا ظاهر   وما هذه الاكوان إلا مظاهر

(بالأسما) جمع اسم أى علموا الكائنات، أى ما فيها بسبب تجليات الأسماء، فبالعليم علموا أسرارها، وبالظـــاهر ظهـــرت لهـــم أنوارهـــا وبالبصير شاهدوا أطوارها وهكذا، فقوله: "بالأسما" بدل من قوله: فيـــك أى: فلكل اسم تجل يخصه، وله ثمرة تغاير ثمـــرة الآخـــر، وللأســـماء اختلاف بحسب الطبائع، ومن أخذ منها ما يناسبه من حيث طبيعته ووافق عدد اسمه عدد ذلك الاسم كان هو الاسم الأعظم فى حقه ومن لـــم يجـــد ذلك فى اسم فليطلبه فى اسمين أو أكثر.

ويحكى أن بعض العارفين كان إذا جاءه مريد أجلسه بـــين يديـــه وتلا الأسماء الحسنى عليه وهو ينظر إلى وجهه فأى اسم رآه أثـــر فـــى وجوده انفعالاً لقنه له ولو تعددت الأسماء لموافقتها له فيحصل له المـــدد منها اهـــ، ولما كان الذكر نورانيا ناسب أن يتوسل المصنف بالنور فـــى

قوله: **(بنور)** أى بسر نور وهو ضد الظلام، قال فى "القاموس": النـور بالضم: الضوء أياً كان، أو شعاعه، وجمعه أنوار ونيران، وقد نار نوراً وأنار واستنار ونور وتنور ومحمد ﷺ والذى يبين الأشياء اهـ، والمراد به الله تعالى لأن من أسمائه تعالى النور ومعناه: الظاهر بنفسه المظهـر لغيره، وقيل: مظهر المظاهر المبين لذات كل شىء على أتم وجه علـى حسب ما تقتضيه قابليته، قال تعالى: **﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** [النور:٣٥]، أى منورهما بالكواكب وما يفـيض عليهمـا مـن الأنـوار وبالملائكة والأنبياء أو مدبرهما من قولهم للرئيس الفائق فى التدبير: نور القوم؛ لأنهم يهتدون به فى الأمور أو موجدهما، ويحتمل أن يراد بـالنور محمد ﷺ؛ فإن من أسمائه ﷺ النور، قال تعالى: **﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾** [المائدة:١٥]، وقال كعب وابن جبير وسهل بن عبـد الله: المراد بالنور الثانى فى قوله تعالى: **﴿اللَّهُ نُـورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** [النور:٣٥]، هو محمد ﷺ؛ فهو نور الله الذى لا يطفأ، ويـأبى الله إلا أن يتم نوره، ومن أسمائه ﷺ النجم الثاقب والماحى ظلام الكفر بنوره، وهذا الاحتمال أولى كما قال المصنف، وقد يقال: إن الأول أولى لتكرار الثانى مع قوله فيما سيأتى ببدر أتى يهدى الأنام إلخ **(بدا)** أى ظهر **(فى غيهب)** أى فى ظلمة **(الوهم)** أى الجهل وعدم الاهتداء الشبيه بالظلمة **(فـأجلى)** أى فبسبب ظهوره انكشف **(الظلام)** أى ظلام الجهـل والكفـر والبعـد وظلام النفوس والأهواء وغير ذلك، وهو ظاهر فى حقه تعالى، وكذا فى حقه ﷺ، فإن الارض كانت قبل ظهوره ﷺ فى ظلمة، ولم يكن هناك من يوحد الله تعالى توحيداً ينجى من عذاب الله تعالى، فكانت الناس فى هرج ومرج وضيق وحرج سيما العرب، فإنهم كانوا يمصـون النـوى مـن

الجوع، ويأكلون الجلود والميتة، ويعبدون الشجر والحجر. مشتتة آراؤهم متفرقة أهواؤهم، لا يتدينون بدين ولا ينقادون لملك، فجاءهم الله برسوله ﷺ من أنفسهم فصلح به شأنهم وحالهم، واستقام دينهم، ولـذا كـان مـن أسمائه ﷺ عز العرب **(وذاك النور)** أى الإلهى الرافع للستور **(ما خلفه)** أى ما وراءه **(مرمى)** بميمين مفتوحتين بينهما راء مهلمة وهو مقصـور مفعل من الرمى أى مقصداً ومطلباً، قال فى "المشارق": وليس وراء الله مرمى أى مطلب لطالب، أى فليس وراء معرفته ولا الإيمان به ملـتمس ولا غاية يرمى إليها اهـ، والمرمى: الغرض الذى يرمى به وإليه ينتهى سهم الرامى، وبه يحوز السبق كما إلى الله تعالى انتهت العقول ووقفـت ويحتمل أن المراد به نور محمد ﷺ؛ فإن ذلك النور ما فوقه نور يقصـد إلا الواحد القهار، إذ هو نور الأنوار، إذ ليس فوقه عليه الصلاة والسلام واسطة بل هو واسطة الوسايط، ولا فوق مقامه مقام يصـل إليـه أحـد فينبغى التوسل به فى كل شدة، وذكر بعض العارفين أن هـذين البيتـين ينشدان لكشف كل شدة وهما:

اليك رسـول الله أشـكو نوائبـا من الدهر لا يقوى لها المحتمـل

وانى لأرجو أنهـا بـك تنجلـى فإنك لى جـاه وحصـن ومعقـل

ولما كان اكتساب المقامات لا يكون إلا بتوفيق من نور الحضـرة العلية بواسطة النور المحمدى ناسب أن يذكرها عقب ذلك متوسـلاً بهـا بقوله: **(بسر مقامات)** جمع مقام كحمام وحمامات فيجمع بالألف والتـاء وإن كان مذكراً، قال سيدى عبد الكريم الجيلى فى بعض كتبه: اعلـم - وفقك الله تعالى - أن للطائفة اختلافا كثيراً فى تعريف الحـال والمقـام فمنهم من ذهب إلى أن الحال متى دام لشخص صار مقاماً، ومنهم مـن

ينفى دوام الحال ويقول إنه لا دوام له، والمقام عنده بعكسه وهو ما لا يفارق الشخص كالتوبة والتوكل والزهد وأمثال ذلك، قال المصنف فى شرحه الأوسط: وهذا هو المختار فإن الشخص إذا ارتقى من مقام التوبة فإنها لا تفارقه بخلاف الأحوال فإن الشخص إذا ارتقى من موطن لابسه فيه حال فارق ذلك وفارقه الحال عند ترقيه من الموطن، فعلى هذا التعريف فالمقام ما يلزم ثبوته للعبد والحال مالا يدوم زمانين اهـ باختصار، وسمعت من أستاذى السيد محمد السباعى أنه قال: رأيت للوالد أعنى السيد صالحاً السباعى بخطه عن شيخه أبى البركات الدردير – رضى الله تعالى عنهم أجمعين وعن بقية عباد الله الصالحين – قال العارفون: عدة المقامات مائتا ألف وسبعة وأربعون ألفاً وتسعة وتسعون مقاماً من جاوزها كان هو الرجل الكامل، وإلا كان رجلا صالحاً ولو بلغ مهما بلغ ولا يظن أن الارض لا تأكله بخلاف الأول، وهو الذى يشير إليه قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر:٢٨]، ولا تعدو عليه الأرض وهو ما اشتمل عليه قوله:

لاتأكل الأرض جسما للنبى ولا لعالم وشهيد قتل معترك

إلخ اهـ، (تجل) تلك المقامات أى تعظم فى نفسها أو فى نفس السامع لها لفرط أنسها، قال فى "تهذيب الصحاح": وقد جل فلان يجل بالكسر جلالة أى عظم قدره فهو جليل اهـ، **(لعظمها)** اللام للتعليل أى لكبرها ورفعة قدرها **(عن الوصف)** أى عن النعت؛ فإن ناعتها بل ناعت مقام منها لا يمكنه استيعاب ما فيه على وجه الإحاطة والشمول، فإن مقام الزهد مثلا يصدق على ترك الدنيا ومألوفاتها والآخرة ولذاتها وعلى ترك السوى من معارف وأسرار وأحوال وغير ذلك، ويختلف ذلك بحسب السالك فيه قوةً وضعفاً، وله بداية ووسط ونهاية، فلذا علل ذلك بقوله: **(إذ**

فى وصفها) أى المقامات **(حير)** أى الحق سبحانه وتعالى، وهذا من باب الالتفات من الخطاب للغيبة، قال فى "القاموس": حار يحار حيرة وحيرا وحيرا وحيرانا وتحير واستحار: نظر إلى الشىء فغشى عليه ولم يهتد لسبيله فهو حيران وحائر، وهى حيرى وهم حيارى ويضم اهـ، **(الفهما)** مفعول حير والألف للإطلاق، أى: غشى الله تعالى على فهم من يريد أن يعرفها معرفة تامة لما أودعه فيها من العظم والكبر والأذواق المختلفة نعم قد يطلع الله بعض أصحاب الدوائر الكبرى على ذلك بطريق الكشف بأن يتجلى الله عليهم بصفة العلم فيدركوا جميع الأشياء، ولما كان من تمكن فى مقام من المقامات خليلاً جليلاً ناسب أن يقول: **(بكل خليل)** أى بكل من اتصف بوصف الخلة، أى: بحق وبحرمة كل خليل، فالباء للقسم وكل لاستغراق الأفراد والأجزاء، وسبق الكلام على "كل" أوائل التوسلات وخليل زنة فعيل ووقع هنا نكرة موصوفة كجليل الآتى بعده فيدخل العموم تحتها، والخليل هو من أصفى المودة وقصر حاجته على مولاه فى كل شدة **(قد)** للتحقيق **(خلا)** أى فرغ قلباً وقالباً **(عن شوائب)** جمع وهى الأقذار والأدناس النفسانية وبخلوه عنها يحصل له الارتقاء فى منازل القرب **(وكل جليل)** معطوف على قوله خليل، والجليل العظيم، أى وأسألك بكل عظيم له حرمة عندك **(قد جلا)** أى أذهب وكشف **(نوره)** أى نور إيمانه وعرفانه وطاعته، فقد نقل المرسى عن شيخه الشاذلى – قدس سرهما – أنه قال: لو كشف للناس عن نور المؤمن العاصى لطبق ما بين السماء والأرض فكيف بالطائع؟ اهـ، وكان سيدى داود بن باخلا يقول: لو كشف للعبد المؤمن أو العارف على ما فى طى قلبه لأشرقت منه الأكوان اهـ، **(الظلما)** بفتح الظاء: ذهاب النور أى عن أهل عصره وزمانه بأنوار تفاض عليه من دنانه على جنانه، ثم يترشح منه أهل أوانه

بل ربما عمتِ الكون، ولذا قال بعض العارفين: لو تنفس العارف فى بلدة ثبت إيمان كل عبد فيها وهذا من ظهور نور العارف فى الإنسان اهـ وقال بعض العارفين: إن الولى إذا دخل مكاناً أو مشى فيه تبقى فيه الروحانية ستة أشهر كما يشهده أرباب القلوب، فكيف بمكان يسكنه؟ وهذا على العكس من بيوت الظلمة والعصاة فإنك تجدها موحشة لا أنس بها ولا روحانية. انتهى.

(ويحكى) أنه يوجد فى بيت الجنيد البغدادى – رضى الله تعالى عنه – أنس عظيم يشاهده أرباب، القلوب، ونقل عن العارف الشرقاوى – قدس سره – فى شرحه لهذا الورد أنه قال: إنى أدركت الروحانية بدار شيخنا الحفنى بمصر بعد انتقاله مدة طويلة – رضى الله عنه ونفعنا به آمين – ثم اعلم أن فى البيت الجِنَاس المصحَّف بين خليل وجليل وخلا وجلا، وجناس التضاد بين الظلام والنور، ولما توسل المصنف بالأخلاء والأجلاء وهم عرشيون علويون فى الأسرار والأرواح فرشيون فى الأشباح ناسب ذكر العرش والفرش وما علا وقلب المحقق الذى هو كالعرش فى كونه محلاً لفيوضات الله تعالى فقال: **(بعرش)** قد استوى عليه اسمك الرحمن **(بفرش)** قال فى "القاموس": والفرش: المفروش من متاع البيت والفضاء الواسع اهـ، والمراد به هنا: الأرض، قال تعالى: **﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾** [الذاريات:٤٨] **(بالسموات)** جمع سماء وهو الجرم المعهود، ويطلق لغة على كل ما ارتفع، وهى أفضل من الأرض عند الجمهور، والأرض أفضل عند الأكثرين، لكن هذا الخلاف يجرى فى غير البقعة التى ضمت أعضاء المصطفى ﷺ فإنها أفضل من السموات والأرض حتى من العرش والكرسى كما عليه المعول، وأصل طينته عليه الصلاة والسلام التى تكون منها جسده

الشريف من مكة من موضع البيت الحرام أتى بها إلى البقعة التى ضمت أعضاءه ﷺ فقد شرفت وعلت وغلت على ما عداه **(بالعلا)** جمع عليا مقابلة سفلى، من العلو وهو الارتفاع، ثم يراد بذلك كل ما ارتفع من الفلكيات، فهو مرادف لما قبله، ويحتمل أنه توسل بسكانها من الملائكة **(بما)** أى وأسألك بالذى **(قد حوى)** أى جمع وأحرز **(قلب المحقق)** أى فؤاد صاحب التحقيق، وهو الذى يحقق المسألة بدليلها والمدقق به وبأدلة أخر، والمراد به هنا كل من قام به هذا الوصف حتى قيل فيه محقق فتكون "ال" فيه للاستغراق، ويصح أن تكون للجنس أو للعهد، ويخص بأكمل واف بالعهد **(من رحمى)** مؤنث رحم بالضم وهو الرحمة؛ إذ هو المتخلق بأخلاق الله، وأول ما يتخلق المحقق بالرحمة يرحم نفسه فيأخذ بزمامها إلى المراضى ويردها إلى الحق ثم يرحم قلبه بالورود، وروحه بالصعود إلى مراقى الجود، وسره بالشهود للورود، ثم يعم بقية ذاته وسائر صفاته، ثم يترقى فيرحم أهله وجيرانه، ثم يعم زمانه وأوانه ولايتحقق بهذه الرحمة العامة إلا من شرب من بحر الرحمة؛ فإن من شرب منه عم جميع الأكوان رحمة، فيكون وارثا فى ذلك له ﷺ لأنه عين الرحمة المستمد منها جميع الكائنات، ولذا كان من أسمائه ﷺ: رؤف رحيم ورسول الرحمة، ومفتاح الرحمة، قاله المصنف **(بأسرارك اللاتى)** اسم موصول يؤتى به لجمع المؤنث عاقلاً أو غير عاقل، وربما حذفت منه الياء فيقال اللات، والأسرار جمع سر، ومر الكلام عليها **(سترت جمالها)** أى أخفيته عن غير أهله فلم يصلوا إليه، فينبغى للعارف الذى أطلعه الله على شىء منها ألا يذيعها لغير أهلها لقصورهم عن إدراك ذلك، بل ينبغى له التنزل لعقولهم والتكلم معهم بالنقول الصحيحة خوفاً عليهم من الوقوع فى الاعتراض والتكذيب، وإذا كتم العارف أسراره

تشعشع نورها فعمر قلبه بخلاف ما إذا خرج منها شىء فإنه يبقى محلــه فارغاً، قال سيدى محيى الدين: من كتم من العارفين سره اتخذه الله أميناً اهـ، **(فلم يرها)** أى فلم يشهد الأسرار على الكمال ويســعد بمواصـــلة الأبكار **(إلا فتى)** هو فى اللغة: الشاب السخى الكريم واصطلاحاً: من آثر أمر ربه على هوى نفسه، وقد سمى الله أصحاب الكهف فتية لأنهم آمنوا بالله بلا واسطة فآثروا توحيد مولاهم على هواهم، ولذا أكرمــوا بنومــة راحة بعدها قومة، أى لأنهم يقومون مع المهدى ويكونون مع عيسى عليه السلام ويصاحبهم فى ذلك عصابة من المحمديين، وقد سمى الله أيضا من كسر الأصنام فتى، فقال تعالى: **﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْــرَاهِيمُ﴾** [الأنبياء:٦٠]، عليه السلام، أى فكل من خالف هواه فهو فتى على الحقيقة وفتى فاعل يرى **(فى الهوى)** بالقصر وهو العشق، والجار والمجـــرور متعلق بقوله: **(تما)** أى كمل، والألف للإطلاق، ولما توســـل بالأســـرار الباطنية المستورة التى أفاضها الله على العارفين بواسطته ﷺ ناســـب أن يتوسل بالبدر الأعظم الذى هو محمد ﷺ فقال: **(ببدر)** قال فى "القاموس": البدر: القمر الممتلئ، ثم قال: وجمعه بدور وبدر، والمراد به هنا محمـــد ﷺ؛ لأن البدر مكتسب من نوره الحسى، وهو النور السارى فى الحقـــائق النوارنية والمخلص من الأجسام الظلمانية؛ إذ هو كله نور، ولذا لم يوجد له ظل على الأرض؛ لأن النور لا ظل له، ومثلـــه ســـائر الروحانيـــات كالملائكة، وأشار البوصيرى لذلك بقوله:

فإذا ما مشى محا نوره الظل وقد يثبت الظلال الضحاء

وقال السبكى فى تائيته التى نظم فيها المعجزات:

لقد نزه الرحمن ظلك أن يــرى على الأرض يلقى فانطوى بمزية

وأثر فى الأحجار مشيك ثم لــم يؤثر برمل حـــل ببطحـــاء مكـــة

قال شارحها: قيل: إنه عليه الصلاة والسلام كان لا يقع ظله على الأرض لأنه نور روحانى اهـ، وإنما شبهه بالبدر دون الشمس لأن البدر يؤنس من شاهده، ونوره من غير حر يفزع، ويتمكن الناظر من النظر إليه، بخلاف الشمس فإنها تعشى البصر وتجلب للناظر الضرر وشبهه بذلك مع أن نوره ﷺ أتم منه لأن التشبيهات تجرى على متعارف الناس، والمتعارف عند الناس أن البدر أكثر ضياء من نور البشر وإن كان نور البدر فى الحقيقة مكتسبا من نوره ﷺ **(أتى)** أى جاء من عند الله تعالى، قال تعالى: **﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ﴾** [المائدة:١٥]، وقال تعالى: **﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾** [التوبة:١٢٨]، **(يهدى)** أى يرشد ويدعو إلى الحق على بصيرة **(الأنام)** أى الخلق أو الجن والإنس أو ما فى الأرض اهـ، قاله فى "القاموس" **(لحيكم)** أى لنزول كرامتكم ودار سعادتكم وسلامتكم، والميم للتعظيم **(فكم)** الفاء للتفريغ، وكم للتكثير **(فاز)** أى ظفر **(بالخيرات)** جمع خيرة وهى الفاضلة من كل شيء، قال تعالى: **﴿وَأُولَـئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾** [التوبة:٨٨]، قال القاضى البيضاوى: منافع الدارين: النصر والغنيمة فى الدنيا، والجنة والكرامة فى الآخرة **(من)** أى الذى **(ركبه)** أى ركب ذلك البدر المنير البشير النذير وهى شيعته وأنصاره الوارثون لأحواله سيما الأربعة الخلفاء **(أمّا)** أى قصد، والألف للإطلاق، أى فإن مَنْ قَصَدَهُ فقد أتى البيوت من الأبواب، ومن أتى دخل ومن دخل فى الدار حصل، ومن حصل وصل، ومن وصل اتصل، ومن اتصل تأصل، ومن تأصل ارتقى، ومن ارتقى استقى وتلقى، كيف لا وطاعة هذا البدر طاعة لله تعالى، ومحبته محبة لله تعالى، ومبايعته مبايعة لله تعالى لرفعة قدره عند الله تعالى؟ اهـ، قاله المصنف، فهنيئاً

لمن هداه الله بالهدى، وأسداه مناه على يدى ماحى الردى، نفعنا الله بـــه وجعلنا متبعين لسنته وتوفانا على ملته بجاهه ﷺ **(بأهل الفنا)** أى وأتوسل إليك بسر أهل الفناء عليك الذين فنيت أفعالهم بشـــهود أفعـــال الحـــق وأوصافهم بتجلى أوصافه ووجودهم بتجلى وجـــوده علـــيهم، وتحققـــوا بالذهول والذهاب وسلب الصـــفات والاكتســـاب، واصـــطلوا وانعـــدموا وانسحقوا وانمحقوا وطمسوا وما صحوا وغمسوا فى بحر المحو وعـــنهم انمحوا وأبقوا بعد الفناء بمولاهم فأدركوا وصف الفناء بمن أغناهم، قالـــه المصنف، ثم اعلم أن الفناء على تسع مراتب، لكل مرتبـــة منهـــا اســـم مخصوص، المرتبة الأولى: الذهول، وهو عبارة عن عدم شعور العبـــد بنفسه عند الاستغراق فى ذكر الحق لأهل الحجاب أو عند بروز أنـــوار الجمال لأهل الكشف المرتبة الثانية: الذهاب، وهو عبارة عن فناء العبـــد عن أفعاله فى سيره وذهابه فى الحق، فتكون أفعاله جميعهـــا أفعـــال الله ويكون العبد فى هذه المرتبة مثاله كمثل القلم بيد الكاتب تقلبه الأصـــابع كيف شاءت فى اليد فالكتابة وإن كانت صادرة عن القلم إنما هـــى فعـــل الكاتب لافعل القلم وهذا معنى الذهاب؛ لأن العبد ذهب عن فعله لشـــهود فعل الله به، المرتبة الثالثة: السلب، وهو عبارة عن فناء صفات الخلـــق بظهور صفات الحق فتسلب فى هذا المشهد جميع أوصاف العبد وتكـــون صفات الله تعالى عوضاً عنها، فيكون سمعه وبصـــره وعلمـــه وحياتـــه وقدرته وإرادته لله ويكون العبد نسبته نسبة المرآة ينسب إليها ما ظهـــر من حسن الصورة فيها، بل الحسن والجمال للصورة المتجلية فى المـــرآة فتكون تلك الصفات الظاهرة فى العبد منسوبة إلـــى الله تعـــالى إذ هـــو المتجلى بصفاته فى مرآة الكون، فالعبد فى هذه المرتبة مرآة ظهر الحق فيها بصفاته، فالصفات صفات الله تعالى والعبد مجلى ظهورها، المرتبـــة

الرابعة: الاصطلام وهو عبارة عن فناء العبد فى ذاته لوجود ذات الحق فينتقل العبد عن حكم الوجود فلا يكون له وجود، بل الوجود لله والعـدم للعبد، فلا يخطر بباله أنه موجود بحال لعلمه بعدمه ذاتاً وصفات، المرتبة الخامسة: الانعدام، وهو عبارة عن فناء العبد عن فنائه فلا يبقـى عنـده شعور بأنه فان، بل تفنى عنده جميع صفاته وأحكامه وذاته وبقياته، فـلا يبقى عنده عندية، فيتحقق بمقام الانعدام، واعلم أنه لا يلزم مـن تحققـه بالانعدام ألا يبقى فيه أحكام البشرية، بل يجوز أن يتحقق بمقام الانعـدام وفيه البقايا؛ لأن هذا التحقق إنما هو من حيث علمه وعنديته لا من حيث ما هو عليه فى الظاهر؛ لأن جسمانيته باقية علـى حالهـا، وإنمـا هـو محجوب بالله عن البشرية وأحكامها، والذى تزول عنه البشـرية بسـائر أحكامها إنما هو فى مقام الطمس والمحو، وسيأتى بيانهما فى هذا المحل إن شاء الله تعالى المرتبة السادسة: السحق، وهو عبارة عن زوال الحس من نفس العبد فيقبل الأوصاف الإلهية من غير تعقل ولا استحضار، بـل يقبل صفات الحق كما يقبل صفات نفسه لا يبقى عنده بينهما فرق، وهذه المرتبة من أول مقامات التحقيق فيه يلحق العبد بالله، أى من حيث تجليه عليه وتوليه وتقريبه إليه، وهو مقام عزيز لأن القلـوب مجبولـة علـى الأوصاف الخلقية من العجز والذل والحقارة وأمثال ذلك مما هـو طبـع البشر، المرتبة السابعة: المحق، وهو عبارة عن زوال الحد والحصر من جسمانية العبد وروحانيته معاً، فإن اليد مثلاً ليس فى جبلتها الطبيعـى أن يكون فيها قوة المشى على الهواء على أن القابلية الإنسانية فيهـا جميـع ذلك وإنما تقييد النفس بالعادات منعها عن ذلـك وحصـرها علـى حـد لاتتعداه الجوارح، فإذا زال الحصر عن الجارحة ظاهراً وعـن الـنفس باطناً فقد محق هذا العبد وتحقق بهذه المرتبة الشريفة ومنها ينتقـل إلـى

مقام الطمس، المرتبة الثامنة: الطمس، وهو عبارة عن ذهاب أحكام البشرية مطلقاً من طبعه وعاداته وظاهره وباطنه فلا يضره الجوع المفرط ولا السهر الدائم ولا الزلازل العظام بحيث ألا تدعوه نفسه في ذلك، فإذا سهر لا تدعوه نفسه إلى نوم، وإذا جاع لا تدعوه نفسه إلى أكل، وكذلك في سائر أحواله وأموره العادية والطبيعية مع زوال الحصر عنه كما سبق في المرتبة الأولى التي هي قبل هذه المرتبة، والفرق بين المحق والطمس أن الممحوق ولو زالت عنه أحكام الحد والحصر المتعلقين بالأجسام فإنه لا يشترط فيه أن تزول عنه أحكام البشرية والمطموس شرطه أن يزول عنه أحكامها، المرتبة التاسعة: المحو، وهو كمال الغنى لزوال سائر الآثار الخلقية بظهور الآثار الحقية؛ فإن المحو شرطه ظهور آثار الحق على هيكل الانسان لأنها - أعنى آثار الحق - لا يمتنع ظهورها على جوارح العبد إلا لوجود بقية فيه، وعلامة زوالها ظهور أمر الحق على جميع الجوارح، واعلم أن هذه المراتب الأربعة التي هي السحق والمحق والطمس والمحو مخصوصة بأهل مقام الفناء لأن الباقي بصفة من صفات الله تعالى لا يظهر عليه أثرها إلا بعد التحقق بمقام المحو وهو غاية الفناء من الكيفيات والحد والحصر الخلقي وأما قبل التحقق بهذا المقام فلا تظهر الآثار كلها على جوارحه بحكم الاختيار ولو كان في مقام البقاء وهذا لايعرف طريق العقل والفكر والله أعلم **(والسكر)** أي أتوسل اليك بأهل السكر الذين غيبهم الوارد القوى عن سلوك طريق الصحو **(والصحو)** أي وأسألك بأهل الصحو الذين رجعوا للإحساس بعد الغيبة وهو فوق السكر، فإنه مقدمته، فالسكر لأهل البداية والصحو لأهل النهاية، والصاحي ينكر على السكران ما يبديه من الشطحات ويقبل إنكاره عليه لذوقه مقامه، ومن السكارى من سكر شهراً

وصحا دهرا ومنهم من سكر أياماً ولا يفيق أعواما، ومنهم من سكر مدة عمره الطويل ولا يفيق إلا قبل موته بقليل، ومنهم من سكر ولا يدرى بسكره وغيبته ويظن أنه صاح، ومنهم من يكون سكران صاحياً، ومنهم من شرب كأس خمر الحب فلا يصحو من سكرته إلى يوم القيامة كما وقع لمعروف الكرخى أنه رآه السرى السقطى فى المنام كأنه تحت العرش يقول الله تعالى لملائكته: من هذا؟ فيقولون: أنت أعْلم يا ربنا فيقول: هذا معروف الكرخى سكر من حبى فلا يفيق إلا بلقائى، والصحو على كلٍ أفضل لأنه لأهل النهاية والسكر لأهل البداية كما علمت؛ لأن فيه شطحاً، والشطح نقص فى الإنسان وجهل بالله وبنفسه وقد وقع من رعاع الناس ولا كمال معهم، فالكامل هو الذى يحمى نفسه بأن يقف عند الأمر والنهى ويترقب الموت ويلزم الصمت إلا عند ذكر الله تعالى، فمن فعل ذلك سلم من الشر وأعطى كل ذى حق حقه **(والبقا)** أى أسألك بأهل البقاء، وهو فى الاصطلاح: رؤية العبد قيام الله تعالى على كل شىء **(بكل محب)** أى وأسألك بكل من قام به وصف المحبة، قال الجيلى - قدس سره -: المحبة هى نار تتقدح على ميل القلب إلى محبوبه فتحرق ما سواه فلا يبقى لغير المحبوب فى القلب وجود اهـ، **(فى محبتكم)** الجمع للتعظيم **(همنا)** أى عقد قلبه عليها، ولما ذكر المصنف أهل الفناء ومن بعدهم وهم من جملة أهل الإرادة عطف عليهم كل مريد عطف عام على خاص بقوله: **(بكل مريد)** وهو من قام به وصف الإرادة أى الميل إلى شىء من الأشياء، والمراد به هنا: من انقطع إلى الله تعالى بقرينة الوصف بقوله: **(طلب لجنابكم)** قال تعالى: **﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾** [الأنعام:٥٢] واعلم أن المريد له

آداب مع شيخه ونفسه وإخوانه والعامة، قال القطب الدردير - رضى الله تعالى عنه - فى رسالته "تحفة الإخوان" فالآداب التى تطلب من المريد فى نفسه أن يكون مشغولاً بالله، زاهداً فيما سوى الله تعالى، يحب ما يحبه الله، ويكره كل ما نهى عنه مولاه، غاضاً طرفه عن المحارم كريماً سخياً، ليس للدنيا عنده قيمة، تاركاً لفضول الحلال كالتوسعة فى الأكل والشرب والملبس والمنكح والمركب، مقتصراً على قدر الكفاية؛ إذ المسافر لا يشتغل بسوى الضرورات، مديم الطهارة ولا ينام على جنابة ولا يفضى بيده إلى عورته إلا فى ضرورة الاستنجاء أو غسل، ولا يكشف عورته ولو بخلوة فى ظلام، ولا يطمع فيما فى أيدى الناس، يفرح لإعراضهم عنه أكثر من إقبالهم عليه، يحاسب نفسه على الدوام، يداوم على ذكر الله جهراً وسراً، ولابد له من مجلس لنفسه يذكر الاسم الذى تلقنه عن شيخه ويكون ذكره بهمة ونشاط، يوبخ نفسه ويحثها على السير كلما وقفت، لا يأكل إلا الحلال وهو ما جهل أصله لأنه منشأ كل خير بخلاف الحرام فإنه لا ينشأ عنه إلا المعاصى واسوداد القلب، وأكل الشبهات لا ينشأ عنه إلا الأفعال المشوبة بالرياء والكبر، يكابد نفسه عن النظر إلى الصور الجميلة من النساء والأحداث، وكل ذلك قاطع عن الله تعالى يسد باب الفتح - أجارنا الله من ارتكابها - ومنها أن يأخذ بالأحوط فى العبادة لا ينظر بذكره وعبادته ثواباً ولا فتحاً وإنما يعبد الله لله متواضعاً نظيفاً فى ظاهره وباطنه، صابرا شاكرا عابدا ناسكا، لا يشتغل إلا بأوراد الطريق أو ما أذن له فيه الشيخ خائفاً من الله راجياً عفوه، ولا يرى لذكره وجوداً، بل يرى أنه يستحق العقاب لولا فضل الله عليه، وأما الآداب التى تطلب من المريد فى حق شيخه فأوجبها تعظيمه وتوقيره ظاهراً وباطناً وعدم الاعتراض عليه فى شىء فعله ولو كان ظاهره أنه

حرام ويؤول ما انبهم عليه، وتقديمه على غيره، وعدم الالتجاء إلى غيره من الصالحين فلا يزور ولياً من أهل العصر ولا صالحاً إلا بإذنـــه، ولا يحضر مجلس غيره ولا يسمع من سواه حتى يسقى مـــن ســـر شـــيخه وخطابى بهذا للصادقين المجدين لا كل من تلقـــن عليـــه الـــذكر لقصـــد التبرك، ومنها أن لا يقعد وشيخه واقف، ولا ينام بحضرته إلا بإذنه فـــى محل الضرورات ككونه معه فى مكـــان، ومنهـــا أن لا يكثـــر الكـــلام بحضرته، ولا يجلس على سجادته ولا يسبح بســـبحته ولا يجلـــس فـــى المكان المعد له، ولا يلح عليه فى أمر ولا يسافر ولا يتـــزوج ولا يفعـــل فعلاً من الأمور المهمة إلا بإذنه، ولا يمسك يده للسلام مثلا ويده مشغولة بشىء كقلم أو أكل أو شرب، بل يسلم بلسانه وينظر بعد ذلك ما يأمره به من جلوس أو غيره، وأن لا يمشى أمامه ولا يساويه فى مشى إلا فى ليل مظلم ليكون مشيه أمامه صوناً له عن مصادفة شىء من نجاسة وغيرها ولا يذكره بخير عند أعدائه خوفا من أن يكون ذلك وسيلة لقـــدحهم فيـــه ومنها أن يحفظه فى غيبته كحفظه فى حضوره، وأن يلاحظه بقلبه فـــى جميع أحواله سفراً أو حضراً لتعمه بركته، ومنها أن لا يعاشر من كـــان الشيخ يكرهه أو من طرده الشيخ عنه، وبالجملة يجب علـــى المريـــد أن يحب من يحبه شيخه ويكره من يكرهه شيخه، لكن لا كراهـــة ذات بـــل كراهة فعل، ومنها أن يرى كل بركة حصلت لـــه مـــن بركـــات الـــدنيا والآخرة فببركة شيخه، ومنها أن يصبر على جفوته وإعراضه عنـــه ولا يقول لم فعل بفلان كذا ولم يفعل بى وإن لم يكن مسلماً له قياده لأنها من أعظم الشروط، أخاطب بذلك أهل الله الصادقين، ومنها أن يحمل كلامـــه على ظاهره فيتمثله إلا لقرينة صارفة عن إرادة الظاهر، فإذا قال: اقـــرأ كذا أو صلّ كذا أو صم كذا وجب عليه المبادرة، وكذا إذا قال وهو صائم

أفطر وجب عليه الفطر إن كان نفلا، وكذا إذا قال: لا تصل - أى نفلا - واعلم أن الشيخ العارف ربما باسط تلامذته وخفف عليهم العبادة، فإذا شم منهم رائحة الصدق والاجتهاد ربما شدد عليهم وأعرض عنهم وأظهر لهم الجفوة لتموت أنفسهم عن الشهوات وتفنى فى حب الله تعالى، وربما اختبرهم هل يصدقون معه أو لا، ومنها ملازمة الورد الذى رتبه فمن تخلف عنه من غير عذر يبيح له ذلك فقد حُرِمَ المدد، وهيهات أن يصح فى الطريق، ومنها ألا يتجسس على أحوال الشيخ من عبادة أو عادة؛ فإن فى ذلك هلاكه - والله أعلم - وأن لا يدخل عليه خلوة إلا بإذنه، ولا يرفع الستارة التى فيها الشيخ إلا بإذنه وإلا هلك كما وقع لكثير، ولا يزوره إلا وهو على طهارة؛ لأن حضرة الشيخ حضرة الله تعالى، وأن يحسن به الظن فى كل حال، وأن يقدم محبته على محبة غيره ما عدا الله ورسوله، فإنها المقصودة بالذات، ومحبة الشيخ وسيلة لهما، وأن لا يكلفه شيئاً حتى لو قدم من سفر لكان هو الذى يسعى ليسلم على الشيخ ولا ينتظر أن الشيخ يأتيه للسلام عليه، وفى هذا القدر كفاية والموفق يقيس مالم يُقل على ما قيل، وأما الآداب التى عليه فى حق إخوانه فأن يكون محباً لهم صغيرهم وكبيرهم، وتقدم الحث على ذلك فى الخطبة اهـ فانظر يا أخى فى نفسك إن كنت متصفاً بالآداب المتقدم ذكرها فأنت مريد وإلا فلا يصح لك دعوى الإرادة، وقد كثرت الدعوى فى هذا الزمان وكثرت المشيخة أيضاً مع احتياجهم للمربى وانتهكوا حرمة الطريق وتكلموا بما يوهم الناس أنهم من أهلها والجهال أنهم بطالون يملئون بطنهم من الطعام سواء كان من حلال أو حرام وليهم من المنام ويزعمون أنهم على شىء، وقد أشار إلى ذلك سيدى عمر بن الفارض بقوله:

رضوا بالأمانى وابتلوا بحظوظهـم وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلوا
فهم فى السرى لم يبرحوا عن مكانهم وما ظعنوا فى السير عنه وقد كـلوا

أى بل تأخروا ورجعوا القهقرى لأنهم اتبعوا الهـوى والشـيطان كما قال أيضا ابن الفارض المذكور :

وعن مذهبى لما استحبوا العمى على الـ ـهدى حسدا من عند أنفسهم ضلوا

وكلامنا هذا فى الفرق الخارجة عن السنة المحمدية لا المتبعـين لها، فإنه يجب اتباعهم والعمل بعملهم، وبالجملة فالشيخ الذى يدل علـى الله يجب أن يكون قد سلك على طريقة شيخ من مشايخ الطريق وتعـب فيها وجاهد نفسه حتى تهذبت وزالت عنها الرعونات البشرية وسلم مـن العقائد الزائغة، وإلا فيجب اجتنابه، فينبغى لمن تشوقت نفسه إلى سـلوك طريق التجريد حتى يستغرق فى بحار التوحيد أن يلازم التقوى والالتجاء إلى الله والتوسل إليه برسوله الكريم ﷺ فى أن يجمعه على شيخ عـارف يدله على الله ويصافيه ويسقيه من خمر المحبة، فإذا اجتمعتَ به فشدَّ يدك عليه وكن كالميت بين يديه وقل: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّـهِ الَّـذِي هَـدَانَا لِهَـذَا**﴾ [الأعراف:٤٣]، ثم خذ فى الجد والابتهال وجد بنفسك لا بالمال كما قـال سلطان العاشقين ابن الفارض:

فمن لم يجد فى حب نعم بنفسـه ولو جاء بالدنيا إليه انتهى البخل

وإن أفصحنا عن المفاسد الواقعة الآن خرجنـا عـن الاختصـار ويطول علينا الحال والأمر لله إنا لله وإنا إليه راجعون، ولنرجع لما نحن فيه فنقول: قال المصنف: **(فلم يعرف الأحزان)** جمع حزن ضد السـرور **(فيكم)** أى بسبب غيبته بأنوار محبتكم وفنائه فى جمال حضـرة عـزكم وهذا حال أهل البداية، وأما أهل التوسط والكمال فيعرفون ذلـك، قـال القشيرى – رحمه الله تعالى –: الحزن يقبض القلب عن التفريـق فـى

أودية الغفلة، والحزن من أوصاف أهل السلوك ،سمعت الأستاذ أبا علـــى الدقاق – رحمه الله تعالى – يقول: صاحب الحزن يقطع من طريـــق الله تعالى فى شهر مالا يقطعه من فقد حزنه فى سنين، وفى الخبـــر: إن الله يحب كل قلب حزين، وفى التوراة: إذا أحب الله عبداً نصب فـــى قلبـــه نائحة وإذا أبغض الله تعالى عبداً جعل فى قلبه مزماراً، وروى أنـــه ﷺ كان متواصل الأحزان، لكن الكامل من أهل الله تعالى هو الـــذى يـــوفى المقام حقه، فإن علم أن مراد الله تعالى منه البكا بكى، وإن علم أن مراده الضحك ضحك، ولهذا كان ﷺ مع كونه متواصل الأحزان يضحك أحياناً حتى تبدو نواجذه، بل الغالب على بعض أهل الله الانبساط مع ملازمـــة الأدب اهـ، **(ولا)** يعرف هذا المريد أيضاً **(الهما)** قيـــل: هـــو مـــرادف للحزن على معنى واحد، وقيل: بينهما فرق، فالهم يكون فى أمر متوقـــع والحزن فيما وقع، أى فالحزن على الماضى والهم على المستقبل، وفـــى الحديث: **«اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن»**، فإن قلت: كيف استعاذ من ذلك ﷺ مع أنه كان متواصل الأحزان وهو عين الكمال فى حقـــه ﷺ لأنه من نتائج العجز وهو صفة العبـــد؟ قلـــت: اســـتعاذ مـــن رؤيتهمـــا والاشتغال بهما، أو استعاذ من هم وحزن يكونان فى أمر الـــدنيا حتـــى يصرفان القلب عن النظر إلى العقبى، ولما توسل بمن ذكر فى تحصـــيل مطالبه العلية وخشى عدم إنجازها له هاجت عنده حرارة فى فؤاده فقال: **(دعوناك)** أى سألناك سؤال موقن بالإجابة **(والأحشاء)** مبتدأ وهـــى مـــا انضمت عليه الضلوع، والخبر جملة قوله: **(يبدو)** بدون همزة أى يظهر **(زفيرها)** أى تنفسها المتصعد من تأجج نيران الشوق، والجملة الاســـمية فى موضع الحال وكذا ما عطف عليها وهو قوله: **(وعيناى)** إلى آخـــره وهو مبتدأ مرفوع بالألف مثنى عين، وجمعها أعيـــان وأعـــين وعيـــون

وتأتى لمعان كثيرة، والمراد بها هنا الباصـــرة، واليـــاء للمـــتكلم وهـــى معطوفة على الأحشاء، والخبر جملة قوله: **(جادا)** أى سمحا وهو فعــل ماض والألف علامة التثنية، وقوله: **(فى دموع)** متعلق بـــه أى بـــدموع جمع دمع وهو كما فى "القاموس" ماء العين من حزن أو سرور، وجمعه دموع، والدمعة القطرة اهـ، لكن فرق بعضهم بينهما بأن دمعة الحـــزن حارة، ودمعة السرور باردة، والبكاء قد يكون عن الحب وتُطلب القــرب وقد يكون عن خشية الله تعالى والخوف منه بسبب ما فرط من الـــذنوب وفى الحديث: «**لا يلج أحد فى النار بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن فى الضرع**» وقال ﷺ: «**ما من قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله**»، **(كما الدما)** الكاف للتشبيه وما زائدة والدما جمع دم وأصله دمى بالسكون، وقيل بالتحريـــك، حـــذفت منـــه اليـــاء اعتباطـــاً وتصغيره دمى وتثنيته دمان ودميان، وقد أكثر الشعراء من ذكر الـــدماء بدل الدموع للمبالغة، فإن الدموع إذا انعقدت سال الجفن بالـــدماء، فـــإن قلت: إذا لم يكن حال التالى لهذا البيت كما ذكر هل يعد كاذبا؟ قلـــت: لا لأنه ربما حصل منه البكاء فى عمره ولو مرة فيكون هذا إخبـــاراً عنـــه ويقاس به قوله: والأحشاء يبدو زفيرها فيما سيأتى ودموع العين تسابقنى إلخ البيت أو يقال: إن ذلك إخبار عن بكاء بغير العين، فإن البكاء ربمـــا وجد فى القلب أو السر أو الروح ولم يظهر منه على الحس شيء، بـــل هو أولى من الحس، ولهذا قال الفضيل بن عياض: ليس البكاء بكاء العين وإنما البكاء بكاء القلب؛ فإن الرجل قد يبكى وقلبه قاس، وفى الحـــديث: «**بكاء المؤمن من قلبه، وبكاء المنافق من هامته**»، وقال ﷺ: «**المنافق يملك عينيه يبكى كما يشاء**» أو أن عوالمه الباطنية تبكى بكـــاء كثيـــراً فربما بكى ببعض عوالمه التى من جملتها القلب البكاء الكثير، وقد يشعر

السالك بهذا البكاء بطريق الكشف وقد لا يشعر به لكنه يجد دقة فى باطنه وذلة واستكانة ولم يدر أن ذلك من بكاء عوالمه الباطنية لكن الكامل هـو الذى يبكى بعين القلب والحس، قـال القطـب الشـعرانى فـى "تنبيـه المغترين": لا يكمل مقام الرجل فى البكاء إلا ببكاء عينيه وقلبه، والباكى بأحدهما ناقص سيما إذا كان له أتباع؛ فإن بكاءه بقلبه لا يذوقـه أتباعـه فيحتاج إلى بكاء العين ضرورة وإن كان مقامه قد ارتقى عن ذلك اهـــ ولما ذكر أن أحشاءه بدا لهيبها وعيناه كالدماء، ومن كان حاله كذلك يقيناً أو ظناً لابد أن يفنى صبره عن تحمل هـذا الحـال ناسـب أن يقـول: **(وصبرى)** الصبر: تجرع المصائب والشدائد أى مع عدم الشكوى، وقيل: هواجس النفس عن المكروه وعقل اللسان عن شكواه، وهو علـى ثلاثـة أقسام: صبر العوام وهو تحمل المشاق والثبات على ما يجريـه الله مـن الأحكام وهو الصبر لله، وصبر المريدين وهو محبة ما يصنعه به مـولاه وهو الصبر بالله وصبر العارفين، وهو التلذذ بالبلوى والعذاب كما قـال سيدى عمر بن الفارض - رضى الله عنه -:

وتعذيبكم عَذْبٌ لدىَّ وجَوْرُكم   على بما يقضى الهوى لكم عدل

أى فلا يشتغلون إلا بربهم ولا يلتفتون لغيره كمـا قـال بعـض المحبين:

جرى حبها مجرى دمى فى مفاصلى   فأصبح لى عن كل شغل بها شغل

وقال بعض العارفين: كنت بواب قلبى ثلاثين سنة، يعنى صبرت مع الله تعالى فيها وما تركت القلب يسرح ويرتع فى شىء سـواه اهـــ **(تقضى)** أى فنى وانصرم **(وانقضى العمر)** أى قـارب الانقضـاء ومـا قارب الشىء يعطى حكمه، وقوله: **(راحلا)** حال مؤكدة أى فنى وانصرم حال كونه مرتحلاً عنى؛ فإن العمر فى كل نفس فى ارتحال إلى أن يأتى

الأجل، فهنيئا لمن انقضى أجله فى خير فيكون خير النـاس كمـا فـى الحديث:«**خير الناس من طال عمره وحسن عمله**»، وفى حديث أخـر: «**وشر الناس من طال عمره وساء عمله**»، وهو الذى يمضى عمره بلا فائدة، ومثله من لم يشتغل بما يقربه من مولاه من أول عمره إلى آخـره أما من أدركته العناية آخر عمره أو وسطه كما هو حال المقـربين فهـو من خير الناس، ومنهم من تلحقه العناية من أول عمره فيعمره الله تعالى بالأمداد، قال سيدى محيى الدين: تنقضى أعمار العارفين وهم مع الحـق على أول أقدامهم اهـ، **(وحبيك)** أى وحبى إياك **(يـا مـولاى)** أى يـا ناصرى **(قلبى)** مفعول مقدم لأصما وقوله: **(قد أصما)** اى رمـاه بسـهم الحب فقتله، ومما يعزى للامام الشافعى – قدس سره –:

خذوا بدمى هـذا الغزال فإنـه رمانى بسهمى مقلتيه على بعـد

ولا تقتلوه إننـى أنـا عبـده وفى مذهبى لا يقتـل الحر بالعبد

وأنشد بعض المحبين:

خذوا بدمى بنت العريب فإنهـا أشارت بسهمى مقلتيها فأصمت

ولا تقتلوها لـيس ذاك بجائـز لأنى طلبت الـوصل منها فمنت

أى لأنه إذا كان حب الحق سبحانه وتعالى فى الطبـائع مركـوزاً فقتله يحيى الأرواح وإن أتلف الأشباح، ولما كان لا يوصل الحبيـب إلا بالذل والانكسار توسل المصنف بأهله فقال: **(إلهى بأهل الانكسـار)** أى أهل الخضوع لعزتك يا جبار **(وحقهم)** أى بحرمتهم وعظمـتهم عنـدك فإنك تحب المنكسرين فضلاً منك وإحسانا؛ إذ ليس لمخلوق على خالقـه حق كما هو مذهب أهل السنة خلافاً للمعتزلة القائلين بوجوب الصـلاح والأصلح، قال اللقانى فى "جوهرته":

وقولهم إن الصلاح واجب عليه زور ما عليه واجب

وقال القطب الدردير فى "خريدته":

ومن يقل فعل الصلاح وجبا على الإله قد أساء الادبــا

فله أن يفعل فى ملكه ما يشاء؛ إذ هو الفاعل المختار، وأما قولــه تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤]، أى التزمها تفضلا وإحسناً، قاله البيضاوى اهـ، **(ومن)** أى الذين **(بك)** أى بقوتك وحولــك وقدرتك **(قد نالوا)** أى حازوا **(المقام)** الرفيع المنيع **(المعظما)** أى الــذى عظمه الحق ورفعه، والألف للإطلاق، واللام فى المقام للجنس، فيصدق التوسل بأهل كل مقام، فإنه ما من مقام إلا وهو عظيم فى نفسه وبالنسبه لما هو تحته، ولما كان صاحب المقام ينبغى له عدم الاستناد للغير ناسب أن يعطف على ذلك قوله: **(ومن أطلقوا الأكــوان)** أى وأســألك بالــذين أطلقوا من شهودهم رؤية الأكوان، أى لم يلتفتوا لغير الله تعالى **(حبــى)** أى محبوبى ومرغوبى ومطلوبى فى شهادتى وغيوبى، ولا شــك أن الله تعالى محبوب لكل القلوب، ومن المحبين من يحب الكون وما حواه بحب الله تعالى وهو أكمل ولذا أشار له المصنف – قدس سره – فــى ألفيــة التصوف بقوله:

يحب مصنوعا بحب الصانــع لــم يحتجب بقاطع ومانــع

كذا أشار بعض من قد قدمــوا من أجْل عين ألف عين تكرم

(وطلقوا) الطلاق فى اللغة رفع القيد، والمراد بــه هنــا الهجــر والترك وعدم المبالاة **(المنام)** وهو كما قال فى "التعاريف": حالة طبيعية يتعطل منها القوى بسبب تلقى البخارات إلى الدماغ.

(فائدة) النوم بالنهار أكثر ضرراً من النوم بالليل طباً، قــال ابــن سينا: النوم بالنهار ردىء جداً، وتركه لمن اعتاده أردأ اهـ، واعلــم أن نوم العارفين من جملة أورادهم لأنهم نائمون بربهم، ولذا قــال القطــب

الشاذلى: لا توقظونى من وردى، ولهم فى نومهم علوم يستفيدونها من ربهم وأسرار يشاهدونها فى قلوبهم؛ فإن كل نوم لا يصحبه الوحى لا يعول عليه عندهم، والمراد بالوحى: الإلهام المختص بالأولياء، وإطلاق الوحى عليه سائغ لغة قال تعالى: ﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ**﴾ [النحل:٦٨] إلخ اهـ، **(ولم يشكوا لزاد ولا ظما)** وهذه صفة الأبدال **(ومن مرغوا)** أى وأسألك بمن قلبوا من الذل **(للخد)** بزيادة اللام وهو ما جاوز مؤخر العين إلى منتهى الشدق **(فى ترب أرضكم)** أى الأرض المضافة لكم إضافة تشريف وهى المذكورة فى آية : ﴿**أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا**﴾ [النساء:٩٧]، وآية ﴿**يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ**﴾ [العنكبوت:٥٦]، والمراد حينئذ التوسل بالعباد الصالحين الذين انقضت أعمارهم فى عبادة ربهم والتذلل بين يديه ويحتمل أن المراد بتلك الأرض أرض الحقيقة؛ لأن فيها تظهر حقائق الأشياء على ما هى عليه، وتسمى أرض العظمة لأن فيها ظهرت عظمة الله تعالى، وأرض السمسمة لأنها مخلوقة من بقية طينة آدم عليه السلام التى فضلت عنه أو عن النخلة وكانت مقدار السمسمة فمدها الله تعالى بقدرته حتى صار العرش وما حواه بالنسبة إليها لو وضع فيها كحلقة ملقاة فى فلاة، وهى أرض معنوية معقولة غير محسوسة ولكل عبد فيها ملك يملكه ويتصرف فيه فلا يتعدى عليه غيره وله اسم يخصه، قاله سيدى محيى الدين، قال العارف الشرقاوى: وقد أخبر المصنف بعض أحبابه أن ملكه فيها يسمى سعد آباد، وفيه قصور شاهقة وأنهار دافقة وأزهار مونقة، والمراد بتمريغ الخد فى تلك الأرض حينئذ السكون فيها اهـ، قال سيدى محيى الدين: فمن كان من أهلها حيل بينه وبين الصورة

التى خلق عليها فكان عبداً محضاً اهـ، وخص المصنف الخد لأنه أعلى الوجه الذى هو أشرف ما فى الإنسان من حيث ظاهره **(ومن بـالهوى)** أى وأسألك بالذى يميل نفسه إليك أى حبه وإقبال قلبه عليك **(للسـقم)** أى المرض حسياً كان أو معنوياً كالذنوب، واللام زائدة فى المفعـول **(فـى الحال)** أى الوقت أى بلا مهلة وتراخ، ويحتمل أن تكون فى بمعنى بـاء السببية، أى بسبب حاله الذى خصه الله تعالى به **(أسـقما)** أى أمـرض وهو فعل ماض عامل فى قوله للسقم ومعنى إسقامه السقم بالحال إذهابـه وإعدامه بتوجه قلبه له؛ لأنه لما قام به وصف الحب حتى أورثه القـرب تصرف فى المرض الحسى والمعنوى، لكن أهل الله انقسموا فـى ذلـك على قسمين: قسم يتحملون ثقل الأمراض عن أهلها ولا يؤثر ذلـك فـى وجودهم بعناية الله تعالى، وربما أثر ذلك فيهم وظهر عليـه لكـن عـن اختيار لا اضطرار، ومن جملة الأمراض بل أعظمها الذنوب وأمـراض القلوب، ولهم التصرف فيها فى حق غيرهم وفى حق أنفسهم، وقسـم لا يتحملون بل يشفعون عند الله تعالى فى إزالة تلك الأمراض، ولما توسـل باهل الانكسار ومن بعدهم أراد أن يصفهم بأخص أوصـافهم فلـم يجـد أشرف من العبودية فوصفهم بها بقوله: **(عبيد)** أى هم عبيد جمـع عبـد والتنكير للتعظيم، أىْ عبيد وأىّ عبيد لخلوصهم من رق الأغيار **(ولكـن)** حرف استدراك وهى ثقيلة تعمل عمل إن **(الملوك)** جمع ملك وهو اسـم لكن وقوله: **(عبيدهم)** خبرها أى: ولكن هؤلاء العبيد ليسوا كغيرهم مـن عبيد الأجور ولا عبيد القصور والحور، بل هم عبيد اختصاص صححوا النسبة لمولاهم فخدمتهم الملوك الشاملة لملوك الآخـرة، إذ رب مخـدوم خادم لمن هو فوقه، ويحتمل أن يراد بالملوك كل ذى سـلطان كـالهوى والشيطان والنفس والدنيا؛ فإنها تصير خدماً لتلك العبيد يتصرفون فيهـا

كيف يشاءون **(وعبـدهم)** أى والحال أن عبد هؤلاء العبيد **(أضـحى)** أى صار **(له الكون)** من العرش إلى الفرش **(خادماً)** لأنه لما انتسب لمـولاه وأعرض عن الكون توجه إليك ذلك الكون بالخدمة فهذا حال العبد لأولئك العبيد الذين أهل الدنيا بهم يمطرون وأهل المحشر إليهم يلتجئون، وأهـل الأخرة يحتاجونهم فى طلب رؤية الله تعالى؛ فقد أخرج الـديلمى وابـن عساكر بسند ضعيف عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أهل الجنة ليحتاجون إلى العلماء فى الجنة، وذلك أنهم يرون الله فى كل جمعة فيقول: تمنوا علىَّ ماشئتم، فيلتفتون: ويقولون ماذا نتمنى علـى ربنا؟ فيقولون: تمنوا كذا وكذا، فهم يحتاجون إليهم فـى الجنـة كمـا يحتاجون إليهم فى الدنيا**»، وأخرج ابن عساكر عن سـليمان بـن عبـد الرحمن قال بلغنى أن أهل الجنة يحتاجون إلى العلماء فى الجنـة كمـا يحتاجون إليهم فى الدنيا، فتأتيهم الرسل من قبل ربهم فيقولـون: سـلوا ربكم، فيقولون: ما ندرى ما نسأل، ثم يقول بعضهم لبعض: اذهبـوا بنـا إلى العلماء الذين كانوا إذا أشكل علينا فى الدنيا شىء أتينـاهم فيـأتون العلماء فيقولون: إنا قد أتانا رسل ربنا يأمروننا أن نسأل، فما ندرى مـا نسأل، فيفتح الله على العلماء فيقولون: سلوا كذا وكذا، فيسألون فيعطـون ولما تحقق المصنف أن لهؤلاء القوم مزية تطلع فجراً وتلمع فخراً أخـذ يتوسل بهم بقوله: **(إلهى بهم)** لا بغيرهم كما يفيده تقديم الجار والمجرور **(أدعوك)** أى أسألك وأتضرع إليك **(يا سيد الورى)** أى يا مالـك الخلـق **(بمن)** أى بالذى بسبب **(تجلى القرب)** منك **(يا حبى)** بكسر الحاء أى يـا حبيبى **(أعجما)** بضم الهمزة أى انبهم حاله ولم يفهم مقاله، من أعجمـت الكتاب، خلاف قولك: أعربته أو بفتحها إما أنه فعل ماضى مـن أعجـم فلان الكلام: ذهب به إلى العجمة، وذلك لستره أحواله وأقواله غيرة على

الأسرار أن تذاع وتفشى، أو على أنه مفعول لفعل محذوف وهو صـــار والمعنى: أسألك بمن صار بسبب تجلى القرب أعجم، أى فى لسانه عجمة والأعجم هو الذى لا يفصح عما فى ضميره وإن كان من العرب، أو فى لسانه عجمة وإن أفصح بالعجمة، كذا فى "التهذيب" فالعارف الــذى كـلَّ لسانه فلم يفصح عما حواه جنانه، وقد قيل لأبى يزيد - قدس سره -: ما بالنا لا نفهم كثيراً مما تقول؟ فقال: إن الأخرس لا يفهم كلامه إلا أبوه إذ العبارات قاصرة عن أداء ما يؤديه الكشف والذوق، فلهذا أعجم كلام أهل الله تعالى، فلا يحسن التعبير عن علومهم إلا بطريق الإشارة حتى بــين أهل الخصوص فضلاً عن العموم، قال سيدى محيى الدين - قدس ســره -: من علامات العلوم اللدنية أن تمجها العقول من حيــث أفكارهــا ولا يكاد أحد من غير أهلها أن يقبلها إلا بالتسليم لأهلها من غير ذوق وذلــك لأنها تأتى أهلها من طريق الكشف لا الفكر، وما تعودوا العلم بأخذ العلوم إلا فى طريق أفكارهم، فإذا أتاهم علم من غير طريق أفكــارهم أنكــروه لأنه أتاهم من غير طريق مألوفة عندهم اهـ، وكذلك أحــوالهم معجمــة على من لم يذقها وهؤلاء الرجال هم الذين سترهم الحق عن أعين الخلق فى الدنيا والآخرة فلا يعرفون، ولما توسل المصنف بمن تقدم وعلــم أن الدعاء إذا لم يصحبه القبول لا يعول عليه قال: **(تقبل)** فعل دعاء وكذا ما عطف عليه، والمزيد أبلغ من المجرد فلذا آثره عليه، والمعنى: تقبل يـــا إلهى ابتهالى وتضرعى وسؤالى، أو تقبل عملى **(وجــد)** فإنــك الجــواد الكريم المنعم العظيم، وفى الحديث: «**إن الله كريم جواد يحــب معــالى الأخلاق ويكره سفسافها**»، **(واعف)** يا عفو أى اصفح، وهــو مجــزوم بالدعاء حذفت منه الواو، وفى الحديث: «**إن الله تعالى عفو يحب العفو**» ومن دعائه ﷺ: «**اللهم اعف عنى فإنك عفو كريم**» **(وســامح)** أى جــد

واعط، والسماح والسماحة: الجود، قاله فى "التهـذيب" وفـى الحـديث: «**اسمحوا يسمح لكم**»، وإذا كنا مأمورين بالسماح فالله تعالى أولى بـذلك **(المغرم)** قال فى "القاموس": والمغرم كمكرم أسير الحب والمولع بالشىء اهـ، والإخبار بأنه مغرم من باب التحدث بالنعمة لا من باب الـدعوى فإن ذلك غير لائق بحاله - رضى الله تعالى عنه - وقد تنازع فى قولـه لمغرم الأفعال الأربعة قبله **(وتب)** يا تواب بفضلك على عُبـدك الأواب وفى الحديث: «**رب اغفر لى وتب علىّ إنـك أنـت التـواب الـرحيم**» **(وتحنن)** أى ترحم وتعطف **(يا إلهى تكرما)** فإنك الكريم الذى يعطى من غير مسألة ولا وسيلة بل تبتدئ بالنوال قبل السؤال والتكرم فى الحـادث الكرم قال الشاعر:

تكرم لتعتاد الجميل فلن ترى   أخا كرم إلا بـأن يتكرمـا

وفى القديم محض جود وإفضال، وفـى ذكـر الكـرم رد علـى المعتزلة **(لعبد)** تنازع فيه كل من تب وتحنن، واللام بمعنى على وعبـر بلفظ عبد لما تقدم من أن وصف العبودية أشرف الأوصـاف **(غـدا)** أى صارَ **(يسمى)** أى يسمى وينادى كناية عن شهرته **(بحبـك)** أى بسـبب حبك الأزلى الذى أودعته فى قلبه **(مصطفى)** هو علم على ذات المصنف وإن كان له أسماء أخر بحسب الحقائق التى خصه الله تعالى بهـا؛ فـإن الإنسان قد يكون له حقائق وصور كثيرة لظهوره فى العـوالم المنيـرة فيسمى فى كل عالم باسم يناسب مقامه وحاله، فمن الرجال مـن يسـمى بالنجم ومنهم من يسمى بالبدر ومنهم من يسمى بـالقمر المنيـر ومـنهم بالشمس الضاحية إلى غير ذلك، وقال العارف الشرقاوى: وقـد أخبـر بعضهمَ عن المصنف أن له حقيقة تسمى السر الضاهر وأخرى محمـدا وأخرى النور الباهر إلى غير ذلك مما يجل عن الحصر - رضـى الله

تعالى عنه - اهـ، ٠خليع بوزن فعيل، ويصح فيه الرفع على القطع والنصب بتقدير أعنى، والجر على أنه نعت لعبد **(عـذار)** المراد به العوائد التى يعتادها الشخص فلا يفارقها كحب الدنيا والجاه والملابس وغير ذلك من كل ما يلهى عن الله تعالى، وخلعها **مفارقتها** وعدم حكمها عليه فتصير له قدرة على مفارقة كل ما اعتاده وألفته نفسه، وأنشد ابن الفارض:

خلعت عذارى واعتذارى لابس الـ ـخلاعة مسروراً بخلعى وخلعتى

وخلع عذارى فيك فرض وإن أبى اقـ ـترابى قومى والخلاعة سنتى

وليسوا بقومى ما استعابوا تهتكى فأبدوا فلا واستحسنوا فيك جفوتى

فمن شاء فليغضب سواك فلا أذى إذا رضيت عنى كرام عشيرتى

وليس هذا من المصنف من باب تزكية النفس، بل من باب التحدث بالنعمة وكذا قوله: **(فى المحبة حكما)** أي حكمه مولاه فى محبته فلا تقهره ولا تظهر عليه أماراتها بين العامة، وهذا من النادر، فإن غالب أهل المحبة تظهر عليه أماراتها قهراً عنه **(وأتباعه)** أى وتب وتحنن على أتباعه **(و)** على **(السالكين)** جمع سالك **(طريقه)** التى سلكها عليه وهى طريق السادة الخلوتية وغيرها من الطرق المنسوبة له - رضى الله تعالى **عنه** - لأن له طرقاً كثيرة نحو الثلاثين طريقة، والطريقة الخلوتية أعظم الطرق، ولذا لم يشتهر إلا بها، وقدم أتباعه لأنهم أقرب إليه ممن سلك طريقة على يد غيره ثم عمم الدعاء فقال: **(وكـل)** مفعول مقدم **(الورى)** أى الخلق **(من فضل ذاتك عمما)** فعل دعاء وأصله عممن **كاضربن** فأبدلت النون ألفا **(وصل وسلم سيدى)** أى يا سيدى **(كل لمحة)** أى نظرة **(على المصطفى)** **أى** المختار من خلقه تعالى لحديث: «إن الله

اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم، فأنا خيار من خيار من خيار»، **(من بالمعارج)** أى المصاعد، وهى الدرجات التى يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح، قاله الخطيب عند قوله تعالى: ﴿**ذِي الْمَعَارِجِ**﴾ [المعارج:٣] اهـ، **(أكرما)** أى أكرامه الله تعالى بالمعارج وتخصيصه ﷺبذلك لأنه الذى رقى عليه بجسمه بخلاف غيره فإنه يرقى عليه بروحه فقط **(ونال دنوّا)** أى قرباً من مولاه **(لا يضاهى)** أى لا يشابه، قال تعالى: ﴿**ثُمَّ دَنَا**﴾ [النجم:٨]، أى قرب الرب سبحانه وتعالى من محمد ﷺ ﴿**فَتَدَلَّى**﴾ [النجم:٨] أى زاد فى القرب حتى كان قاب قوسين أو أدنى، ومعنى دنوه تعالى: تقربه منزلة لقوله ﷺ حكاية عن ربه عز وجل: «**من تقرب إلىّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلىّ ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن مشى إلىّ أتيته هرولة** »، والقاب: المقدار، وفى الكلام حذف، والتقدير: فكان مسافة قربه مقدار قوسين، أى مقدار قربهما **(ورفعة)** أى علواً **(وبعد اختراق الحجب)** جمع حجاب، وهى سبعون حجاباً من نور وسبعون حجابا من ظلمة بين الكرسى والعرش لولاها لاحترقت الملائكة الحاملون للكرسى من نور الملائكة الحاملين للعرش كما تقدم، فبعد اختراقها أى قطعها ومجاوزتها ووصوله إلى سدرة المنتهى **(للرب كلما)** حيث قال له سبحانه وتعالى عند ذلك: يا محمد فقال: لبيك يا رب إنك اتخذت إبراهيمَ خليلاً وأعطيته ملكاً عظيماً وكلمت موسى تكليماً وأعطيت داود ملكاً عظيما إلى آخر ما فى حديث المعراج **(وشاهد مولاه العظيم جلاله)** بالرفع فاعل عظيم، أى رآه بعينى رأسه على الصحيح لحديث ابن عباس وغيره، وهذا لا يؤخذ إلا بالسماع منه

ﷺفلا ينبغى أن يشك فيه ولما نفت عائشة وقوعها له ﷺ قدم ابن عباس عليها لأنه مثبت حتى قال معمر بن راشد: ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس، ولا ينافى ذلك حديث: **«واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»** لأن المتكلم لا يدخل فى عموم كلامه، ولم تثبت فى الدنيا لغير نبينا ﷺ بالإجماع، وغاية ما تمناه العارفون الرؤية القلبية كقول ابن الفارض - رضى الله تعالى عنه -:

أتلنا مع الأحباب رؤيتك التى إليها قلوب الأولياء تسارع

ومن ذلك قوله أيضاً:

وأباح طرفى نظرة أملتها فغدوت معروفاً وكنت منكرا

وأما نحو قوله:

وإذا سألتك أن أراك حقيقة فاسمح ولا تجعل جوابى لن ترى

مما يفيد بظاهره علو مقامه عن موسى عليه السلام فأجاب عن ذلك العلامة الأمير فى حاشيته على عبد السلام بأن رؤية كل بحسبه أى فهو طالب للرؤية القلبية ولذلك قال فى محل آخر:

أبق لى مقلة لعلى يوما قبل موتى أرى بها من رآك

(خاتمة) فى رؤيته سبحانه وتعالى وهى الغاية القصوى التى تتشمر إليها المحبون وتتنافس فيها المتنافسون وتتسابق إليها المتسابقون وعند نوال أهل الجنة لها ينسون ما هم فيه من النعيم ولو حجب عن بعض أحبابه فيها لاستغاث من الجنة كما يستغيث أهل النار من الجحيم ولذا قال البسطامى سلطان العارفين: لله رجال لو حجب الله عنهم فى الجنة طرفة عين لاستغاثوا منها كما يستغيث أهل النار من الجحيم، فيا لها من نعمة اتفق عليها الأنبياء والمرسلون والصحابة والتابعون، ولا عبرة بإنكار أهل البدع فإنهم منها مبعدون، وبحبائل الشيطان متمسكون

ولسنة رسول الله ﷺ وأهلها محاربون، وقد دل عليهـا الكتـاب والسـنة والإجماع وأنه يرى منزهاً عن المقابلة والجهة والمكان، إذ الرؤية علـى مذهب أهل الحق قوة يجعلها الله فى خلقه لا يشترط فيها اتصال الأشـعة ولا مقابلة المرئى ويراه جميع من يدخل الجنة من الإنس والجن والأمـم السابقة والصبيان والبله، وإن كان ذلك يتفاوت باعتبار المقامات، فمـنهم من يراه بمقدار كل عام، ومنهم من يراه بمقدار كل جمعة، ومـنهم مـن يراه غدوة وعشية، ومنهم من لا يحجب عن رؤيته جمعاً بين الروايـات بذلك، وتمسكت المعتزلة على نفيها بشُبَهٍ عقلية أقواهـا شـبهة المقابلـة قالوا: لا تتعلق الرؤية عقلاً إلا بمن هـو فـى جهـة ومكـان ومسـافة مخصوصة لأنه تعالى لو كان مرئياً لكان مقابلاً للرائى بالضرورة فيكون فى جهة وحيز وهو محال، ولو كان مرئياً إما أن يكـون كلـه فيكـون محدوداً متناهياً محصوراً، وإما بعضه فيكون متبعضا متحيزاً، وقد أشار أهل السنة إلى رد هذه الشبهة التى نشأت عن فرط جهلهم بالسنة وذلـك لأن هذه الرؤية بلا كيف أى تكيف للمرئى من مقابلـة وجهـة ومسـافة مخصوصة به، بل يجب تجرده عنها فإن الرؤية نوع من الإدراك يخلقـه الله تعالى متى شاء ولا يتوقف حينئذ على تحيز وجهة وإنما هى بحسـب طاقة الرائى، وهذا منهم من تمام الغباوة من قياس القديم علـى الحـادث فإن رؤية الحق سبحانه وتعالى تسكر عقول الرائين من تمام لـذتها فـلا تكون عندهم فكرة فى ذلك، ولذلك قال العلامة الأمير: إنهم يغيبون مـن شدة النعيم فإذا أفاقوا لا يعون شيئا يخبرون به، واستدلوا أيضا على نفيها بقوله تعالى: **﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَـارَ﴾** [الأنعـام:١٠٣] قالوا: إن نفى إدراكه تعالى بالبصر مؤذ للثنـاء فيكـون نقيضـه وهـو الإدراك بالبصر نقصاً، وهو عليه تعالى محال، ونحن نقول لا نسـلم أن

الإدراك بالبصر المنفى فى الآية الكريمة هو مطلق الرؤية بل هو رؤية مخصوصة، وهى التى تكون على وجه الإحاطه بجوانب المرئى فالإدراك المنفى فى الآية أخص من الرؤية، فلا يلزم من نفى الإدراك على هذا نفى الرؤية ولا من كون ففيه ثناء كون الرؤية نقصاً، وقد اشتهرت هذه النزعة عن صاحب "الكشاف" وقد اشتهر عنه أنه تاب قبل مماته وقال:

امنن علىّ بتوبة يمحى بها ... ما كان منى فى الزمان الأول

وقول العلامة أبى حيان فى قوله تعالى: **﴿لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾** [الأعراف:١٤٣]، إشارة إلى جواز الرؤية وجهة الدليل من هذه الآية من وجوه كما حققه المحقق ابن الجوزى فى كتابه "حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح" حيث قال: وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة، أحدها: أنه لا يظن بكليم الرحمن ورسول الكريم أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه فهو من أبطل الأباطيل، الثانى: أن الله سبحانه تعالى لم ينكر عليه سؤاله، ولو كان محالاً لأنكر عليه، ولهذا لما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال: **﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾** [هود:٤٦]، الثالث: أنه أجابه بقوله: لن ترانى ولم يقل: إنى لا أُرَى، ولا إنى لست بمرئىّ ولا تجوز رؤيتى، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله، وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى يُرَى ولكن موسى عليه السلام لا يتحمل قوى رؤيته تعالى فى هذه الدار لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى اهـ، والأنسب فى التعليل أن يزيد غير نبينا ﷺ لثبوت قواه ﷺ عن موسى عليه السلام فقد ثبتت له ﷺ فى الدنيا كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله: **﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾** [النجم:١١]، ولذلك

كان السر فى ترجيع موسى عليه السلام له ﷺ ليلـــة الإســـراء اقتبـــاس الأنوار من وجهه الشريف وإن كان الحامل ظاهرا طلب التخفيف كما فى "المواهب" وشراحها اهــ، وللعلامة الأمير فى حاشيته لعبد السلام قـــال: ومن كلام سيدى على وفا – قدس سره –:

والسر فى قول موسى إذ يراجعــه ليجتلى النور فيه حيــن يشهــده

يبدو سناه على وجه الرســول فيا لله حســن رســول إذ يـــردده

ولم تقع لغير نبينا فى دار الدنيا بالإجمـــاع، وغايـــة مـــا يتمنـــاه العارفون الرؤية القلبية كما تقدم، ثم قال الأستاذ ابن الجوزى: الرابع من الوجوه قوله: ﴿**وَلَـــكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي**﴾ [الأعراف:١٤٣]، فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه لـــه فى هذه الدار فكيف بالبشر الضعيف الذى خلق من ضعف؟ الخامس: أن استقرار الجبل مكانه فى قدرته تعالى ومن الممكنات وقد علق به الرؤية ولو كانت محالاً فى ذاتها لم تعلق بالممكن فى ذاته، السادس قوله: ﴿**فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا**﴾ [الأعراف:١٤٣]، هذا من أبين الأدلة علـــى جواز الرؤية فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذى هو جماد لا ثواب له ولا عقاب عليه فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائـــه ورســـله وأوليائـــه فـــى دار كرامته، السابع من الوجوه: أنه نال منه المخاطبة والكلام والمناجاة ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبة كلامه لـــه بغيـــر واســـطة فرؤيته أولى بالجواز ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكلـــيم، وأمـــا قوله تعالى: ﴿**لَن تَرَانِي**﴾ [الأعراف:١٤٣]، فإنما يدل على النفـــى فـــى المستقبل ولا يدل على دوام النفى، ولو قيدت بالتأبيد فكيـــف إذا أطلقـــت قال تعالى: ﴿**وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا**﴾ [البقرة:٩٥]، إلخ أى مع قوله: ﴿**وَنَادَوْا يَا**

مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف:٧٧]، الثانى من الآيات الدالة عليها قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب:٤٤] ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ [البقرة:٤٦]، وقد أجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحى السليم من العمى والموانع اقتضى المعاينة والرؤية قال العلامة ابن الجوزى: ولا ينتقض هذا بقوله: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ [التوبة:٧٧]، فإن الأحاديث الصحيحة صريحة فى أن المنافقين يرونه تعالى فى عرصات القيامة، بل والكفار أيضا كما فى الصحيحين فى حديث التجلى يوم القيامة، ويكون حجبهم بعد ذلك حسرة وندامة، الثالث: قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٥-٢٦]، قال المحقق ابن الجوزى المذكور: فسر رسول الله ﷺ الذى أنزل عليه القرآن وأصحابه من بعده الحسنى هى الجنة، والزيادة هى النظر إلى وجه الله تعالى الكريم، ففى مسلم فى صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب قال: قرأ رسول الله ﷺ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً ويريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، وهى الزيادة**»، و"كشف الحجاب" فى الحديث معناه أن يرفع الموانع عن الإدراك وعن أبصارهم حتى يروه على ما هو عليه من نعوت العظمة والجلال، فذكر الحجاب إنما هو فى حق الخلق لا الخالق، قال المحقق

المذكور: وفى رواية عن ثابت عن أنس قال: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] قال: «**للذين أحسنوا العمل فى الدنيا الحسنى وهى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم**»، وفى رواية عن كعب: الزيادة النظر إلى وجه الرحمن جل جلاله، الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]، ووجه الاستدلال بها أنه سبحانه وتعالى جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته وسماع كلامه فلو لم يره المؤمنون ولم يسمعوا كلامه لكانوا أيضاً محجوبين عنه ولذلك قال الإمام الشافعى - رضى الله تعالى عنه -: وفى هذه الآية أعظم دلالة على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة، ولذلك قال الحاكم: حدثنا الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعى وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول فى قول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]، فقال الشافعى: لما أن حجب هؤلاء فى السخط كان فى هذا دليل على أن أولياءه يرونه فى الرضا قال الربيع: فقلت: يا أبا عبد الله وبه تقول؟ قال: لهم وبه أدين الله، لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله عز وجل، الآية الخامسة قوله عز وجل: ﴿لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥]، قال الطبرى: قال على بن أبى طالب وأنس بن مالك: هو النظر إلى وجه الله تعالى، وقاله من التابعين وهب وغيره، الآية السادسة قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، وهذه الآية منادية نداء صريحاً أن الله عز وجل يرى عياناً بالأبصار يوم القيامة قال المحقق ابن الجوزى المذكور: وإضافة النظر إلى الوجه الذى هو

محله فى هذه الآية وتعديته بإلى الصريحة فى النظر العينى صريح فى أن الله تعالى أراد بذلك نظر العين التى فى الوجه إلى ذات الرب سبحانه وتعالى، فإن النظر له عدة استعمالات بحسب مادته وتعديه، فإن عدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله تعالى: ﴿**انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ**﴾ [الحديد:١٣]، وإن تعدى بفى فمعناه التفكر والاعتبار كقوله: ﴿**أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [الأعراف:١٨٥]، وإن عدى بإلى فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله: ﴿**انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ**﴾ [الأنعام:٩٩] فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذى هو محل البصر؟ ولذا قال الحسن: قال: نظرت إلى ربها تبارك وتعالى فنضرت بنوره، ولذا قال: فاسمع أيها السنى تفسير النبى ﷺ وأصحابه والتابعين وأئمة الإسلام لهذه الآية، وفى الحديث عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ فى قوله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ**﴾ [القيامة:٢٢]، قال: «**من البهاء والحسن**» ﴿**إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ **قال: «فى وجه الله عز وجل»**، وفى رواية لعكرمة قال: «**ناضرة من النعيم**» ﴿**إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ **قال: «تنظر إلى ربها نظراً»**، وأما الأحاديث الواردة عن النبى ﷺوأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة، قال المحقق ابن الجوزى المذكور: أحاديث الرؤية قد رواها أبو بكر الصديق وأبو هريرة وأبو سعيد الخدرى وصهيب بن سنان الرومى وعبد الله بن مسعود وعلى ابن أبى طالب وأبو موسى الأشعرى وأنس ابن مالك الأنصارى وجابر بن عبد الله الأنصارى وزيد بن ثابت وعمار ابن ياسر وعائشة أم المؤمنين وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو ابن العاص وغير ذلك إلى أن قال: فهاك سياق أحاديثهم من الصحاح والمسانيد فتلقاها أيها السنى بالقبول والتسليم وانشراح الصدر لا

بالتحريف والتبديل، قال: فأما حديث أبى بكر الصديق - رضى الله تعالى عنه - فقال الإمام أحمد بن حذيفة عن أبى بكر قال: أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم فصلى الغداة ثم جلس حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله ﷺ ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى والعصر والمغرب كل ذلك لا يتكلم حتى العشاء الأخيرة ثم قام إلى أهله فقال الناس لأبى بكر: ألا تسأل رسول الله ﷺ ما شأنه؟ صنع اليوم شأناً لم يصنعه قط، قال: فسأله فقال: **«نعم، عرض على ما هو كائن من أمر الدنيا وأمر الآخرة فجمع الأولون والآخرون فى صعيد واحد فقطع بذلك الناس حتى انطلقوا إلى آدم عليه السلام»**، إلى آخر حديث الشفاعة **«إلى منزل عيسى انطلقوا إلى سيد ولد آدم انطلقوا إلى محمد ﷺ فيشفع لكم إلى ربكم عز وجل قال: فينطلق فيأتى جبريل ربه تبارك وتعالى فيقول الله عز وجل: ائذن له وبشر بالجنة، فينطلق جبريل ﷺ فيخر ساجداً قدر جمعة ويقول الله عز وجل: ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع، قال: فيرفع، فإذا نظر إلى ربه عز وجل خر ساجداً قدر جمعة أخرى، فيقول الله عز وجل: ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع، قال: فيذهب ليقع ساجداً فيأخذ جبريل بعضديه فيفتح الله عز وجل عليه من الدعاء شيئا لم يفتحه على بشر قط فيقول: أى رب خلقتنى سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر حتى إنه ليرد على الحوض أكثر مما بين صنعاء وأيلة، ثم يقال: ادع الصديقين فيشفعون ثم يقال: ادع الأنبياء، قال: فيجىء النبى ومعه العصابة والنبى ومعه الخمسة والستة والنبى وليس معه أحد، ثم يقال: ادع الشهداء فيشفعون لمن أرادوا قال: فإذا فعلت الشهداء ذلك قال: يقول الله عز وجل: أنا أرحم الراحمين أدخلوا جنتى من كان لا يشرك بى شيئا، قال: فيدخلون الجنة، ثم يقول**

الله عز وجل: انظروا فى النار هل تلقون من أحد عمل خيراً قط؟ قال: فيجدون فى النار رجلا، فيقولون له: هل عملت خيراً قط؟ فيقول: لا غير أنى كنت أسامح الناس فى البيع، فيقول الله عز وجل: اسمحوا لعبدى كإسماحه إلى عبيدى»، وحديث أبى نعيم الأسلمى عن النبى ﷺ قال: «**إن أهل الجنة ليغدون فى حلة ويروحون فى أخرى كغدو أحدكم ورواحه إلى ملك من ملوك الدنيا، كذلك يغدون ويروحون إلى زيارة ربهم عز وجل، وذلك لهم بمقادير ومعالم يعلمون تلك الساعة التى يأتون فيها ربهم عز وجل**»، وحديث على – كرم الله وجهه – قال: «**إذا سكن أهل الجنة الجنة أتاهم ملك يقول: إن الله يأمركم أن تزوروه فيجتمعون فيأمر الله داود عليه السلام فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل ثم توضع مائدة الخلد**»، قالوا: يا رسول الله وما مائدة الخلد؟ قال: «**زاوية من زوايا أوسع مما بين المشرق والمغرب، فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون فيقولون: لم يبق إلا النظر فى وجه ربنا عز وجل فيتجلى لهم، فيخرون سجداً، فيقال لهم: لستم فى دار عمل إنما أنتم فى دار جزاء**»، ولنختم بحديث الكرامة ونضارة الوجه، قال فى "البدور" أخرج يحيى بن سلام عن بكر بن عبيد المزنى قال: «**إن أهل الجنة ليزورون ربهم فى مقدار كل عيد لهم كأنه يقول: فى سبعة أيام مرة فيأتون رب العزة فى حلل خضر ووجوههم مشرقة وأساور من ذهب مكللة بالدر والزمرد ويركبون نجائبهم ويستأذنون على ربهم فيأمر لهم بالكرامة**»، وأما حديث النضارة قال فى "البدور" أيضاً: أخرج ابن أبى الضياء عن ضيفى اليمانى أن عبد العزيز بن مروان سأله عن وفد أهل الجنة قال: «**إنهم يغدون إلى الله سبحانه وتعالى فى كل يوم خميس فتوضع لهم أسرة، كل إنسان منهم أعرف بسريره منك بسريرك، فإذا**

قعدوا عليه وأخذ القوم مجالسهم قال تبارك وتعالى - والحديث الذى ذكره المحقق السيوطى فى البدور موافق لهذا - **قال: فإذا قعدوا عليه قال تبارك وتعالى: أطعموا عبادى وخلقى وجيرانى ووفدى، فيطعمون ثم يقول: اسقوهم، فيسقون بآنية من ألوان شتى مختتمة فيشربون، ثم يقول: فكهوهم، فتجىء ثمرات شجر تدلى فيأكلون منها ما شاءوا، ثم يقول: اكسوهم، فتجىء ثمرات شجر أخضر وأحمر وأصفر وكل لون لم ينبت إلا الحلل، فتنتشر عليهم حلل وقمص، ثم يقول: طيبوهم، فيتناثر عليهم المسك والكافور مثل رذاذ المطر - أى نقطه - ثم يقول: عبادى قد طعموا وشربوا وفكهوا وكسوا وطيبوا، لأتجلين عليهم حتى ينظرون إلىّ، فإذا تجلى عليهم فنظروا إليه نضرت وجوههم، ثم يقال: ارجعوا إلى منازلكم فيقول لهم أزواجهم: خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها فيقولون: إن الله تجلى لنا فنظرنا إليه فنضرت وجوهنا»** نسأل الله العظيم من فيضه العميم أن ينضر وجوهنا بين يديه بجاه أشرف الرسل لديه وأن يخلص قلبنا من غياهب الغمم، وأن يمن بفيضه العميم بأن ينظمنا فى سلك أهل هذه النعمَ إنه جواد كريم اهـ، قال السيوطى فى "البدور" فى وصف أهل الجنة وأسنانهم وألوانهم وطولهم وعرضهم وأسمائهم ولسانهم: أخرج الشيخان عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء ظَهَرًَ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوّة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستين ذراعا فى السماء صاعدة**»، وأخرج أحمد والطبرانى فى الأوسط وابن أبى الدنيا بسند حسن عن أبى هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ:«**يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً جعداً مكحلين، أبناء ثلاث وثلاثين، وهم على خلق آدم طولهم ستون ذراعا فى عرض سبعة أذرع**»، وأخرج الترمذى وأبو يعلى وابن أبى الدنيا عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال: «**من مات من أهل الدنيا من صغير وكبير يُرَدُّون بنى ثلاث وثلاثين سنة فى الجنة لا يزيدون عليها أبداً وكذلك أهل النار**»، وأخرج ابن أبى الدنيا عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستون ذراعا بذراع الملك، وعلى حسن يوسف، وعلى ميلاد عيسى، وعلى لسان محمد، جرداً مرداً مكحلين، وأما الحور فأصناف مصنفة على ما تشتهيه أهل الجنة، وأما أسماؤهم فيدعون بها فى الجنة إلا آدم فإنه يدعى أبا محمد**»، وأخرج تمام فى فوائده وابن عدى عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**أهل الجنة يوم القيامة يدعون بأسمائهم إلا آدم فإنه يكنى أبا محمد**»، وأخرج الطبرانى والحاكم والضياء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحب العرب لثلاث: لأنى عربى، والقرآن عربى وكلام أهل الجنة عربى**» وأما زيارة أهل الجنة إخوانهم وزيارتهم الأنبياء وأصحاب الدرجات العليا، ومذاكرتهم ما كان منهم فى الدنيا وغير ذلك فقد أخرج البزار والبيهقى وابن أبى الدنيا بسند حسن عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة اشتاقوا إلى الإخوان فيجىء سرير هذا إلى سرير هذا حتى يحاذى سرير هذا سرير الآخر فيتحدثان فيتكئ هذا ويتكئ هذا ويتحدثان بما كان فى الدنيا، فيقول أحدهما لصاحبه: يا فلان أتدرى يوم غفر الله لنا فى يوم كذا وكذا فى موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا؟**»، اهـ، ولنتروح بما أفاده بعض العارفين بقوله:

فلله واديهـا الـذى هـو موعـد لرائد وفد الحب لـو كنـت تفهـم
ففى ذلك الـوادى يهـيم صـبابة محب يـرى أن الصـبابة مغـرم
ولله أفـراح المحبـين عنـدما يخـاطبهم مـن فـوقهم ويسـلم
ولله أبصـار تـرى الله جهـرة فلا الضيم يغشاها ولا هـى تسـأم
فيا نظرة أهدت إلى الوجه نضـرة غدا كـل وجـه بالجمـال مبسـم
فإن كنت ذا قلـب عليـل بحبهـا فلم يبق إلا وصـلها لـك مـرهم
فيا خاطب الحسناء إن كنت باغيـا فهذا زمان المهـر فهـو المقـدم
وكـن مغضـبا للخائنـات بحبهـا فتحظى بها مـن دونهـن وتـنعم
وإن ضاقت الدنيا عليـك بأسـرها ولم يك فيهـا منـزل لـك يعلـم
فحى علـى جنـات عـدن فإنهـا منازلـك الأولـى وفيهـا المخـيم
وحى على يوم المزيد الـذى بـه زيارة رب العرش فـاليوم موسـم
تجلى لهم رب السـموات جهـرة فيظهـر للأحبـاب ثـم يكلـم
سلام علـيكم يسـمعون جمـيعهم بـآذانهم تسـليمه إذ يسـلم
يقول سلونى ما اشتهيتم فكل مـا تريدون عندى إننـى أنـا أرحـم
فقالوا جميعا نحن نسـألك الرضـا فأنت الذى تُولى الجميـل وتـرحم

فياعجبا كيف طاب العيش فى هذه الدار بعد سماع هذه الأخبـار وكيف قر للمشتاق القرار؟ أسأل الله من فيضه العميم متوسلاً بنبيه الكريم وأهل بيته وأصحابه أن يدخلنا الجنة مع السابقين بجاه سـيد المرسـلين ولنرجع إلى ما نحن فيه فنقول: قال المصنف: **(وصـلى عليـه الله)** أى رحمه بتخفيف ما فرضه عليه من الصلاة؛ فإنه ورد أنه تعالى قال لـه:

وإنى يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك، ثم لما انصرف وأتى على موسى وأخبره بما فرضه الله عليه قال له: ارجع إلى ربك أى إلى محل مناجاته فاسأله التخفيف عنك وعن أمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فرجع وسأل الله التخفيف فخفف عنه خمساً خمساً حتى بقيت الخمس، وقوله: **(منا)** حال تنازع فيه الأفعال السابقة وهى مقارنه لها لأن زمانها متحد، والمنّ: الإنعام، ويطلق على تعدد النعم من الله تعالى كما فى الخطابات السابقة **(وسلما)** أى أمنه بإزالة الرعب عنه ووجود مثال أبى بكر هناك؛ إذ كان أنيسه، وخطابه له بقوله: يا محمد، فقال: لبيك يا رب كما تقدم **(وأرسله يدعو البرايا لقربه)** أى لما يقرب الخلق لمولاهم كالعبادات الظاهرة **(وخصصه فى الكون أن يتقدما)** أى على سائر المخلوقات **(وآل وأصحاب ليوث)** جمع ليث وهو الأسد **(ضوارى)** جمع ضار بمعنى مجترئ على الشيء، أى هم كالأسود الضارية على الأعداء قال تعالى: ﴿**أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ**﴾ [الفتح:٢٩]، **(ولاسيما الصديق)** بالرفع والجر كما هو مقرر فى العربية، فالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، وسى بمعنى مثل مضاف لما بمعنى شيء وخبر لا محذوف، والتقدير: ولا مثل شيء هو الصديق موجود، والجر على أنه مضاف إليه وما زائدة، أى لا مثل الصديق موجود، ويصح النصب على أن لاسيما بمعنى خصوصاً أى خصوصاً الصديق، وهو أبو بكر، ولقب بالصديق لمبادرته إلى تصديق النبى ﷺ وفى الحديث: «**يا أبا بكر إن الله سماك الصديق**»، ويلقب أيضاً بالعتيق لجماله وعتاقة وجهه، أو لعتاقة نسبه أى طهارته، وأبو بكر كنيته ولا يلزم من تكنيه بذلك أن يكون له ولد اسمه بكر؛ فإن أولاده ليس فيهم ذلك وهم: عبد الرحمن وعائشة لأم واحدة وهى أم رومان، وعبد

الله وأسماء لأم واحدة وهى قلية من بنى عامر بن لؤى، ومحمد وأمه أسماء بنت عميس، واسمه – رضى الله عنه – عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن لؤى ابن غالب بن فهر يلتقى مع النبى ﷺ فى مرة، واسم أمه – رضى الله تعالى عنه – أم الخير سلمى بنت صخرابن عامر، تجتمع مع زوجها فى عامر بويع – رضى الله تعالى عنه – فى اليوم الذى قبض فيه رسول الله ﷺ وهو الثانى عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام، ومات – رضى الله عنه – ليلة الثلاثاء، وقيل: يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة، وأول من بايعه بشر بن سعد الأنصارى، ثم عمر ابن الخطاب ثم أبو عبيدة بن الجراح ثم سعد بن عبادة ثم المهاجرون والأنصار، ومما يدل على أنه الأحق بالخلافة أن النبى ﷺ جعله أمير الحاج سنة تسع من الهجرة، وأما على – رضى الله تعالى عنه – فأرسله عليه الصلاة والسلام معه وأمره بمتابعته وأن يقرأ على الكفار سورة براءة وينادى فى تلك الأيام: ألا لايحج بعد العام مشرك، وأنه أمره أن يصلى بالناس فى مرضه وفى الحديث: «**لا ينبغى لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره**»، رواه الترمذى عن عائشة **(من فيه هيما)** ثم قال: **(وفاروقه)** وهو أبو حفص كناه به ﷺ ومعناه لغة: الأسد، عمر ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح ابن عدى بن كعب بن لؤى، يلتقى مع النبى ﷺ فى كعب، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أسلم – رضى الله تعالى عنه – سنة ست من الهجرة، وسماه رسول الله ﷺ بالفاروق لأن الله فرق به بين الحق والباطل فإنه سعى فى إشهار الدين مع شوكة

المتمردين، وقد أعز الله به الإسلام ببركة دعائه عليه الصلاة والسلام وهو أول من تسمى بأمير المؤمنين وثانى الخلفاء الراشدين، وهو من المحدثين بفتح الدال أى الملهمين من قبل الله تعالى بويع له - رضى الله تعالى عنه - بالخلافة يوم وفاة الصديق - رضى الله تعالى عنه - وكان قد عهد إليه بها وكتب ذلك فى بطاقة فلما بلغه ذلك قال: قد أسأت إلىَّ يا أبا بكر، قال: لا، بل أحسنتُ إلى الناس، وكانت مدة خلافته عشر سنين وستة أشهر إلا يوماً، وبلغ من العمر خمساً وقيل ثلاثاً وستين، وتوفى سنة ثلاث وعشرين من الهجرة شهيداً بطعنة أبى لؤلؤة فيروز الفارسى غلام المغيرة بن شعبة علج كافر، وقصته مشهورة وصلى عليه صهيب ابن سنان الرومى، وكان له من الأولاد عبد الله وحفصة وعبيد الله وعاصم وفاطمة وزيد وأبو شحمة، واسمه عبد الرحمن وهو الذى حد فى الشراب فمات، ومما جرب أن من كتب اسم عمر - رضى الله تعالى عنه - بريقه على صدره لم يحتلم فى ليلته، ثم قال المصنف: **(عثمان)** أى عثمان بن عفان ذو النورين، ويقال له: أبو عبد الله وأبو ليلى بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وهو صاحب الهجرتين والمشترى للجنة مرتين فى حفر بئر رومة وأعتق نحو ألفين، بويع له بالخلافة بعد وفاة عمر - رضى الله تعالى عنهما - بثلاثة أيام يوم الجمعة غرة محرم، ومدة خلافته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً، ثم قتل شهيداً بعد أن حوصر فى داره تسعة وأربعين يوماً، وقيل: شهرين، وقيل غير ذلك، وكان يوم قتله صائماً والمصحف بين يديه فتلوث بالدم، واختلف فى قاتله فقيل: لا يعرف، وقيل: الأسود التجيبى من أهل مصر، وقيل رومان اليمانى، وقيل غير ذلك، وكان عمره على ما صححه النووى فى تهذيب الأسماء واللغات تسعين سنة

وقيل: مات عن نيف وثمانين، وقيل غير ذلك وصـــلى عليـــه الزبيـــر وقيل: مطعم، وقيل غير ذلك، ودفن بالبقيع، قال عبد الله بن ســـلام: لقـــد فتح الناس على أنفسهم بقتل عثمان باب فتنة لا يغلق إلى يـــوم الســـاعة وشاهدها حديث: «**إن لله سيفاً مغموداً ما دام عثمان بن عفان حياً، فإذا قتل عثمان جرد ذلك السيف فلم يغمد إلى يوم القيامة**»، وكان عنده خاتم رسول الله ﷺ فلما سقط منه فى البئر اتخذ خاتما من فضة نُقـــش عليـــه: "لتصبرن أو لتندمن"، وله من الأولاد: عبد الله الأكبر وعبد الله الأصـــغر من رقية، وعمرو وأبان وخالد وعمر وسعيد والمغيرة وأم سعيد وأم أبان وعائشة وأم عمر وغيرهم من غيرها، وكان ينام - رضى الله تعالى عنه - بالمسجد وهو خليفة وليس حوله أحد، وإذا ركب يردف غلامه خلفـــه ويخطب بإزار عدنى غليظ ثمنه أربعة أو خمسة دراهم، ويطعم النـــاس طعام الإمارة ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت، ولم يمس ذكره منذ أســـلم وكان إذا مر بقبر بكى حتى تبتل لحيته، ثم قال: **(ثم ابن عمه)** على ابـــن أبى طالب، واسمه عبد مناف بن عبد المطلب جد النبى ﷺويقال له شيبة الحمد بن هاشم بن عبد مناف بن قصى القرشى الهاشمى، وأمه - رضى الله عنه - فاطمة بنت أسد بن هاشم، ولد - رضى الله تعالى عنه - بمكة المشرفة فى البيت الحرام فى يوم الجمعة الثالث عشـــر مـــن شـــهر الله الأصب سنة ثلاثين من عام الفيل قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة، وقبل البعث باثنتى عشر سنة، وقيل بعشر سنين ولم يولد فى البيت أحد قبلـــه سواه، وهى فضيلة اختص بها وبويع له بالخلافة يوم قتل عثمـــان فـــى الثامن عشر من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين، وقتل فى شهر رمضـــان لسبع عشرة ليلة خلت منه سنة أربعين وقد بلغ سبعاً وخمســـين وصـــلى عليه الحسن - رضى الله تعالى عنهما - وكانت مدة خلافته أربع ســـنين

وتسعة أشهر، وورث علم الحروف من النبى ﷺ وإلى ذلك الإشارة بقوله ﷺ: «**أنا مدينة العلم وعلىٌّ بابها فمن أراد المدينة فعليه بالباب**» وأظهر أحكام اللفظ بقوله، الفاعل مرفوع المفعول منصوب، المضاف إليه مجرور، وقد صنف الجفر الجامع لأسرار الحروف، وفيه ما جرى للأولين والآخرين، وفيه اسم الله الاعظم وتاج آدم وخاتم سليمان، وكناه ﷺ أبا تراب، روى الطبرانى عن أبى الطفيل قال: جاء النبى ﷺ وعلى نائم فى التراب فقال: «**إن أحق أسمائك أبو تراب**»، ومما جرب ويعلق للرمد قوله تعالى: ﴿**اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَـذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [يوسف:٩٣] ﴿**فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**﴾ [ق:٢٢]، وهذان البيتان وهما:

إذا ما مقلتى رمدت فكُحلِى تراب مس نعل أبى تراب
هو البكّاء فى المحراب ليلا هو الطعّان فى يوم الضراب

وله من الأولاد سبعة وثلاثون، منهم الحسن والحسين ومحمد وعمر الأكبر والعباس الأكبر وهؤلاء أعقبوا، ومحسن درج سقطا ومحمد وعمر الأصغر وعثمان الأصغر وعبد الله الأصغر وعبد الله أبو على وأبو بكر عتيق وعبد الرحمن وحمزة ويحيى وعون وزينب الكبرى وزينب الصغرى وأمة الله وحمامة ورملة وأم سلمة وأم الحسن وأم الكرام نفيسة وميمونة وخديجة وأمامة – رضى الله عنهم أجمعين – **(وأولاده)** ﷺ **(السادات)** جمع سيد، وهم سبعة: القاسم فزينب فرقية ففاطمة فأم كلثوم فعبد الله – ويلقب بالطيب والطاهر – فإبراهيم وترتيبهم فى الولادة هكذا، وكلهم من خديجة إلا إبراهيم فمن مارية

القبطية وكلهم ماتوا فى حياته ﷺ إلا فاطمة فإنها عاشت بعده ستة أشـــهر وقد نظم ذلك العلامة السجاعى – رحمه الله – فقال:

أولاد طه قاسم فزينب رقية ذات الجمال فاطمة
فأم كلثوم فعبد الله إبـــ ـــراهيم وهو الخاتمة
وأمهم خديجة إلا إبراهيم فأمه مارية كن عالمه

(ثم من انتمى) أى انتسب إليه ﷺ من أولاد بناته فإن ذلك من خصوصياته ﷺ **(وأتباعه)** جمع تابع أعنى التابعين له فى العمل الصالح **(والناهجين)** أى الموضحين، قال فى "المصباح": ونهجته وأنهجته أوضحته اهـ، **(سبيله)** أى طريقه التى أتى بها من عطف الخاص على العام **(مدى)** بفتحتين أى غاية ومنتهى أى إلى غاية ومنتهى الدهر أى مدة الدنيا **(ماهب)** بفتح الهاء **(الصبا)** بفتح الصاد الريح التى تهب من مطلع الشمس، والمراد هنا مطلق الريح، أى مدة هبوب الريح وهى مدة الدنيا فيكون ذلك بدلاً مما قبله، والمعنى: وأتباعه والناهجين سبيله إلى يوم القيامة وقوله: **(وتنسما)** بألف الإطلاق معطوف على هب **(ثم يتبع)** بكسر الموحدة أى يوالى **(التالى)** للورد **(هذه الصلوات النبوية)** أى المنسوبة للنبى ﷺ قال شيخ شيخنا الشرقاوى: وينبغى للتالى أن لا يعجل بها؛ فإن المصنف عوتب مناماً على عجلته فيها وعلى عدم رفع يديه فى التوسلات الإلهية اهـ، **(بقوله)** أى التالى **(اللهم)** أى يا الله **(صل)** فعل دعاء، أى ارحم رحمة مقرونة بتعظيم **(وسلم)** من السلام وهو الأمان من كل مخوف **(وبارك)** أى وأفض بركات الدين والدنيا أو أدم ما أعطيت من التشريف والكرامة، والبركة كثرة الخير ونماؤه **(على من)** أى الذى **(تشرفت)** أى صارت مشرفة **(به)** أى بسببه **(جميع)** بالرفع فاعل

تشرفت وهو لفظ يؤكد به ويطلق على الجيش والحى المجتمع **(الأكـوان)** أى الموجودات الدنيوية والأخروية، ولم يصرح باسمه الشريف لأن هـذا الوصف لا يكون على الكمال إلا له ﷺ **(وصلّ وسلم وبارك على سيدنا)** السيد هو الذى ساد فى قومه وعشيرته، أى تقدم عليهم بما فيه من خصال الكمال، وقيل: هو الحليم الذى لا يستفزه الغضب، وقيل: الناصر، وقيل: الكريم، وقيل غير ذلك، وكلها موجودة فيه ﷺ **(محمد)** هو أشرف أسمائه ﷺ **(الذى أظهرت)** أى أبنت وأوضحت **(به)** أى بسبب وجـوده وهديـه ونوره **(معالم)** جمع معلم وهو الأثر يستدل به على الطريـق كالعلامـة **(العرفان)** أى الذى ظهرت به آثار المعرفة الإلهيـة الخاصـة والعامـة وآثارها عبادة الله تعالى والقيام بخدمة كل على حسب معرفته، فما عرف الله من عرف إلا بواسطته، ولا دخل من دخل إلا من بابه عليه الصـلاة والسلام ولذا قال بعضهم:

فأنت باب الله أى امرئ أتاه من غيرك لا يدخل

(وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد الذى أوضـح) أى أبـان وأظهر بجوامع كلمه **(دقائق)** جمع دقيقة، يقال دق الشـىء إذا غمـض والمسألة دقت فهى دقيقة أى كل ما خفى من **(القرآن)** أى معانيه الدقيقـة والمراد به اللفظ المنزل على محمد ﷺ للإعجاز المتعبد بتلاوته المتحدى بأقصر سورة منه المحفوظ من التغيير والتبديل المشتمل على ما حوتـه جميع الكتب مع الزيادة، ومن خصائصه أن حامله إذا مـات أوحـى الله تعالى إلى الأرض ألا تأكلى لحمه، فتقول: إلهى كيف آكل لحمه وكلامك فى جوفه؟ وأن فضل حامله على غيره كفضل خالقه على المخلوق، ومن قرأه فكأنما استدرجت النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه، وأن لحامله دعوة مستجابة، وأن من قرأه فى المصحف كتب له ألف ألف حسنة ومن

قرأه فى غيره فألف حسنة، وأن فضله على كل الكلام كفضل الله علـــى سائر خلقه، وأن الله تعالى يرفع به أقواماً ويضع آخرين، وأنه غنـــى لا فقر بعده ولا غنى دونه، وأنه شافع مشفع، وأن عدد درج الجنة عدد آيه فمن دخلها من أهله لم يكن فوقه درجة، إلى غير ذلك مـــن الخصـــائص التى لا تحصى.

(فائدة) قد اختلف فى شرب الدخان فى مجلس القرآن بين الكراهة والحرمة، فبعضهم قال بالكراهة وبعضهم قال بالحرمة، وبه قال العلامة الأمير اهـــ، قال شيخنا السيد محمد السباعى: وهذا الذى ندين الله به، ولا وجه للقول بالكراهة عندى، فمن كان معى فهو معى وإلا فله دين ولـــى دين، ومما يغيظنى وأستعيذ الله منه رفع الصوت بالحديث الدنيوى فـــى مجلس القرآن مع أنه منهى عنه قال تعالى: **﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْـــوَاتَكُمْ فَـــوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾** [الحجرات:٢]، قال المفسر: أى حديث النبـــى، فـــالقرآن أولى بذلك اهـــ، **(وصل وسلم وبـــارك علـــى عـــين الأعيـــان)** المـــراد بالأعيان: الأشراف، وبالعين: العين الباصرة أى هو آلة إبصار الأشراف إذ به يبصرون ما غاب عنهم فيرتقون، وأنشد سيدى على وفا فـــى هـــذا المعنى فقال:

عيسى وآدم والصدور جميعهـــم   هم أعين هـــو نورهـــا لمـــا ورد
لو أبصر الشيطان طلعة نـــوره   فى وجه آدم كان أول من سجـــد

وهذان البيتان من قصيدة طويلة مطلعها:

سكن الفؤاد فعش هنيئا يا جسد   هذا النعيم هو المقيم إلـــى الأبد

ويحتمل أن يراد بالأعيان الذوات التى ظهرت منه أو برزت إلـــى الوجود فيكون بمعنى قوله **(والسبب فى وجود)** أى بروز وظهور **(كـــل**

إنسان) لحديث جابر بن عبد الله المتقدم ذكره المفيد أن الأشياء مخلوقة من نوره ﷺ، وخص الإنسان بالذكر لأنه أشرف من غيره **(وصل وسلم وبارك على من شيد)** أى رفع وأظهر **(أركان)** جمع ركن بالضم الجانب الأقوى اهـ، "قاموس" والمراد بها هنا أركان الإسلام الواردة فى حديث: «**بنى الاسلام على خمس**» **(الشريعة)** التى ليس بعدها شريعة، وهى ما شرعها الله لعباده من الدين، أى الأحكام الشرعية، وإضافة أركان للشريعة بيانية، قال سيدى على وفا – قدس سره –: وإنما كانت شريعته ﷺ ليس بعدها شريعة لأنها جاءت بجميع ماجاء به الأنبياء والمرسلون قبله وزيادة **(للعالمين)** بكسر اللام جمع عالم قال تعالى: ﴿**وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾ [العنكبوت:٤٣]، قال البيضاوى: العالمون هم الذين يتدبرون الأشياء على ما ينبغى **(وأوضح)** أى أبان وأظهر **(أفعال)** جمع فعل **(الطريقة)** أى الأفعال التى بملازمتها يسمى الشخص ملتبساً بالطريقة أى السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى مع قطع المنازل والترقى فى المقامات؛ لأن الطريقة عمل وتخلق ولزوم حدود ووفاء بعهود مع كمال شهود، وقال بعضهم: من ادعى كمال الطريقة بغير آداب الشريعة فلا برهان له، وقد مر الكلام عليها **(للسائرين)** جمع سائر وهو المسافر من أرض الشهود، النافر عن كل مبعد عن المقصود **(ورمز)** أى أشار وألغز **(فى علوم الحقيقة)** أى التى هى سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه لأنه الفاعل بك فيك منك لا أنت، وهى لا تخرج عن علم الشريعة، فما ثم حقيقة تخالف الشريعة، واعلم أن الحقيقة هى العلوم الباطنية؛ فإنه ﷺ أُوحيَ إليه ثلاثة علوم: علم أمره الله بإنشائه وهو علم الأحكام، وعلم خيره الله فيه، وهو علم الأسرار، وعلم أمره الله بكتمه، وهو علم القدر

وفى الحديث: «**علم الباطن سر من أسرار الله تعالى وحكم من أحكامه يقذفه الله تعالى فى قلب من يشاء من عباده**»، وعلم الباطن كما قاله الإمام الغزالى هو علم المكاشفة، ومن لم يكن له نصيب من هذا العلم يخشى عليه سوء الخاتمة، وأقل النصيب منه التصديق به والتسليم لأهله وعن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال: كنت أدخل على رسول الله ﷺ وهو وأبو بكر يتكلمان فى علم التوحيد فأجلس بينهمًا كأنى زنجى لا أعلم ما يقولون، ولهذا استعمل بعض الصوفية الرموز والإشارة وسموا أهل الإشارة لكثرة استعمالهم لها وأنشد بعضهم:

ألا إن الرموز دليل صدق على المعنى المغيب فى الفؤاد
وكل العارفين لها رموز وألغاز تدق على الأعادى
ولولا اللغز كان القول كفراً وأدى العارفين إلى الفساد

(للعارفين) جمع عارف وهو من أشهده الله تعالى ذاته وصفاته وأسماءه وأفعاله، والمعرفة حال يحدث عن الشهود، وإذا كان ﷺ متصفاً بهذه المنقبة العظيمة **(فصل وسلم اللهم عليه صلاة)** منصوب بصل على أنه مفعول مطلق **(تليق بجنابه)** أى ساحته وفنائه **(الشريف)** أى الرفيع المجيد **(ومقامه)** المعلوم لديك يا الله **(المنيف)** أى الذى طال وارتفع فلم يماثله مقام، وهو بضم الميم من أناف، قال فى "القاموس": ناف وأناف على الشىء أشرف، وأناف عليه: زاد اهـ، وفى "التهذيب": وناف الشىء ينوف طال وارتفع اهـ، أى ارتفع على كل ذى مقام فلم يمكن أن يساويه أحد من أهل القرب؛ إذ هو عرش العروش وسماء كل سماء، ولذا قال البوصيرى - رضى الله تعالى عنه -:

كيف ترقى رقيك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء
لم يساووك فى علاك وقد حا ل سنا منك دونهم وسناء
إنما مثلوا صفاتك للنا س كما مثل النجوم الماء

(وسلم) أعاده توطئة للمصدر المؤكد وهو قوله: **(تسليما)** وأتى بذلك للتأكيد موافقة للآية، ولم يؤكد الصلاة فيها اكتفاء بتأكيدها بإضافتها إلى الله تعالى وملائكته **(دائماً)** أى باقياً مستمراً لا انقضاء له على ممر الليالى والأيام **(يا الله يا رحمن يا رحيم)** وهذا موقف يقف عنده التالى ثم يبدأ بقوله: **(اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الذى زين)** أى جمل وكمل وحسن **(مقاصير)** مفعول زين جمع مقصورة، وهى الدار الواسعة المحصنة أو هى أصغر من الدار كالقصارة بالضم ولا يدخلها إلا صاحبها كذا فى "القاموس" **(القلوب)** جمع قلب وهو الفؤاد وتزيينه له ﷺ بالإيمان والعرفان، وقد شبه القلوب بمدينة واسعة وأثبت لها المقاصير تخييلاً وذكر التزيين ترشيحاً، ففى الكلام استعارة مكنية **(وأظهر)** أى أبان وأوضح **(سرائر)** أى بواطن جمع سريرة وهى ما يكتم وفى الحديث: «**قل اللهم اجعل سريرتى خيراً من علانيتى، واجعل علانيتى صالحة، اللهم إنى اسألك من مصالح ما تؤتى به الناس من المال والأهل والولد غير الضال المضل**» رواه الترمذى عن عمر وأنشدوا:

إذا ظهرت لله منك السرائر تجلى عليك الله والليل عاكر
وألبسك التقليد والتاج والحلى وفى الملأ الأعلى تدق البشائر

ومن حكم بعض العارفين: من صدقت سريرته حسنت سيرته **(الغيوب)** جمع غيب وهو ما غاب عنك، وقد أظهر ﷺ كثيراً من الأسرار الغائبة عن العقول والأفهام، فكل باطن ظهر فمن باطنه المقدس، وكل

ظاهر بدا وظهر فمن ظاهره الأنفس، فجميع الخلق يلتمسون من نور جنابه ﷺ ويقتبسون من مشكاة اقترابه ولهذا أشار بقوله: **(باب)** بالجر نعت لمحمد ﷺ لأنه هو الباب الأعظم الذى لايمكن أن يدخل أحد حضرة الله تعالى إلا بواسطته ﷺ **(كل طالب)** نيل القرب من الله، فأى طالب رام معرفة الله من غير بابه ﷺ فقد ضل وتاه ولحقه الاشتباه **(ودليل)** أى مرشد ومنجد **(كل محجوب)** عن شهود الحق، ومن أسمائه ﷺ دليل الخيرات أى الموصل إليها والدال عليها **(فصل وسلم اللهم عليه ما طلعت)** أى ظهرت وبرزت **(شمس)** تجمع على شموس، كأنهم جعلوا كل ناحية منها شمسا والمراد بها الكوكب النهارى الكائن مقره الطبيعى فى السماء الرابعة، وهو أعظم الكواكب كلها جرما وأشدها ضوءاً والقمر محله الطبيعى فى الفلك الأسفل من شأنه أن يقبل النور عن الشمس على أشكال مختلفة، ولونه الذاتى يميل إلى السواد، قال تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً﴾** [يونس:٥]، وفى الحديث الشريف : «**إن الله تعالى وَكَّلَ بالشمس تسعة أملاك يرمونها بالثلج كل يوم ولولا ذلك ما أتت على شىء إلا أحرقته**»، وعنه ﷺ: «**هل تدرون أين تغرب هذه؟ فإنها تغرب فى عين حمئة، إذا غابت فإنها تذهب حتى تأتى العرش فتسجد بين يدى ربها عز وجل فتستأذن بالرجوع فيأذن لها كأنها قد قيل لها: ارجعى من حيث جئت، فتطلع من مغربها فذلك مستقرها**» **(الأكوان)** جمع كون بمعنى المكون، والمراد بها عوالم الحق سبحانه وتعالى التى لا تحصى ومن جملة العالم عالمنا المقول فيه إنه قد احتوى على ستمائة عالم بحرية وأربعمائة برية، وكل عالم كون من أكوان الحق تعالى، ولو كشف الله تعالى عن أنوار قلوب أوليائه لغاب نور الشمس والقمر فيها، قال الشيخ أحمد بن عطاء الله فى مناقب الشيخ أبى العباس

المرسى وشيخه أبى الحسن الشاذلى – رضى الله تعالى عنهم –: ولقد أخبرنى بعض المريدين أنه قال: صليت خلف شيخى صلاة فشهدت ما بهر عقلى، وذلك أنى شاهدت بدن الشيخ والأنوار قد ملأته وأنبتت الأنوار من وجوده حتى أنى لم أستطع النظر إليه اهـ، وقال بعض العارفين إن لله عباداً كلما اشتدت ظلمة الوقت قويت أنوار قلوبهم كالكواكب كلما قويت ظلمة الليل قوى إشراقها اهـ، **(على الوجود)** أى الموجودات وهى الأكوان السابقة ففى الكلام إظهار فى مقام الإضمار **(وصل وسلم وبارك على من أفاض)** أى أفرغ **(علينا)** أى على ظواهرنا وبواطننا **(بإمداده)** أى بسبب إعطائه وعنايته ﷺ **(سحائب)** جمع سحابة وهى الغيم **(الجود)** بضم الجيم وهو السخاء شبهه بالسماء بجامع الرفعة على طريق الاستعارة المكنية، والإفاضة ترشيح، والسحائب تخييل والمراد بها النعم الظاهرة والباطنة التى يفيضها الله سبحانه وتعالى على عباده بواسطته ﷺ **(يا الله يا رحمن يا رحيم)**، ثم يبتدئ التالى فى النعت الثالث له ﷺ بقوله **(اللهم صل وسلم على سيدنا محمد صلاة تدنى)** أى تقرب **(بعيدنا)** أى البعيد منا معاشر الحاضرين أو الأمة **(إلى الحضرات الربانية)** المنسوبة للرب سبحانه وتعالى **(وتذهب)** تلك الصلاة النبوية أى تسير **(بقريبنا)** أى الذى قربته إلى حضرتك **(إلى ما لانهاية له من المقامات الإحسانية)** أى الناشئة عن الإحسان أى الإنعام **(فصل وسلم اللهم عليه صلاة تنشرح بها)** أى تتسع فتصير مهيأة لقبول الموارد الإلهية **(الصدور)** أى القلوب **(وتهون)** أى تسهل **(بها الأمور)** الصعبة المتعبة **(وتنكشف)** أى تزول **(بها الستور)** المرسلة على الفؤاد المحصور فيشاهد فى عالم القصور رب القصور المملوءة بالنور المحدقة بها الحور، ويلاحظ البيت المعمور؛ إذ الصلاة نور أى تنور القلب

وتطهره **(وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين)** أى يوم الجزاء وهو يوم القيامة **(آمين)** مر الكلام عليها **(سبعا)** أى يكرر التالى لفظ آمين سبع مرات ولعل الحكمة فى ذلك أنها يستحب الإتيان بها فى آخر الفاتحة وهى سبع آيات فكررت بعدد آياتها، ثم يقول التالى بلسان الانكسار: **(دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام)** أى قول بعضهم لبعض: سلام عليكم **(وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)** أى أن يقول ذلك، وذكر الآية عقب الصلوات لما فيها من الإشارة إلى الختام ولأن المصلى عليه آخر النبيين ولما فيها من التفاؤل من أن المصلى من أهل الإيمان الذين يدخلهم الله فى دار الإحسان، ووجه مناسبتها للقصيدة الآتية أن فيها ذكر أهل الجنة فإذا سمعها المشتاق حن إلى تلك المنازل وشمر عن ساعد الجد والاجتهاد لعلمه أنها لا تنال بالكسل والبطالة فينبغى أن يخاطب بقم نحو حماه إلى آخره **(ثم يقرأ الفاتحة)** سراً ويدعو الله بما يحب **(ويهدى)** بضم الياء من أهدى **(ثوابها)** أى الفاتحة أى ماله فى مقابلة قراءتها من الأجر والجزاء **(لمؤلف الورد)** أى مصنفه مكافأة له على ما أسداه إليه لقوله ﷺ «**من صنع إليكم – وفى رواية: معكم – معروفاً فكافئوه**» ولا قدرة لنا على مكافأة هذا الإمام من أنواع المكافأة إلا بالدعاء له وعنه ﷺ: «**من أسدى إلى قوم نعمة فلم يشكروها فدعا عليهم استجيب له**»، فينبغى على المريد أن يدعو لشيخه، فإن ترقى الشيخ فى المقامات ينفع المريد؛ لأنه قد يترقى بدعوة المريد إذا صدق فى طلبه، وحكى سيدى محيى الدين عن نفسه أنه كان يتأدب أولا مع أشياخه، ثم إذا تقدم عليهم تأدبوا معه إعطاء للرتبة حقها وإلى ذلك أشار ابن الفارض بقوله:

أممت إمامى فى الحقيقة فالورى ورائى وكانت حيث وجهت وجهتى

وعلى هذا فللشيخ حق التقدم والإرشاد فعلى المريد إذا رأى نفسه موفقا للقيام فى الأسحار والوقوف بين يدى الله تعالى مع الذلة والاحتقار أن يشكر مولاه ومن تام شكره شكر من وصل إليه هذا الخير على يديه فإن من لم يشكر الناس لم يشكر الله، ومن شكره الدعاء له بظهر الغيب **(ثم يشرع)** أى يبتدئ التالى **(فى المنبهجة)** أى فى قراءتها، وتقدم وجه تسميتها بالمنبهجة، وهى من بحر الخبب، وهو السادس عشر الذى أهمله الخليل وأثبته الأخفش، سمى بذلك لقصر أجزائه، ولأن تقطيعه يشابه فى السمع ركض الخيل وخببها، وأجزاؤه: فعلن فعلن ثمان مرات، والكلام عليه مبسوط فى محله فيقول: **(قم)** فعل أمر، والخطاب للحاضر فى الذهن أو الحس، أى قم أيها الطالب الذى قعد عن السير لاشتغال قلبه بغير مولاه ممتثلا لقوله تعالى: **﴿وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ﴾** [البقرة:٢٣٨] أى طائعين **(نحو)** أى جهة **(حماه)** أى حضرة الله المحمية عن دخول أحد إليها إلا بملازمة خدمته والتذلل بين يديه؛ لأن الحمى مأخوذ من حميت المكان جعلته حمى فهو محمى أى محظور على غير مالكه وفى الحديث: «**لا حمى إلا لله ورسوله**» ويطلق حمى الله على محارمه كما فى حديث «**ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه**» أى التى حرمها ومنع القرب منها، ويصح أن يراد بالحمى هنا الكلمة الطيبة كما يفيده حديث: «**يقول الله تعالى: إنى أنا الله لا إله إلا أنا، من أقر لى بالتوحيد دخل حصنى، ومن دخل حصنى أمن من عذابى**»، وأنشد سبط سيدى عمر بن الفارض – قدس سره –:

فيا حبذا تلك الشهادة إنها لقائلها حرز من النار مانع
هى العروة الوثقى بها فتمسَّكَنْ وحسبى بها أنى إلى الله راجع

والقيام نحوها بملازمة ذكرها والإتيان بما تقتضيه من طاعـــة الله تعالى **(وابتهج)** الابتهاج هو السرور أى افرح بإقبالـــك علـــى مـــولاك وينبغى أن يكون فرحك بمولاك لا بما أولاك مـــن طاعتـــه، وأن يكـــون الخوف أغلب عليك من السرور كما هو شأن العارفين وقد قيل: اجلـــس على البساط وإياك والانبساط.

(ويحكى) أن الشبلى دخل عليه شيخه الجنيد وهو يصـــفق فرحـــاً بنظر الحق إليه وتوالى الأعمال الصالحة عليه فصبر حتـــى أفـــاق مـــن سكرته، وقال له بعدما أخبره عن سبب فرحه: لاتخلو من أحد أمرين: إما أن تكون داخل الحضرة أو خارجاً عنها، فإن كانت خارجاً فماذا حصلت؟ وإن كنت فيها فهذا ليس من الأدب، فقال: أتوب يا أســـتاذ؟ فقـــال: نعـــم **(وعلـــى ذاك)** إشارة للبعيد بناء على عدم إثبات الواســـطة بـــين البعيـــد والقريب، أما على إثباتها فلابد فى إشارة البعيد من زيـــادة الـــلام مـــع الكاف، فإن لم تزد كما هنا كان من إشـــارة المتوســـط وخيـــر الأمـــور أوسطها **(المحيا)** بفتح الميم وسكون الحاء أى الحياة الطيبة الهنيئة بسبب خدمة المولى والسرور بالإقبال عليه **(فعج)** بضم العين من عاج يعـــوج والأمر تابع للمضارع بمعنى: انعطف عليه أو قم به، يقال: عجت البعير أعوجه عوجا ومعاجا إذا عطفت رأسه بزمامه، وعاج بالمكان أقـــام بـــه ولما كان دخول ذلك الحمى لا يمكن بدون قطع العلائق وترك الأكـــوان أرشد طالب دخوله بقوله: **(ودع الأكوان)** أى المكونات، أى دع الاشتغال بها بقلبك أو دع قصدها بعبادتك فإن من جملتها الجنة بما فيها، ولا ينبغى للسالك أن يقصد ذلك بعبادته؛ لأن الوقوف مع شىء فى هـــذه الطريقـــة قاطع للمريد عن السير، قال ابن عطاء الله – قدس سره –: كيف يشرق قلبُ مَنْ صور الأكوان منطبعة فى مرآته؟ أم كيف يرحل إلى الله وهـــو

مكبل فى شهواته؟ أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله تعالى وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته؟ أم كيف يرجو أن يفهم حقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته؟ اهـ، فالطريق أوله تخل ويعبر عنه بمحو نقوش الأكوان من مرآة الفؤاد، فلا يزال المريد بين محو وإثبات تارة فى الأفعال وتارة فى الأوصاف، أى محو الأفعال والأوصاف الذميمة وإثبات ضدها إلى أن تطلع عليه شمس المعرفة **(وقم غسقا)** منصوب على الظرفيه الزمانية، وتنوينه عوض عن المضاف إليه وأصله غسق الليل أى وقت هجوم الظلام وانصبابه وهو وسطه وخص هذا الوقت لقلة من يقوم فيه للتعبد لأنه وقت الرقدة الطيبة، فمن خالف هواه وقام فيه لا يخيبه مولاه، وتقدم الحث على القيام فى السحر أيضاً، ثم اعلم أن الظلمة تضبط الحواس وتجمع همة القيام فيها، ولذا استحب الأشياخ أن يكون الذكر فيها لئلا ينتشر البصر فتتفرق الحواس الظاهرة ويبطل عمل الباطنة، وربما ظهر للذاكر لمحة من لوائح الكشف وأول ما يقع للسالك فى بدايته اللوائح ثم اللوامع، وإذا بزغت شمس المعرفة فى سماء الفؤاد انقطعت تلك الأحوال لأنه لا ينبغى للسالك الركون إليها، وأشار بقوله "وقم غسقا" إلى أنه ينبغى إخفاء الأعمال، ومن باب أولى الأحوال خوف الرياء، إلا إذا صفت السرائر وصحت النيات فلا بأس بالإظهار لإرشاد غيره ولذا كان أبو مدين - رضى الله تعالى عنه - يقول لأصحابه: أعلنوا بالطاعات كما يعلن أحدكم بالمعاصى.

فإن قلت إن فى إظهارها تحدثًا بالنعمة وهو مأمور به فى قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ [الضحى:١١]، قلنا: يكفى إظهار ذلك لشيخه دون غيره **(واصدق)** بضم الدال من الصدق ضد الكذب، قال

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]، وقال ﷺ: «**عليكم بالصدق فإنه باب من أبواب الجنة وإياكم والكذب فإنه باب من أبواب النار**»، **(فى الشوق)** أى شوقك إلى الله تعالى **(وفى اللهج)** أى واصدق فى اللهج أى الكلام، ففى الحديث: كان ﷺ أصدق الناس لهجة أى كلاما، ومعناه فى اللغة الولوع بالشىء والصدق فى الشوق من الصدق فى الأحوال وفى اللهج من الصدق فى الأقوال، وكما يطلب الصدق فى ذلك يطلب أيضاً فى الأفعال والنيات والجامع لذلك يسمى صِدّيقا، ودرجة الصديقين أعلى المقامات والدرجات بعد النبوة، وقد مدح الله تعالى بها بعض أحبابه فى كتابه فقال: ﴿**فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ**﴾ [النساء:٦٩]، وقال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا**﴾ [مريم:٤١] ومن علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعا وكراهة إطّلاع الخلق عليهما، قيل: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: إنى إذا أحببت عبداً ابتليته ببلاء لا يقوم له الجبال لأنظر كيف صِدْقُه، فإن وجدته صابرا اتخذته ولياً وحبيباً، وإن وجدته مجزوعا يشكونى إلى خلقى خذلته ولا أبالى، وأقل الصدق استواء السريرة والعلانية، وأعلى منه كون السريرة أحسن من العلانية **(والزم)** أمر من الملازمة وهى مصاحبة الشىء وعدم مفارقته والاعتناء به **(باب)** وهو ما يتوصل به إلى المقصود **(الأستاذ)** بالذال المعجمة والتاء المثناة فوق، وهو لفظ فارسى معرب؛ لأن السين والذال لا يجتمعان فى كلمة عربية، وقد فسر بتفاسير منها: الداعى إلى الله على بصيرة، الوارث للمقام المحمدى، المتخلق بالشريعة فى ظاهره، فمن لازم بابه نجا قال أبو بكر الوراق: من علامة

المريد الصادق ألا يفارق شيخه من حين يدخل معه فى العهد، ولا يفعل شيئا إلا إذا صحت له الإرادة، فإن صحت له فهناك أوائل البركة اهـ ومن كلام سيدى الشيخ الرفاعى – قدس سره –: من ليس له شيخ فشيخه الشيطان، وإن المريد ينال من الله تعالى بركة شيخه بقدر أدبه وحفظ حرمة شيخه، وعلى المريد أن يعرف لشيخه الحق بعد وفاته كما يعرف له الحق فى حال حياته اهـ وقال القطب القشيرى – قدس سره –: سمعت أحمد بن يحيى الأبيوردى – رضى الله تعالى عنه – يقول: من رضى عن شيخه رضى عنه ربه، ومن تغير عليه قلب شيخه غضب عليه ربه فلا ينتج قط اهـ، ويصح أن يراد بالأستاذ جنابه ﷺ إذ هو الواسطة العظمى فينصرف إليه اللفظ عند الإطلاق، وبابه أخلاقه السنية فمن لازمها وتخلق بها ارتقى إلى أعلى المقامات **(تفز)** مجزوم فى جواب الأمر أى تنج وتظفر بالخير، مأخوذ من فاز من باب قال كما فى "المختار" **(وتكون)** الواو للاستئناف وتكون مضارع كان الناقصة واسمها ضمير مستتر وخبرها نجى وأصلها نجيا ووقف عليه مع حذف الحركة والألف على لغة ربيعة ويحتمل أن تكون تامة أى وتوجد بعد العدم **(بذلك)** أى بسبب ملازمة باب الأستاذ **(خل)** بحذف ياء النداء أى: يا خل بكسر الخاء وتشديد اللام، والخل والخليل هو الصديق، والأنثى خليلة، ومر الكلام عليه **(نجى)** أى ناجياً من الهلاك **(واخرج)** أمر من الخروج ضد الدخول قال تعالى: **﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾** [الإسراء:٨٠]، والخروج قد يكون عن المال ويسمى صاحبه زاهداً، وقد يكون عن الأهل والعيال للإقبال على الكريم المتعال ويسمى صاحبه عابداً، وقد يكون عن النفس والهوى ويسمى

صاحبه مجاهدا، وقد يكون عن رؤية السوى ويسمى صاحبه مشاهدا، قال تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ من بَيْتِه مُهَاجِرًا إِلَى اللَّه وَرَسُولِه ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللَّه﴾ [النساء:١٠٠] وعنه عليه الصلاة والسلام: «**من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله تعالى حتى يرجع**»، قاله المصنف، وكل من يخرج عن وصف ذميم، وتحلى بما يقابه فهو فى طاعة الله تعالى فلذا قال المصنف – قدس الله سره ونفعنا به –: **(عن كل هوى)** أى عن كل ما فيه ميل للنفس، وهو مقصور وجمعه أهواء قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات:٤٠-٤١]، قال القاضى البيضاوى – رحمه الله تعالى –: الهوى ميل النفس إلى ما تشتهيه اهـ، والمراد هنا الاسترسال فى الشهوات ومطاوعة النفس فى كل ما ترومه، سمى بذلك لأنه يهوى بصاحبه فى الدنيا إلى الداهية، وفى الآخرة إلى الهاوية، ويحتمل أن يكون أراد به المحبة؛ إذ يطلق الهوى عليها لأنه يستعمل فى الخير والشر، وهو بهذا المعنى حجاب؛ إذ المحبة الاستهلاك فى أوصاف المحبوب، قال أبو يعقوب السنوسى: لا تصح المحبة إلا بالخروج عن رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب بفناء عالم المحبة، قال المصنف – رضى الله تعالى عنه – فى مطلع قصيدة مشيرا لهذا المقام:

حجاب الهوى عنا متى ذاك يرفع بوصف انمحاق كى به العبد يرفع

فاحتمل كلامه هوى النفس المذموم، أى متى يرفع بوصف الانمحاق، فكلام المصنف يحتمل الهوى الممدوح أو المذموم كما احتمل ذلك فى مطلع قصيدته كما هو ظاهر **(أبداً)** أى دائما سرمدا **(ودع التلفيق)** مصدر لفق قال فى "المختار": واللفق هو أن يضم شق ثوب

لآخر فيخيطهما وبابه نصر، وأحاديث ملفقة أى أكاذيب مزخرفة اهـ والمراد به هنا أن يضم إلى طريقه ما ليس فيه من طريق آخر فيكون كمن يلفق فى المذاهب، وهذا لا يصح بإجماع القوم، نَعَمْ من سلك طريقا ولم يجد الفتح فيها كان له أن يطلب غيرها؛ فإن المقصود المسير إلى الله تعالى والقرب منه، وكل طريق لا يوصلك إلى مالك الملوك لا ينبغى الوقوف عنده **(مع الهرج)** بتحريك الراء للوزن والأصل فيها السكون وفى الحديث «**بين يدى الساعة أيام الهرج** »، وفسر فيه بالقتل وفى "القاموس": والناس يهرجون: وقعوا فى فتنة واختلاط وقتل. انتهى. أى دع الدخول فى الفتنة المؤدية إلى القتل غالبا وعليك بخاصة نفسك لحديث: «**إذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا - هكذا وشبك بين أنامله - فالزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بخاصة أمر نفسك، ودع عنك أمر العامة**» رواه الحاكم عن ابن عمر، ويحتمل أن يراد بالفتنة الفتنة بالمال والأولاد لقوله تعالى: ﴿**أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ**﴾ [الأنفال:٢٨]، والمعنى: دع الافتتان أى التعلق بها فإنه شاغل عن الله تعالى وعنه ﷺ: «**إن بين يدى الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم ويكثر الهرج**» والهرج: القتل، رواه الشيخان عن ابن مسعود وأبى موسى، ولما نصح وبالغ فى النصيحة وعلم أن هذا الزمان هو المشار إليه بقول سيد ولد عدنان: «**سيأتى على أمتى زمان يكثر فيه القراء ويقل الفقهاء ويقبض العلماء ويكثر الهرج، ثم يأتى بعد ذلك زمان يجادل المشرك بالله المؤمن فى مثل ما يقول**»، رواه الطبرانى والحاكم عن أبى هريرة، وأنه الزمان الذى تتأكد فيه العزلة والتزام البيوت إلى أن يأتى الأجل فيقضى على صاحبه فيموت وأن الناصح عزيز وجوده قليل شهوده ليس فيهم من

ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله قال المصنف محذرا للسالك من صحبة من تضر صحبته بقوله: (**إياك**) أى احذر (**أخى**) أى يا أخى فى العهد أو فى الإسلام (**ترافق**) أى تتخذ رفيقاً أى صاحباً (**من**) اسم موصول بمعنى الذى (**لم ينهك**) أى يزجرك ويصدك (**عن طرق**) جمع طريق، ويجمع على أطرقة، وهو السبيل الذى تمر فيه العامة، ثم استعير للطريق المعنوية (**العوج**) أى الاعوجاج عن الشريعة والمنهاج، والمعنى: احذر أيها الأخ مرافقة من يراك قد زغت عن طريق الهدى ووقعت فى حبائل الردى ولم ينهك عن ذلك؛ فإن صحبته حينئذ تؤدى إلى المهالك ورافق من يذكرك إذا نسيت، ويلينك إذا قسيت، ويعرفك بنقصك، ويبكيك بذمه وقدحه، وييسر عليك ولا يعسر، ويبشرك ولا ينفر، ولذا قال بعضهم:

من ليس يبكيه ناصحوه يضحكك من حاله عداه

أدبه حادث الليالى مالم يؤدبه والداه

قال القطب الشاذلى – قدس سره –: سألت أستاذى – رضى الله تعالى عنه – عن قوله عليه الصلاة والسلام: «**يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا**»، قال: يعنى دلوهم على الله تعالى ولا تدلوهم على غيره؛ لأن من دلك على الدنيا فقد غشك ومن دلك على الله فقد نصحك اهـ، (**اقنع**) أى ارض بالقسمة؛ فإن القناعة كنز لا يفنى؛ لأن القناعة تنشأ من غنى القلب بقوة الإيمان، وعنه ﷺ أنه قال: «**كن ورعا تكن أعبد الناس، وكن قنعا تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً، وأقل من الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب**»، وعنه ﷺ: «**ابن آدم لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع، ابن آدم إذا أصبحت معافى فى جسمك آمناً فى سربك عندك قوت**

يومك فعلى الدنيا العفا»، (وازهد) الزهد: ضد الرغبة، تقول: زهد فيه وزهد عنه مِن باب سلم اهـ، قاله فى "المختار" أى ازهد فى الدنيا قال ﷺ: «**من زهد فى الدنيا أربعين يوما وأخلص العبادة أجرى الله على لسانه ينابيع الحكمة من قلبه**»، وقال: «**الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة فى الدنيا أن لاتكون بما بيدك أوثق منك بما فى يد الله، وأن تكون فى ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها بقيت لك**» وقال القطب الشاذلى – قدس سره –: رأيت الصديق الأكبر فى المنام – رضى الله تعالى عنه – فقال لى: أتدرى ما علامة خروج حب الدنيا من القلب؟ قلت" لا أدرى، قال: علامة خروج حب الدنيا من القلب بذلها عند الوجد، ووجود الراحة منها عند الفقد اهـ، وقال أبو العباس المرسى – قدس سره – رأيت عمر ابن الخطاب فى المنام – رضى الله تعالى عنه – فقلت له: يا أمير المؤمنين ما علامة حب الدنيا؟ قال: خوف المذمة، وحب الثناء اهـ، وفى الزهد كلام طويل مبسوط فى شرح المصنف الكبير فانظره إن شئت **(واذكره)** أى الله تعالى: وتقدم الكلام على ما يتعلق بالذكر **(كذاك)** أى كما أوصيتك بالقناعة والزهد والذكر أوصيك بأنك **(باب سواه لا تلج)** بكسر اللام لأن ماضيه ولج كوعد، الولوج: الدخول، أى لا تقصد باب غير مولاك للدخول، فإن باب غيره يغلق أحياناً بخلاف بابه، فإنه مفتوح دائماً وأبداً على الدوام **(وادخل للحان)** يعنى الحانة، وذلك أن الحان يطلق على الحانوت سواء كان للخمار أو لغيره بخلاف الحانة، فإنها خاصة بحانوت الخمار، قال فى "الصحاح": والحانات المواضع التى يباع فيها الخمر منسوبة إلى الحانة وهو حانوت الخمار والحانوت معروف والجمع حوانيت انتهى، والمراد به هنا مقام المحبة فمن دخل حانها ودار عليه

من دنانها هام وعربد وقام على قدم الهيام يتعبد وهذه الخمرة التى أشـــار لها ابن الفارض بقوله:

شربنا على ذكر الحبيب مدامـــة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

وقال أيضا:

فتلك خمرة الشهود تدعى لا خمرة الكرم والدنـــان

(خليل) بحذف حرف النداء أى يا صديقى **(ومــل)** أى أقبل وتوجه بكليتك **(نحو)** أى ناحية **(الخمار)** هو صاحب الخمر، والمراد به القــرآن العظيم فإنه مسكر للألباب لفصاحته وبلاغته، و يكون المراد بالميل نحوه العمل بأوامره واجتناب نواهيه، أو المراد به الأستاذ المرشد فإنه يســكر الطلاب برفيع الكلام، أو المراد به سيد الخلق عليه الصلاة والســلام إذ هو الساقى للأرواح من شراب معرفة الفتاح، وللأسرار من شراب محبة الستار، وللعقول من شراب المنقول وللأجساد من شراب الانقياد **(أبــى)** أى صاحب **(السرج)** بضم السين والراء المهملتين جمع سراج، وهو فى اللغة: المصباح الحامل للنور كالفتيلة التى يستضاء بهــا ويوصـــف بـــه الشمس والقمر وكل مضىء مجازاً لعلاقة المشابهة، والمـــراد بـــه هنـــا الآيات القرآنية أو حكم الأشياخ أو السنة الغراء؛ فإنهـــا حاملـــة للنـــور المعنوى الذى تحصل به الهداية، وقد يطلق السراج على ذاته ﷺ، قـــال تعالى: ﴿**وَسِرَاجًا مُّنِيرًا**﴾ [الأحزاب:٤٦]، سمى بذلك لوضوح أمـــره ﷺ وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء بـــه، فهـــو يشـــبه السراج من حيث أنه يستضاء به فى ظلمات الجهالة، وتقتبس من نـــوره جميع الأنوار السابقة واللاحقة لا ينقص ذلك شيئاً من نوره، ولذا أشـــار صاحب الهمزية فقال:

أنت مصباح كل فضل فما تصـــ ــــدر إلا عن ضوئك الأضواء

فهو أبو السرج المشرقة، وهم الأنبياء والورثة لــه ﷺ، قــال ﷺ: «**اتبعوا العلماء فإنهم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة**»، رواه الديلمى فــى مسند الفردوس عن أنس **(واشرب)** فعل أمر، أى من الخمرة بيد الخمــار **(واطرب)** من الطرب وهو خفة تعترى الإنسان لشدة حــزن أو ســرور والمراد هنا الثانى **(لاتخش)** أى لاتخف **(سوىً)** أى غيراً؛ لأن الشــارب الطرب لا يخشى الأغيار **(إياك)** أى احذر أيها الأخ فــى الله **(تمــل)** أى تنحرف وتزيغ **(عن ذا)** بفتح الذال المعجمة أى عن هذا **(النهج)** بسكون الهاء والفتح لغة، والنهج: الطريق الواضح الذى أمرتك بسلوكه مــن أول القصيدة إلى هنا، ولما كانت النفس شأنها السكر فى هواها أخذ يخاطبهــا بقوله: **(كم)** اسم بمعنى كثير مبنى على السكون فى محل رفع مبتــدأ أول و**(أنت)** مبتدأ ثان خبره: **(كذا)** أى متمادٍ فى غفلتك، والجملة خبر المبتــدأ الأول، وقوله **(لم تصح)** تفسير لكذا أى لم تفق من سنة الغفلة **(أفــق)** من أفاق أى انتبه أيها السكران؛ فالعمر يومان: يوم لك وهو ما صرفته فــى الطاعة، ويوم عليك وهو ما صرفته فى الإضاعة، فأفق من هذه النومــة الدنية، فإن قلت: وهل يقدر العبد أن يأتى بشىء من هــذه الأعمــال إلا بحول وقوة من العزيز المتعال؟ قلت: نعم، غير أن للعبد جزءاً اختياريــاً يترتب عليه الثواب والعقاب، والعبد مأمور بالكسب وتعــاطى الأســباب مجبور فى صورة مختار، فمن وجد عنده داعية الإقبال على الله تعــالى فهو الموفق السالك، وإلا فهو المخذول الهالك، نسأل الله تعالى الســلامة من ذلك، وينبغى للتالى أن يخاطب نفسه بقوله: كم أنت كذا لم تصح أفق الخ، لأن العارف المحكم الأساس من شغلته عيوب نفسه عــن عيــوب الناس، وقد كان عمر بن عبد العزيز – رضى الله تعالى عنــه – ينشــد ويخاطب نفسه بقوله:

متـــى متـــى لا ترعـــوى وإلـــى متـــى وإلـــى متـــى

ما بعـد أن سـميت كهـــ ـــلاً واسـتلبت اسـم الفتـى

لاترعـــــوى لنصـــيحة وإلـــى متـــى وإلـــى متـــى

وكان الأستاذ سيدى محمد السباعى - رضى الله تعـالى عنـه - كثيراً ما يقول: هنيئاً لمن شغلته عيوبه عن عيوب غيره **(وإلى الأبـواب)** أى وإلى أبواب الطاعات **(فقم)** أى بادر إليها؛ لأن العبد مأمور بالقيام بما أمرت به الشريعة إلى أن يموت فإذا مات زال التكليـف بالطاعـة وإذا وقعت منه كانت على سبيل الاستلذاذ، كما روى عن ثابـت بـن أسـلم البنانى أنه كان يقول فى دعائه: اللهم إن كنت أعطيت أحداً مـن خلقـك الصلاة فى قبره فأعطنيها، فلما مات وسدوا عليه باللبن وقعت لبنة فـإذا هو قائم يصلى اهـ، **(ولج)** بكسر اللام أى ادخل بهمة ونشاط واسـتعن بمولاك، ثم إن المصنف - قدس سره - رجع من الغيبة للخطاب وفـتح باب المناجاة بلسان الذل والانكسار فقال: **(مولاى أتيتك)** أى أتيت أبواب عزك **(منكسراً)** حال من أتيتك، أى ذليلاً خاضعاً لعظمتك فإن قلت: مـا فائدة قول ذلك باللسان مع غفلة القلب؟ قلت: المنـاجى لابـد أن يكـون مستحضراً لعظمة ربه، ومن استحضر عظمته ذل وهان، فيكون صـادقاً فى دعواه أو أن ذلك من باب التمنى منك يا مولاى أن تجعلنـى بتلـك الصفة وتمن علىَّ بذلك من فضلك وإحسانك، فإنك جواد كريم تعطى من غير مسألة، ونحن قد تمنينا عليك ذلك **(وبغيـرك)** أى بغير حب جمالـك وقربك، والباء بمعنى اللام **(شوقى)** أى اشتياقى الساكن فى فـؤادى أى الذى قد انطوت عليه أكبادى **(لم يهج)** أى لم يتحرك شوقى لحب سـواك لأنك المحسن الحقيقى، والنفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، فـإذا

تاه العبد ووقع منه الحب للغير فلابد أن يرجع عن ذلك ويعترف بالتقصير، ومن تحقق فى هذا المشهد ذوقاً لم يطالب فى أعماله بالإخلاص لغيبته بربه عنها، فلذا أرشد المصنف الطالب أن يقول: **(وأتيت)** معطوف على أتيتك أى وقصدتك وتوجهت **(إليك)** أى إلى أبواب جودك حالة كونى **(خلياً)** أى خالياً فارغاً **(من)** شهود **(صومى)** هو لغة مطلق الإمساك، قال تعالى: ﴿**إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا**﴾ [مريم:٢٦] قال ابن عباس: أى صمتاً اهـ، وشرعاً إمساك عن المفطر جميع النهار من شخص مخصوص مع النية، وفى اصطلاح أهل الحقيقة: هو الإمساك عن رؤية غير الله تعالى، وأنشد الجيلى - قدس سره -:

وصومى هو الإمساك عن رؤية السوى وفطرى إلى نحو لوجهك راجع

وقال ابن الفارض - قدس سره -:

وبالحج إن أحرمت لبيت باسمها وعنها أرى الإمساك فطر صيامى

وقد ورد فى فضله أحاديث كثيرة قال ﷺ: «**الصوم جنة وحصن حصين من النار**»، وقال: «**للصائمين باب فى الجنة يقال له الريان لا يدخل فيه أحد غيرهم، فإذا دخل آخرهم أغلق، من دخل فيه شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً**»، وقال: «**الصائم فى عبادة وإن كان نائماً على فراشه**»، ولما اختص الصوم بهذه المناقب قال ﷺ مخبراً عن الله تعالى: «**الصوم لى وأنا أجزى به**»، وقال ﷺ: «**يوضع للصائمين مائدة يوم القيامة من ذهب يأكلون منها والناس ينظرون**»، وقال: «**ثلاثة لا يسألون عن نعيم المطعم والمشرب: المفطر والمتسحر وصاحب الضيف، وثلاثة لا يلامون على سوء الخلق: المريض والصائم حتى يفطر والإمام العادل**»، وقال: «**إن الله سبحانه وتعالى يومئ إلى الحفظة أن لا يكتبوا على صوّام عبيدى بعد العصر سيئة**»، **(وصلاتى)** وهى لغة

الدعاء، وشرعا أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة، وفى اصطلاح القوم هى الوصول إلى منازل القرب وأهله الذين هم على صلاتهم دائمون؛ لأنهم عن الغفلة معزولون، وفى الجلال والجمال والكمال مهيمون، غلب عليهم الوصف الملكى فلا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لو قرضوا بالمقاريض ما تركوا أدباً من آداب الشريعة لأنهم العلماء العاملون، وهؤلاء هم الذين إذا شرع أحدهم فى الصلاة الشرعية يشتهى أن لا تفارقه حتى يرفع بها إلى عليين ومنهم من يستغرقه التجلى ما دام فيها، ومنهم من يصحبه ذلك إلى الصلاة الأخرى وأنشد الجيلى فى معنى ذلك - رضى الله عنه -:

أصلى إذا صلى الأنام وإنما صلاتى لأنى باعتزازك خاضع
أكبر فى التحريم ذاتك عن سوى واسمك تسبيحى إذا أنا خاشع
أقوم أصلى أى أدوم على الوفا بأنك فرد واحد الحسن جامع
وأقرأ من قرآن حسنك آية فذلك قرآنى إذا أنا راكع
وأسجد أى أفنى وأفنى عن الفنا وأسجد أخرى والمتيم والع

وقد ورد فى فضلها أحاديث كثيرة قال ﷺ: «**ما من حالة يكون عليها العبد أحب إلى الله تعالى من أن يراه ساجداً يعفر وجهه فى التراب**»، وقال ﷺ: «**تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود حرمه الله عز وجل على النار**»، وقال: «**إن العبد إذا قام يصلى أتى بذنوبه كلها فوضعت على رأسه وعاتقيه فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه**»، إلى غير ذلك من الأحاديث.

(فائدة) قال القطب الشعرانى - رضى الله تعالى عنه - فى ميزانه نقلاً من شيخه الخواص: إنما كانت الحرة تكشف وجهها وكفيها فى الصلاة فتحاً لزيادة باب التعظيم لله تعالى عند العارفين فيقول أحدهم:

إن هذه المرأة فى حضرة الله تعالى و حفظه فلا يجوز لأحد أن يطمع ببصره إليها كولد اللبوة فى حجر اللبوة وهذا هو السر أيضا فى كشف وجهها فى الإحرام؛ فإنها فى حضرة الله تعالى الخاصة فمن حفظه الله تعالى عظم الحضرة فلم ينظر إلى وجه المرأة أدباً مع الله تعالى التى هى فى حضرته، ومن أشقاه الله تعالى غفل عن ذلك فنظر فاستحق المقت من الله تعالى اهـ، **(مع حججى)** بكسر الحاء جمع حجة وهو لغة القصد وشرعاً قصد الكعبة للنسك، وفى اصطلاح القوم: قصد الحق مجرداً عن الشواغل متطهراً عن العلل، قال عبد الله بن المبارك تلميذ الشبلى: لما رجعت من الحج قال لى الشبلى: عقدت الحج؟ فقلت: نعم، فقال: فسخت بعقدك كل عقد عقدته منذ خلقت مما يضاد ذلك العقد؟ فقلت: لا، قال لى: ما عقدت، ثم قال: نزعت ثيابك؟ قلت: نعم، فقال: تجردت عن كل شيء؟ فقلت: لا، فقال لى: ما نزعت، فقال لى: تطهرت؟ قلت: نعم، فقال لى: زال عنك كل علة بتطهرك؟ قلت: لا، قال: ما تطهرت، ثم قال لى: لبيت؟ قلت: نعم، فقال لى: وجدت جواب التلبية بتلبيتك مثله؟ قلت: لا فقال لى: ما لبيت، ثم قال لى: دخلت الحرم؟ قلت: نعم، قال لى: اعتقدت فى دخولك الحرم ترك كل محرم؟ قلت: لا، قال لى: ما دخلت الحرم، ثم قال لى: أشرفت على مكة؟ قلت: نعم، قال لى: أشرفت عليك حال من الحق سبحانه وتعالى لإشرافك على مكة؟ قلت: لا، قال لى: ما أشرفت على مكة، ثم قال لى: دخلت المسجد، قلت: نعم؟ قال: دخلت فى قربه من حيث عملت؟ قلت: لا، قال: ما دخلت المسجد، ثم قال لى: رأيت الكعبة؟ قلت: نعم، فقال لى: رأيت ما قصدت له؟ فقلت: لا، قال لى: ما رأيت الكعبة، ثم قال لى: رملت ثلاثا ومشيت أربعا؟ فقلت: نعم، فقال لى: هربت من الدنيا هرباً علمت فيك أن قد فاصلتها وانقطعت عنها

ووجدت بمشيك الأربعة أمناً مما هربت منه فازددت شكراً لذلك؟ فقلت: لا، قال لى: ما رملت، ثم قال: صافحت الحجر وقبلته؟ قلت: نعم، فزعق زعقة وقال: ويحك إنه قد قيل من صافح الحجر فإنه قد صافح الحق تعالى ومن صافح الحق تعالى فإنه فى محل الأمن، أظهر عليك أثر الأمن قليلا؟ قلت: لا، قال لى: ما صافحت، ثم قال لى: وقفت الوقفة بين يدى الله تعالى خلف المقام وصليت ركعتين؟ قلت: نعم، قال: وقفت على مكانتك من ربك فرأيت قصدك؟ قلت: لا، قال لى: ما صليت، ثم قال لى: خرجت إلى الصفا فوقفت بها؟ قلت: نعم، قال: أى شىء عملت؟ قلت: كبرت سبعاً وذكرت الحج وسألت الله القبول، فقال لى: كبرت تكبير الملائكة ووجدت حقيقة تكبيرك فى ذلك المكان؟ قلت: لا، قال لى: ما كبرت، ثم قال لى: نزلت من الصفا؟ قلت: نعم، قال: زال كل علة عنك حتى صفيت؟ قلت: لا، قال لى: ما صعدت ولا نزلت، ثم قال لى: هرولت؟ قلت: نعم، قال: فررت إليه وبرئت من فرارك ووصلت إلى وجودك؟ قلت: لا، قال لى: ما هرولت، ثم قال لى: وصلت إلى المروة؟ قلت: نعم، قال لى: رأيت السكينة على المروة فأخذتها ونزلت عليك؟ قلت: لا، قال: ما وصلت إلى المروة، ثم قال لى: خرجت إلى منى؟ قلت: نعم، قال: تمنيت على الله غير الحال الذى عصيته فيها؟ فقلت: لا، قال لى: ما خرجت إلَىَ منى، ثم قال لى: دخلت مسجد الخيف، قلت: نعم قال: خفت الله فى دخولك وخروجك ووجدت من الخوف مالا تجده إلا فيه؟ قلت: لا، قال لى: ما دخلت مسجد الخيف، ثم قال لى: مضيت إلى عرفات؟ قلت: نعم، قال: وقفت بها؟ فقلت: نعمَ، قال: عرفت الحال التى خلقت من أجلها والحال التى تريدها والحال التى تصير إليها وعرفت المعرف لك هذه الأحوال ورأيت المكان الذى إليه الإشارات فإنه هو

الذى نفس الأنفاس فى كل حال؟ قلت: لا، قال لى: ما وقفت بعرفات، ثم قال لى: نفرت إلى المزدلفة؟ قلت: نعم، قال لى: رأيت المشعر الحرام؟ قلت: نعم، قال: ذكرت الله ذكراً أنساك ما سواه فاشتغلت به؟ قلت: لا قال: ما وقفت بالمزدلفة، ثم قال لى: دخلت منى؟ قلت: نعم، قال لى: ذبحت الفداء؟ قلت: نعم، قال: ذبحت نفسك؟ قلت: لا، قال لى: ما ذبحت ثم قال لى: رميت؟ قلت: نعم، قال لى: رميت جهلك عنك بزيادة علم ظهر عليك؟ قلت: لا، قال: ما رميت، ثم قال لى: زرت؟ قلت: نعم، قال: انكشف لك شىء من الحقائق أو رأيت زيادة الكرامات عليك للزيارة؛ فإن النبى ﷺ قال: «**الحجاج والعمار زوار الله وحق المزور أن يكرم من زاره**» قلت: لا، قال لى: ما زرت، ثم قال لى: أحللت؟ قلت: نعم، قال: عزمت على أكل الحلال، قلت: لا، قال لى: ما أحللت، ثم قال: ودعت؟ قلت: نعم، قال: خرجت من نفسك وروحك بالكلية؟ قلت: لا، قال لى: ما ودعت، وعليك العود وانظر كيف تحج بعد هذا فقد عرفت، وإذا حججت فاجهد أن يكون كما وصفت لك اهـ، وقد تكلم الشيخ الغزالى وسيدى محيى الدين – رضى الله تعالى عنهما – على أسرار العبادة بما لا مزيد عليه، وكل من راعى فى عبادته هذه الإشارات الباطنية التى لا تنافى النصوص الظاهرة أدرك الزيادة فى حاله وبلغ منتهى آماله اهـ، **(وكذا)** أى وكما أتيتك خالياً عن شهود ما تقدم أتيتك خاليا عن شهود **(علمى)** المضاف إلىّ إضافة مجازية قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [آل عمران:٦٦]، فمن شهد أن علمه من ربه ورده إليه رأى نفسه خاليا عن العلم، فكل علم قام بنا كان هو الموجد له تعالى فينا، فينبغى التبرى من ثبوت نسبته إلينا لأنها نسبة مجازية **(وكذا عملى)** وتقدم الكلام على العمل فى أول التوسلات، وسمعت سيدى محمد السباعى – قدس سره –

يقول: وقع مرة أن بعض مشايخنا طلب من والدى الأستاذ السيد صالح السباعى - رضى الله تعالى عنه ونفعنا به - أن يدعو له بدعوات صالحة فقال له الوالد: اللهم جرده عن العلم والعمل، فأخذه الغضب وانتقع لونه واغتم غماً شديداً وقال له: أنا أطلب منكم الدعاء وأنتم تدعون علىَّ؟ فرد عليه الوالد بقوله: قال السيد البكرى:

وأتيت إليك خليا من صومى وصلاتى مع حججى

(وكذا علمى وكذا عملى)، إلى آخر ما قال، وفسر له ذلك بقوله: أى رؤية العلم والعمل اهـ، أى فقصد الأستاذ - رضى الله تعالى عنه - تجرده على رؤية العلم والعمل؛ فإن ذلك حجاب قاطع عن الله تعالى **(وكذاك دليلى)** الدليل ما يستدل به لتقوية المدلول سواء كان عقلياً أو نقلياً **(مع حججى)** بضم الحاء جمع حجة والحجة: البرهان، فعطفه على ما قبله من عطف الخاص على العام، إذ البرهان هو الدليل العقلى المفيد للقطع بخلاف مطلق الدليل، أى: وأتيت إليك خالياً مما أستدل به وأحتج لأنك الموجد له فتبرأ أولاً من نسبة العلم، ثم تبرأ ثانياً من نسبة الدليل المفيد له، ثم لما وصف نفسه بالخلو عن الأعمال والأقوال والأفعال تحقق فى فقره وعجزه وذله دون عزه ناسب أن يقول: **(لا أملك شيئاً)** أى من سائر الأشياء إذ حقيقة الملك التصرف فى المملوك، ولا ملك حقيقة إلا له تعالى، والمعنى: ليس لى تصرف فى شىء من الأشياء، ولا ولاية لى على شىء منها، وإن صرفنى المولى فبطريق النيابة والخلافة والعارية المستردة، فالقوم لا يرون لهم ملكا وإن أضافوا ذلك لهم فى بعض الأحيان بألسنتهم وقلوبهم مشاهدة للمالك الحقيقى وملاحظة دوام الافتقار إليه تعالى **(غير)** منصوبة صفة لما قبلها **(الدمع)** هو ماء العين وجريانه، أى: فإنى أملكه وأتصرف فيه بكفه أو إخفائه عن الوشاة

ونسبته إليه وإن كانت النسبة فيه مجازية أيضا لا تضر؛ إذ ليس للنفس فيها مدخل، ثم علل سبب ملكه والتصرف فى إخفائه بقوله: **(مخافة)** مصدر خاف منصوب على أنه مفعول لأجله **(أن يفشى)** أى أن يظهر الدمع الذى من شأنه إظهار الأسرار وإذاعتها بين الأشرار **(وهجى)** أى توقدى والتهاب قلبى، والمعنى: إنما سترت دمعى خوفاً من أن يذيع غرامى بين لوامى فيسمعون فيما فيه انقطاعى عن مطلوبى، ولذا أنشد أبو العباس – قدس سره –:

لاجزىَ الله دمع عينى خيرا وجزى الله كل خير لسانى[1]

باح سرى فليس يكتم شيئاً ورأيت اللسان ذا كتمان

كنت مثل الكتاب أخفاه طىّ فاستدلوا عليه بالعنوان

وتقدم أن ستر الحال مطلوب عند القوم لكنهم يختلفون بحسب تجليات الحق عليهم، فمنهم من يضحك فلا يبكى، ومنهم من يبكى فلا يضحك، ومنهم من يبكى تارة ويضحك أخرى، ولما ادعى المصنف أنه لا يملك شيئاً غير الدمع طالبه بالدليل على ذلك فقال: **(هل غير جنابك يقصد؟ لا)** هل حرف استفهام إنكار بمعنى النفى كما فى قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر:٣]، وأقام نفسه مقام سائل، ثم أجابها بلا النافية، وأكد النفى بقوله: **(وجمالك)** أى وحق جمالك، ثم وصف ذلك الجمال بقوله: **(ذى)** أى صاحب **(الحسن)** وهو فى اللغة ضد القبح والجمال فى المخلوقات بمعنى الحسن، وقيل: الجمال تمام الحسن وحكى عن الأصمعى أن الحسن فى العينين والجمال فى الأنف والملاحة فى

---

[1] فى الأصل: وجزى كل لله خير لسانى، ولعل الصواب ما أثبتناه. اهـ. مصححه.

الفم، ولا يوصف تعالى بالحسن بل بالجمال المقابل للجلال، قال ابن الفارض - قدس سره -:

سقتنى حميا الحب راحة مقلتى وكاسى محيا من عن الحسن جلت

ووصفه أيضا بقوله **(البهيج)** أى التام الحسن، والمعنى ليس غير جنابك يؤتى إليه ويعول عليه لا وحق جمالك وإذا كان غيرك لا يقصد ونحو إمدادات سواك لاترصد ناسب أن يقول المصنف: **(من)** شرطية جازمة لقوله: **(يقصد غيرك)** أى سواك **(فهو)** ذلك القاصد **(إذاً)** أى حين إذ كان قاصداً للغير **(بظلام)** الباء للملابسة والظلام ضد النور **(البعد)** عن المحبوب وهو ضد القرب **(تراه)** أنت يا الله أى تعلمه؛ لأن العالم حقيقة بخفيات الأمور جملة وتفصيلاً الله تعالى، ثم أخبر عن المبتدأ بقوله: **(فجى)** أى فهو مفجوء إذا بظلام البعد حالة كونك تراه يا الله والفجأة: مجيء الشيء بغتة، يقال: فجأه الأمر مفاجأة وفجاءة بالضم والمد إذا جاءه بغتة، وحق لكل من علم أن مولاه يراه وأقبل على غيره معرضاً عنه أن يؤخذ بظلام البعد بغتة، أى ينزل به ذلك ويتصف به لكن الأمور بيد الله تعالى، فهو الهادى المضل، فلذا قال: **(من أنت تضل)** بضم المثناة من فوق، قال تعالى: **﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ﴾** [المدثر:٣١]، والضلال ضد الهداية **(فذاك)** أى الذى أضللته **(من الهلاك)** جمع هالك، ويجمع على هلكى وهلاك، قاله فى "المختار" اهـ، **(ومن تهدى)** أى تخصه بالهداية أى التوفيق والوصول بالفعل وهى المرادة بقوله تعالى: **﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾** [القصص:٥٦]، لا مطلق الدلالة المرادة بقوله: **﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾** [الشورى:٥٢] والأولى على قسمين: هداية العوام، وهى اتباع شريعته ﷺ فى ظاهره، وهداية

الخواص وهى سلوك طريقته التى هو عليها فـــى باطنـــه، ولا تحصـــل الثانية إلا بالأولى **(فنجى)** أى فهو نجى، وفى البيت جناس التقابـــل بـــين الضلال والهدى والهلاك والنجاة، ولما كان الضلال والهـــدى والهـــلاك والنجاة بيد الله سبحانه وتعالى كان اللازم للعبد الخوف من سطوة الكبير المتعال وانسكاب الدموع الغزار ناسب أن يقول: **(ودموع العين)** تطلـــق على معان كثيرة، وليست مرادة بل المراد منها الجارحـــة المخصوصـــة **(تسابقنى)** أى تبادرنى بانسكابها، وأنا أبادر بردها، وسبب هذه المســـابقة **(من خوفك)** يا مولاى فإنك قلت: ﴿**وَخَـــافُونِ إِن كُنـــتُم مُّـــؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران:١٧٥]، فأمرتَ بالخوف منك لأنه نتيجة الإيمان، وعلامة دخولـــه فى القلب اشتغال كل جارحة بما خلقت له من الطاعـــات **(تجـــرى)** أى تسيل **(كاللجج)** بالضم جمع لجة، قال فى "المصباح": ولجة الماء بالضم: معظمه، وهذا من باب المبالغة، وهى واقعة فى كلام العرب ومعدودة من أنواع البديع، وقد أشار لذلك سلطان العاشقين عمر بن الفارض بقوله:

فطوفان نوح عند نوحى كأدمعى وإيقاد نيران الخليـــل كلوعتـــى

ولولا زفيرى أغرقتـــنى أدمعـــى ولولا دموعى أحرقتنـــى زفرتـــى

فإن قلت: إن هذا البيت يناقض ما تقدم من ملك الدمع، قلنا: الذى يمكن أن يتصرف فى إخفائه أو رده هو دمع الحب، وأما دمع الخوف فلا يمكن إخفاؤه لشدة قهره لصاحبه وجملة قوله: "تجرى كاللجج" حاليـــة أو خبر بعد خبر، وكأنه لحظ أن عاذلاً يعذله ويلومه حسداً على ما يراه من حسن حاله فقال: **(يا عاذل قلبى)** أى يالائمه فى حبه **(ويك)** أصله: ويـــل لك إن لم تدع عذلى، وهى كلمة عذاب، ونقل فى "المختار" عـــن عطـــاء ابن يسار أن "ويل" وادٍ فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفـــاً، ولـــو أرسلت فيه الجبال لماعت وسالت من حره، أو يراد بهذه الكلمة مجـــرد

التوبيخ بخلاف ويح فإنها كلمة رحمة، وقيل: هما بمعنى واحد **(فدع عذلى)** أى لومى فإنه لا يجدى نفعا، وبعض العشاق يطلبه لأن فيه ذكر المحبوب فهو جد وماعداه هزل، قال سلطان العاشقين ابن الفارض – قدس سره –:

أدر ذكر من أهوى ولو بملامى فإن أحاديث الغرام مدامى

ليشهد سمعى من أحب وإن نأى بطيف ملام لا بطيف منام

ولى ذكرها يحلو على كل صيغة ولو مزجوه عذلى بخصامى

(واقصر) بضم الصاد من القصور، أو كسرها من الإقصار وأدرجت الهمزة للوزن وهذا هو الذى درج عليه المصنف، قال فى "المصباح": وأقصرت عن الشيء بالألف: أمسكت مع القدرة عليه والمعنى حينئذ: وتقاعد وأقِلّ من ذلك فإنك لم تذق مذاقه ولم تحم حومه **(عن ذا)** أى عن هذا **(الحرج)** أى التحريج والتضييق على المحبين، ثم أخذ يشدد عليه التنكير فقال: **(كم تعذلنى)** أى تلومنى مرات كثيرة **(لم تعذرنى)** بكسر الذال المعجمة وترقيق الراء مع السكون من عذر يعذر كضرب يضرب، ووجب ترقيق الراء لأن ما قبلها مكسور ولذا قال سيدى محمد بن الجزرى:

ورقق الراء إذا ما كسرت كذاك بعد الكسر حيث سكنت

والمعنى على حذف العاطف: أى ولم تكن عاذلى فى حب من أهوى، لكن لا يعذر إلا من ابتلى، أو على حذف همزة الاستفهام الإنكارى: أى لا ينبغى منك عدم العذر **(دعنى)** أى اتركنى **(فى البسط)** الذى هو مقابل القبض؛ لأن من كان يشاهد الحبيب فى سائر أحواله كان الأغلب عليه البسط وهو والقبض حالان يتواردان على القلب، هذا تارة

وذاك أخرى تبعا لتجلى الجلال والجمال **(وفى الفرَج)** بفتح الراء المهملة جمع فرجة وهى فرجة الحائط وما أشبهه، يقال: بينهما فرجة أى انفراج والمراد به هنا السعة، أى دعنى فى المتسعات فلا تدخل بى أيها العاذل إلى المضيقات فإنى غائب عنك بانبساط المواصلة ومتسعات المؤانسة فلا يلتفت إليك جنانى ولا يقدر على محادثتك لسانى ولا يصغى إليك سمعى، ولذا قال المصنف – نفعنا الله به –: **(أذنى)** بضم الذال وقد تسكن تخفيفا كنظائرها من كتف وفخذ وهى الجارحة المعروفة التى جعل السمع فى مقعر صماخها **(لحبيبى)** هو والحب بالكسر بمعنى المحبوب أى لسماع خطاب حبيبى **(صاغية)** أى مائلة إلى استماع كلامه العذب الذى هو أشهى ما يتمناه المحب، قال سيدى عمر بن الفارض – قدس سره –:

إذا ما بدت ليلى فكلى أعين وإن هى ناجتنى فكلى مسامع

وقال أيضا – رضى الله تعالى عنه –:

فإن حدثوا عنها فكلى مسامع وكلى إن حدثتهم ألسن تتلو

(صممت) الصمم عارض يعرض للأذن فيمنعها من السماع، وهذه جملة إخبارية، ويحتمل أنه دعاء بالصمم كما قال بعضهم:

وإن سمعت أذنى حديث سواكم دعوت على أذنى بصم المسامع

(عند الواشى) أى عند كلام الواشى، أى الساعى فى التفريق بين الأحبة وهو العاذل المتقدم، والمراد بالصمم هنا التصامم، أى تصاممت عند ذلك وإن لم يكن بها صمم لتستريح من سماع كلامه؛ فإن الإنسان لا يلقى سمعه إلا لما يحب سماعه، وإذا سمع ما لايحب سماعه لها عنه ولم يوجه سمعه له حتى يصير كأنه أصم لأن؛ المحبة إذا استولت على القلب

سلبته عن صفاته قال ﷺ: «**حبك الشيء يعمى ويصم**» أى يعمى العين عن النظر إلى مساويه، ويصم الأذن عن سماع العذل فيه كما قيل:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدى المساويا

ثم وصف ذلك الواشى بقوله: **(السمج)** قال فى "القاموس": سمج ككرم سماجة: قبح، فهو سمج وسميج وجمعه سماج اهـ، والقول الثانى هو البارد الذى تمجه الطباع، ثم التفت المصنف من مخاطبه الأدنى للأعلى فقال: **(يا صاحب)** أى يا مالك **(حان)** هو حانوت الخمار كما مر **(الخمر)** هى المتخذة من ماء العنب والمراد بها هنا المحبة الإلهية أو المعرفة بالله تعالى، وصاحب حانها هو المصطفى ﷺ أو الشيخ المرشد كما مر **(أدر)** أقداحها على الجلاس حال كون ما فيها خمراً **(صرفا)** أى خالصاً قال فى "الصحاح": وشراب صرف أى بحت غير ممزوج اهـ قال سيدى أبو مدين الغوث – قدس الله سره –:

أدرها لنا صرفاً ودع مزجها عنا فإنا أناس لا نرى المزج مذ كنا

والمراد بإدارة أقداح هذا الخمر صرفاً هو أن يفتح عليه دوام الشهود للمحبوب من غير تخلل غفلة **(واترك)** أى الإدراة **(للممتزج)** أى دع ذلك عنى وائتنى بالصرف من الخمرة **(وأدر كأس الأسرار)** الكأس هو القدح المملوء بالشراب، وإذا خلا سمى قدحاً، وقد يطلق لفظ الكأس على القدح وحده أو الشراب وحده مجازاً ويقال: الطاس الإناء الكبير والكأس دونه والقدح دونهما كقول الشاعر:

شربناها بطاسات وكاسات وأقداح

ذكره سيدى علوان فى تائية ابن الفارض وفى "الصحاح" الكأس مؤنثة، قال تعالى: **﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾** [الصافات:٤٥–٤٦]، قال ابن الأعرابى: لا تسمى الكأس كأساً إلا وفيها

الشراب والجمع كئوس اهـ، وقوله: الأسرار، أى أسرار المعارف **(ودعنى)** أى اتركنى **(أصير به)** أى بتناول هذا الكأس **(من ذى)** أى هذه **(الهمج)** بالتحريك وهى الذباب الصغير كالباعوض يقع على وجوه الدواب، الواحدة همجة مثل قصب وقصبة، وشبه من لا معرفة له من الناس بهذا الذباب بجامع الجهل فى كل، قال فى المنفرجة:

وخيار الناس هداتهمو وسواهم من همج الهمج

والمراد بهم هنا من لا معرفة لهم بحسب ما عند الناس وإن كانوا هم العارفين حقيقة فإن الغالب على من شرب هذا الكأس أن يتكلم بكلام معجم عند غير أهله فينسبه السامع إلى الجنون أو الجهل أو المراد بهم أهل الجذب الذين غرقوا فى بحار الأنوار وغابوا بشهود المؤثر عن الآثار حتى انبهم حالهم على كثير من الناس، ثم رجع المصنف إلى مقام المناجاة والابتهال وأخذ يتوسل بمقامات الكمال فقال: **(مولاى بسر الجمع)** أى أسألك بسر شهودك المغيب عن غيرك إذ الجمع فى الاصطلاح شهود حق من غير خلق، وقيل: هو الفناء التام الذى لا شعور معه مطلقاً، قال القشيرى – قدس سره – ما حاصله: الفرق لفظ الجمع والتفرقة يجرى فى كلامهم كثيراً، وكان أبو على الدقاق – رحمه الله تعالى – يقول: الفرق ما نسب إليك والجمع ما سلب عنك، ومعناه أن مايكون كسباً للعبد من إقامة العبودية وما يليق بأحوال البشرية فهو فرق وما يكون من قبل الحق من إبداء معان وإسداء لطف وإحسان فهو جمع هذا أدنى أحوالهم فى الجمع والفرق، فمن أشهده الحق تعالى أفعاله من طاعته فهو عبد بوصف التفرقة، ومن أشهده الحق تعالى ما يوليه من أفعال نفسه سبحانه وتعالى فهو عبد يشاهد الجمع، فقولك **(إياك نعبد)** إشارة إلى الفرق، وقولك **(وإياك نستعين)** إشارة إلى الجمع، وأما فرق

الفرق فهو أن يكون مختطفاً عن شهود الخلق فانياً عـن نفسـه مـأخوذا بالكلية عما سوى الله تعالى، لكنه يرد إلى الصحو عند أوقات الفـرائض ليجرى عليه القيام بها فى أوقاتها فيكون رجوعاً لله بالله، وأشار بعضـهم بلفظ الجمع والفرق إلى تصريف الحق فى جميع الكائنات من حيث أنـه منشئ ذواتهم وصفاتهم ثم فرقهم فى التنويع: ففريقـاً أسـعدهم، وفريقـا أشقاهم، وفريقاً جذبهم وفريقا أصحاهم، وفريقا محاهم إلى غير ذلك اهـ **(كذاك)** أى وأسألك يا مولاى كما سألتك بمقام الجمع وأسـراره مرتقيـا للابتهال بمقام أرفع **(و)** هو **(جمع الجمع)** قال السيد فى تعاريفـه: جمـع الجمع مقام آخر غير مقام الجمع الأول أتم وأعلى منه، فـالجمع شـهود الأشياء والتبرى من الحول والقوة إلا بالله تعالى، وجمـع الجمـع هـو استهلاك بالكلية والفناء عما سوى الله تعالى اهـ، قال العلامـة السـيد صالح الزجاج الشافعى الخلوتى خليفة السيد صالح السباعى – رضى الله تعالى عنهما – فى شرحه على منظومة أسماء الله تعالى للقطب الدردير – نفعنا الله به – عند قوله:

وجد لى بجمع الجمع فضلا ومنة ۝ وداوى بوصل الوصل روحى من الضنا

اعلم أن للقوم مقاماً يقال له الفناء، ومقاما يقال له: البقاء، ومقاماً يقال له: الجمع، ومقاماً يقال له: الفرق، ومقاماً يقال لـه: جمـع الجمـع ومقاما يقال له: فرق ثان، ومقاماً يقال له: الوصل، ومقاماً يقال له: وصل الوصل، فالفناء عبارة عن استغراق العبد فى الله تعالى بأن يغيب عمـا سواه ويسمى صاحبه غريقاً فى بحر الأحدية وتلك عبارة عن نهاية سير السالك، وأما البقاء فهو عبارة عن الرجوع بعد الفناء والجمع إلى ثبـوت الآثار مع مشاهدة ذات وصفات المؤثر فيها ويسمى صاحبه غريقاً فـى عين بحر الوحدة؛ إذ الوحدة عندهم عبارة عن تجلى الذات فـى الآثـار

والأحدية عبارة عن تجلى الذات تجلياً بحتاً دون مشاهدة أسماء وصفات وآثار، فمشاهد الأحدية مشاهد للذات دون الأسماء والصفات والأفعال ومشاهد الوحدة مشاهد للذات متصفة بالأسماء والصفات مثبتاً للآثار جامعاً بين الحق والخلق وهذا هو عين الكمال، ولذا قالوا يلزم من الفناء البقاء فكل فناء لابد له من بقاء، ونظر فيه بعضهم فقال: إذا تأملت تجد الملازمة باطلة، وهذا المقام يسمى بالجمع والفرق، فالجمع لشهود الرب والفرق لشهود صنعه، وأما جمع الجمع فهو فوق البقاء، وهو عبارة عن أخذ الحق تعالى عبده بعد بقائه فسكر فى شهود الذات العلية فيصير فانياً بالكلية عما سواه تعالى، ويسمى الفناء الثانى، وهو معنى قولنا فيما تقدم هو الاستهلاك بالكلية والفناء عما سواه تعالى، ويسمى بالفرق الثانى وأما الوصل فهو تلذذ القلب بشهود الرب بعد زوال الحجب كلها نورانية أو ظلمانية، ويسمى ذكر القلب الذى بعد ذكر اللسان، فإن غلب كان ذكر الروح، فإن دام الشهود بحيث صار لا حضور له مع غير مولاه سمى وصل الوصل، أى الوصل الكامل ويسمى ذكر السر. انتهى **(وكل شجى)** أى حزين القلب بقهر تجليك عليه، ثم ترقي المصنف فى الابتهال فقال: **(بالذات)** أى أقسم عليك بذاتك العلية المنزهة عن كل نقص **(بسر السر)** هو كقولهم: عين العين، وروح الروح، ونور النور، قال السيد الشريف فى "التعاريف": سر السر ما تفرد به الحق سبحانه وتعالى كالعلم بتفصيل الحقائق، قال تعالى: ﴿**وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ**﴾ [الأنعام:٥٩] اهـ، وكل سر له باطن هو سره فيقال له: سر السر، ولهذا تعددت مراتب البطون القرآنية من بطن إلى سبعة ومن سبعة إلى سبعين فالآية الواحدة يدرك المكاشف أولاً ظاهرها وباطنها وحدها ومطلعها، ثم سر ذلك الأمر الظاهر وهذا هو البطن الأول، ثم يطلع على سره وهذا

هو البطن الثانى، فيقال: اطلعت على سر آية كذا، ثم يترقى إلى بقية اللطائف فما رق ودق بالنسبة للأول فهو سره، وهكذا الأحاديث النبوية وأهل الأذواق يتفاوتون فى ذلك، وتقدم الكلام على بعض ذلك **(بمن)** أى بالذى **(إفضالك)** أى إحسانك وهو مفعول مقدم **(ربى)** أى مالكى **(منك)** أى من برك وخيرك لا من غيرك **(رج)** بالقصر للوقف أى مؤمل، أى وأسألك بالذى هو مؤمل إحسانك منك، ومن المعلوم عند أرباب العقول والفهوم أن الكريم لا يخيب رجاء من استرجاه لا سيما من عول عليه فى جميع أموره، ولما علم المصنف – جمعنا الله معه فى دار السلام بسلام – أن أجل ما يقسم به عليه تعالى ذاته العلية وصفاته كرر القسم بها فقال **(بحقيقتك)** أى بذاتك، وتقدم الكلام على الحقيقة عند قول المصنف: بحق حقيقتك **(العظمى)** على وزن فعلى أى التى هى أعظم الحقائق **(ربى)** أى يا مالك أمورى ومُرَبىَّ فى ظلمة الأرحام **(وبنور النور)** أى وأقسم عليك بنور نور ذاتك المطلق عن قيد الإطلاق، فالنور الثانى هو الذات العلية والنور الأول هو العلوم والمعارف المنور بها قلوب أوليائه وآثار رحمته وقدرته المنور بها أرضه وسماؤه، قال تعالى: **﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** [النور:٣٥] أى منورهما بظهور آثار قدرته ورحمته فيهما ويحتمل أن المراد: بنور اسمك النور أو بمحمد ﷺ الذى هو نور كل نور؛ فإنه النور الأول الذى عنه ظهرت الأنوار أى استمدت منه سائر الأشياء، ومن أسمائه ﷺ النور، والمعنى عليه: أسألك بسر نور مسمى النور **(المنبلج)** أى المشرق المضىء **(بعماء)** العمى مقصور ومده المصنف للضرورة، وهو كما فى "القاموس": السحاب الرقيق المرتفع أو الكثيف أو الممطر أو الأسود أو الأبيض أو الذى هراق ماءه أى أراقه

اهـ، وقيل: هو ممدود وفسره الترمذى فى الحديث الذى رواه بمسنده إلى أبى رزين العقلى وهو: قال: قلت: يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «**كان فى عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء**» بأن المراد منه أنه تعالى ليس معه شيء، قال أبو عبيد إنما تأولنا هذا الحديث على كلام العرب المنقول عنهم وإلا فلا ندرى كيف كان ذلك العماء، قال الأزهرى: فنحن نؤمن به ولا نكيفه بصفة من الصفات اهـ، **(كنت)** يا مولاى ظاهراً ومتصفاً **(به)** أى بذلك العماء **(أزلا)** أى فى الأزل، أى قبل ظهورك فى الأشياء؛ فإنه كان قبل ذلك فى عماء أى ستر وعدم ظهور كما يدل له الحديث الإلهى الذى جاء فى بعض الكتب المنزلة، وهو قوله تعالى: «**كنت كنزاً لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتجليت إليهم بالنعم حتى عرفونى**» وفى رواية: **فتعرفت إليهم فبى عرفونى**، قال بعضهم: إن لفظ فبى عدد اسم محمد ﷺ بالجمل، أى فبمحمد عرفونى اهـ، فنوره أول مظهر ظهر فيه الحق تعالى، ومنه نشأت حقائق أسرار الأشياء كما أشار إلى ذلك بقوله: **(بمحمد)** بالسكون أو حذف التنوين للضرورة، أى أتوسل إليك وأقسم عليك بمحمد حبيبك ﷺ وخص هذا الاسم الشريف لأنه أشرف أسمائه ﷺ وله أسماء كثيرة نقل ابن الهائم عن أبى بكر بن العرب والنووى - رضى الله تعالى عنهم - أنها ألف اسم، وقيل ألفان وعشرون، وقد سماه الله به قبل أن يخلق بألفى عام، وسماه به جده عبد المطلب بإلهام من الله تعالى رجاء أن يحمد فى السماء والأرض، وقد كان، والميم الأولى منه بواسطة الضمة عليها التى هى حركة الرفع تشير إلى رفعته ﷺ وظهوره بالملك الظاهر؛ إذ هو الخليفة على الحقيقة، وبكمال العبودية التى هى أرفع المقامات وأشرفها والحاء تشير إلى كمال الصورة والحياة فلم

يطرقه ﷺ نقص فى حياته فكان تنام عيناه ولا ينام قلبه ﷺ ولا تنحصر له صورة فيساوى الطويل فى طوله إذا ماشاه، ويرى على ما فى الأذهان من الاعتدال إذا انفرد فى العيان، ومن استحسن صورة رآه ﷺ عليها ولذلك كان وصافو الصحابة يختلفون فى حليته وصفاته، فكل منهم يعبر عن رؤيته بقدر إيمانه وصفاء قلبه، فمنهم من يراه كالقمر، ومنهم من يراه كالشمس، ومنهم من هو عاجز عن تشبيهه بشىء وذلك لحركة حاء اسمه بحركة الاستواء الذى هو الفتح، وتكرار الميم يشير إلى كمال الاسم بها، فالساكنة المدغمة تشير إلى أنه خاتم الأنبياء، والمتحركة التى لا يظهر النطق بالمدغمة إلا بها تشير إلى أنه أول ما ظهر من العوالم ولما كان من شأن الظواهر الانقطاع ومن شأن الصور الاضمحلال أتى بالدال إشارة إلى دوام ظاهره الشريف وصورته التامة لأن الصورة إذا تمت دامت اهـ، **(من جا)** بالقصر للضرورة أى أتى **(بالبلج)** أى بالإضاءة والإشراق فإنه ﷺ أول مظهر ظهر فيه الحق ثم انسلخت من نوره سائر الأشياء، ويصح أن يراد بالبلج الشريعة الغراء، قال تعالى: **﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾** [المائدة:١٥]، أطلق عليها البلج أى الإضاءة والإشراق مبالغة ولما كان مجيئه ﷺ بذلك سببا لقربنا من حضرة الرب قال: **(وبسر القرب)** أى وأسألك بسر القرب منك، أى قربك من العبد وقربه منك فالأول توفيقه تعالى لامتثال أوامره واجتناب نواهيه وتخصيصه إياه بمعرفته، قال تعالى: **﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾** [الحجرات:٧] وهذا معنى قول بعضهم: قربه تعالى: كرامته لأوليائه وبعده، إهانته لأعدائه، والثانى القرب إليه بالطاعة لا بالمسافة قال ﷺ:

«**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فإذا سجد أحدكم فليجتهد فى الدعاء**»، والقرب إليه تعالى بمحو الصفات المذمومة أو التخلق بالأوصاف المحمودة أو القرب إليه بقوة المعرفة بوجوده تعالى وعظمته وجلالته وكبريائه وأنه الظاهر الذى لا يقهر، والغالب الذى لا يغلب وأنه الذى لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شىء ثم علم ما يجب وما يجوز وما يستحيل فى حقه سبحانه وتعالى وهذا أصل المعارف وأعلى القرب وغايته، قال الشعرانى - رضى الله تعالى عنه - فى "اليواقيت والدرر": سألت شيخنا الخواص - رضى الله تعالى عنه - عن قولهم: فلان بعيد من الله وفلان قريب من الله ما معناه والحق أقرب إلى كل إنسان من حبل الوريد؟ فقال - رضى الله تعالى عنه -: القرب والبعد راجع إلى شهود العبد فى نفسه فإن أطاع العبد مولاه شهد نفسه قريباً وإن عصاه شهد نفسه بعيداً، فهو أمر إضافى لله تعالى والله أعلم اهـ، ولذا قال سيدى محيى الدين - قدس سره - فى حديث البخارى المشهور: «**فإذا أحببته كنت سمعه وبصره**» إلخ، والمراد بذلك انكشاف الأمر لمن تقرب إليه بالنوافل لا أنه لم يكن الحق سمعه وبصره قبل التقرب ثم كان، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا اهـ، **(كذاك)** أى كما سألتك بسر القرب أسألك بسر **(الحب)** وتقدم الكلام عليه **(وأهل الجذب)** أى وأسألك بسر أهل الجذب وتقدم الكلام عليه أيضاً **(المنعرج)** هو لغة: منعطف الوادى يمنة ويسرة، المعنى: وأسألك بسر أهل الجذب الذين جذبوا من أردته لمنعطف وادى القرب فسلكوا به الجانب اليمين وكانوا من أصحابه، ونبذوا بك من أبعدته فوقع فى جانب الشمال وكان من أصحابه فهم مظهر التقريب والإبعاد، ولما كان أهل القرب والحب والجذب أرواح الكائنات قدم التوسل بهم ثم عطف متوسلاً بالأكوان فقال - رضى الله تعالى عنه -:

(وبما أوجدت) أى خلقت وعينت وقدرت وبينت **(من الأكوان)** جمع كون وهى المخلوقات بأسرها إذ الموجودات بأسرها موجودة بوجوده تعـالى فانية بالنسبة لذاتها، ولذا كان أهل الشهود لا يرون الوجود إلا له تعـالى وأما غيره فليس له وجود إلا بالتبع إذ لولا إمداده لها لهلكت وتلاشت فهى هالكة بالنظر إلى ذاتها ثابتة بالنظر لتجلى الحق عليها بصفاته قـال تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧]، قال البيضاوى: أى ذاته فإنها باقية بقاء لا آخر لـه بخلاف سائر الموجودات فإنها فانية اهـ، ولذا قال المصنف: **(بما فيهن)** أى فى الأكوان **(من الأرج)** هو توهج ريح الطيب أى بما أودعته فـيهن من أطياب مختلفة الروائح، أو بما أودعتها من طيب الظهور لأن فى هذه الأكوان البارزة من عين الجود والمنة التى من جملتهـا الجنـة روائـح مودعة من حضرة الله عز وجل فكل من شمها سكر قال ابن الفارض:

ولو عبقت فى الشرق أنفاس طيبها وفى الغرب مزكوم لعاد له الشم

ولما كان كل من ذاق ذلك كان من أهل الحى ناسب أن يتوسل بهم فقال: **(وبأهل الحـى)** أى الذين أحييتهم بإمدادك ووِدادك، أو الذين تجليت عليهم باسمك الحى وخصصتهم به، ومن ظهر عليه أثر ذلك الاسم كـان عيسوى المقام فيحيى الموتى بإذن الله تعالى، ويصير له قدرة على وضع الحياة فى مأكول أو مشروب أو ملبوس بإذن الله تعالى كمـا جـاء فـى الخبر عن أبى هريرة أنه شكا النسيان إلى رسول الله ﷺ فقال له: «**ابسط رداءك فبسطه واغترف غرفة أو ثلاث غرفات من الهواء ووضعها فيه وقال ضم رداءك إلى صدرك فضمه إليه فما نسى بعد ذلك شيئاً علمـه**» **(وبهجتهم)** أى وأسألك بحسنهم الذاتى والصفاتى والعرضى المكتسب من العلم والأدب أو من الأعمال الصالحة المشار إليه بحـديث: «**مـن قـام**

بالليل حسن وجهه بالنهار» وبحديث: «**اطلبوا الخير عند حسان الوجوه**»، (**وببحر القدرة**) أى وأقسم عليك بالقدرة الشبيهة بالبحر فى الاتساع والعظم من حيث تعلقها بجميع الممكنات، والبحر كما فى "القاموس": الماء الكثير، وجمعه أبحر وبحور وبحار، والقدرة صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تبرز الأشياء على وفق الإرادة (**والمرج**) قال فى "القاموس": ومرج البحرين وإمراجهما كلاهما لا يختلط بالآخر اهـ فالمرج عدم الاختلاط مع الاضطراب والتحرك، ولا شك أن بحر القدرة له تحرك بالإيجاد والإعدام والإعطاء والمنع والضر والنفع والتفريق والجمع، وكل ذلك صادر فى آن واحد عن الذات العلية لا يمنع صدور واحد من تلك الأضداد من صدور ضده، وكذا يقال فى كل واحدة من الصفات بالنسبة لمتعلقها وبالنسبة إلى غيرها من الصفات، فكلها بحور تتلاطم أمواجها ولا يقع فيها اختلاط وامتزاج، وكذا يقال فى الأسماء فهو الضار النافع المعطى المانع المسعد المشقى المحيى المميت فى آن واحد، وما يقع فى العالم من الاضطراب والاختلاط والقتال ناشئ عن اختلاط تجليات الأسماء واشتباكها، فكل اسم يطلب نفوذ مقتضاه فيقع الاختلاط والاضطراب فى العالم (**وبطيب الوصل**) أى الوصل الشبيه بالطيب بجامع النفاسة فى كل هذا إن أريد بالطيب الجرم المخصوص فإن أريد به المصدر كان قوله: (**ولذته**) من عطف التفسير أى لذته التى لا يشبهها لذة وتسمى وصل الوصل، وهو دوام الشهود كما قال سيد العشاق ابن الفارض:

وإن اكتفى غيرى بطيف خياله فأنا الذى بوصاله لا أكتفى

بل أطلب وصل الوصل، ولذا قيل: اللذات مجموعة من ستة أشياء: نعيم بلا بؤس، وسرور بلا حزن، وراحة بلا مشقة، وعز بلا ذل

وصحة بلا سقم، ووصل بلا هجر وهى أرقاها **(ببساط)** هو بالكسر ما يبسط على الأرض وجمعه بسط كذا فى "القاموس" انتهى.

(الأنس) هو كما فى القاموس بالضم والتحريك ضد الوحشة **(المنتسج)** أى المؤتلف، وفى الكلام استعارة تصريحية حيث شبه أثر الأنس بالبساط، وذكر الانتساج ترشيح أو مكنية حيث شبه الأنس بقصر رفيع، والبساط تخييل والانتساج ترشيح، والمراد بائتلافه أنه لا يخالطه ضده وهو الوحشة، ولما كان الوصل أعلى ما يتمنى، وضده أضر ما يكون على القلوب، وبعض القلوب يعذب به اختباراً أو يمنح الصبر فلا ينزعج، وبعضهم يفقد ذلك فلا يستطيع الصبر وصاحب القلب الأول أتم ولذا قال فى وصفه: **(وبقلب فى بلواك)** أى اختبارك وامتحانك، قال تعالى: **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾** [محمد:٣١] أى لنختبرنكم حتى يظهر ما تعلق به علمنا من المجاهدة والصبر أو ضدهما، قال القطب الخواص – قدس سره –: إن هذا وارد من الحق تعالى على سبيل التنزل لعقولنا، فنزل نفسه تعالى منزلة من يستفيد بالاختبار أمراً كان غامضاً عليه وهو سبحانه وتعالى العالم بما يكون من عباده قبل وجودهم اهـ، **(غدا)** أى صار، قال البوصيرى – قدس سره –:

وغدا كل بيت نار وفيه كربة من خمودها وبلاء

قال ابن حجر: أى صار، ثم قال: وهى للحال وفيه تأييد لما ذهب إليه الجمهور وابن مالك أن المنصوب بعد غَدَا حال لا يوجد إلا نكرة وخالفهم الزمخشرى وأبو البقاء والجزولى وابن عصفور فجعلوه خبراً سواء كان بمعنى صار أو بمعنى وقع فى وقت الغدو، وجعلوا من ذلك

حديث «**تغدو خماصا**» وغدا زيد ضاحكا اهـ، **(وحياتك)** أى وسر الحياة القائمة بذاتك التى هى صفة أزلية تقتضى صحة العلم قاله السعد اهـ **(ليس)** هى من الأفعال التى ترفع الاسم وتنصب الخبر، وهى نافية وفعلها ماض، واسمها ضمير مستتر، وخبرها قوله: **(بمنزعج)** بزيادة الباء وجملة ليس بمنزعج خبر غدًا، والانزعاج القلق، ولما كان البلاء خلوة من الرب ويلتذ به صاحبه كما قال الجيلى - قدس سره -:

تلذ لى الآلام إذ أنت مسقمى ... وإن تمنحنى فهى عندى صنائع

إذ به ينقطع الرجاء من الخلق، والليل خلوة المحبوب بمحبوبة، لذا ناسب أن يذكره بقوله: **(بتجلى الليل وعالمه)** أى: وأسألك بسر تجلى الحق على عباده الخاصة والعامة بالليل، والمراد بعالمه رجال من أهل الله تتزل عليهم الفيوضات الإلهية ثم يقسمونها على أربابها، وللنهار رجال أيضا مثلهم، وإنما خص المصنف الليل لشرفه على النهار، وهو الصحيح لما فيه من التجليات والتنزلات الإلهية كما تقدم، وقيل النهار أفضل لأن غالب الفرائض تقع فيه **(وظلام الكون)** بالرفع على أنه مبتدأ خبره ما بعده والجملة حالية، أى والحال أن ظلام الكون إلخ، وقوله **(كما السبج)** بزيادة ما، أى فى شدة سواده قال تعالى: **﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾** [الضحى:٢]، أى سكن واسودت ظلمته، ومنه بحر ساج وطرف ساج والسبج خرز أسود فارسى معرب، ولما توسل بتجلى الليل الرافع لأهله إلى منازل القرب ناسب أن يتوسل بقوله: **(بمنازل)** جمع منزل وهو محل النزول وإضافته إلى قوله **(أفلاك)** بيانية، أى منازل هى أفلاك جمع فلك وفى "التعريفات" للسيد الشريف أن الفلك جسم كروى بسيط به سطحان ظاهرى وباطنى وهما متباينان مركزهما واحد **(وكذا)** أى كتوسلى بمنازل الأفلاك أتوسل إليك **(بمطالعها)** الضمير عائد على الأفلاك

ويصح عوده على المنازل أو على تقدير محذوف أى بمطالع الكواكب الحاملة لها الأفلاك، فيكون من إطلاق المحل وإرادة الحال، وهى جمع مطلع بفتح اللام وكسرها: موضع طلوعها **(ثم البرج)** محركة على أن أصلها بروج وحذفت الواو اكتفاء بالضمة، ويحتمل أن يكون البرج فى البيت مفرداً ضمت راؤه للإتباع والأصل سكونها، ويجمع على أبراج وبروج، وهى اثنا عشر برجا منظومة فى قول بعضهم:

حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان

ورمى عقرب بقوس لجدى نزح الدلو بركة الحيتان

والبرج معناه لغة القصر العالى، قال البيضاوى - قدس سره - وسميت به أى بالبروج وهى القصور العالية لأنها للكواكب السيارة كالمنازل لها اهـ، والكواكب السيارة هى السبعة المنظومة فى قول بعضهم:

زحل شرى من شمسه فتزاهرت لعطارد الأقمار

فكل فلك يطلع فيه كوكب منها، فالقمر يطلع فى الفلك الأول ويبقى فى كل برج يومين وثلث يوم فيمر على كل الأفلاك فى شهر، وعطارد يطلع فى الفلك الثانى ويبقى فى كل برج خمسة عشر يوماً فيقطع الأفلاك فى ستة أشهر، والزهرة تطلع فى الثالث وتبقى فى كل برج خمسة وعشرين يوماً فتمر الأفلاك فى عشرة أشهر، والشمس تطلع فى الرابع وتبقى فى كل برج شهراً فتقطع الأفلاك فى سنة، والمريخ يطلع فى الخامس ويبقى فى كل برج خمسين يوماً فيمر كل الأفلاك فى عشرين شهراً، والمشترى يطلع فى السادس ويبقى فى كل برج ثلاثة عشر شهراً فيمر الأفلاك فى ثلاث عشرة سنة، وزحل يطلع فى السابع فيبقى فى كل

برج سنتين ونصفاً فيقطع جميع الأفلاك فى ثلاثين سنة، والله أعلم بحقائق الأشياء جملة وتفصيلاً، ولما ذكر البروج الحاملة للنجوم وقد شبه ﷺ أصحابه بها بقوله: «**أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**»، رواه الحاكم والترمذى، ولما كان فى الصحب ما هو من الآل ناسب أن يذكرهما بقوله **(بالآل بصحب من)** اسم موصول **(بهم)** أى بسببهم وواسطتهم **(كل الخيرات إلينا)** معاشر الموحدين **(تجى)** بالقصر إما لأنه لغة أو للوزن أى تأتى إذ كل خير ما وصل إلينا إلا بواسطتهم فإنهم نقلوا لنا الأخبار وفتحوا البلاد فكان بقاؤهم بين أظهرنا نعمة وموت أحدهم فى بلدة على أهلها رحمة لحديث: «**من مات من أصحابى بأرض فهو شفيع لأهل تلك الأرض**» فكان الخير فى حياتهم ومماتهم، وقوله: **(يسر)** هو وما بعده جواب التوسلات المتقدمة أى سهل وهون، وفى الحديث: «**يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا**»، وفى الحديث أيضا: «**من يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة**»، وهو سبحانه وتعالى يحب من ييسر على عباده ويكره من يعسر عليهم سيما أهل وداده **(واجبر)** الجبر خلاف الكسر، ويكون بمعنى الإصلاح وهو المراد هنا **(كسرى)** أى أصلح خاطرى بسبب عدم الإقبال عليك، قال العلامة المحقق قطب الأقطاب الشيخ الدردير فى شرحه المختصر للعلامة الشيخ خليل عند قول المختصر المذكور: المنكسر خاطره لقلة العمل الصالح: يقال: فلان منكسر الخاطر أى حزين مسكين ذليل لكونه لا يعبأ، به وقوله: الخاطر: المراد بالخاطر: القلب، وحقيقة الانكسار تفرق أجزاء المتصل الصلب اليابس كالحجر والعصا، بخلاف اللين فإن تفرق أجزائه يسمى قطعا كاللحم والثوب فإطلاق الخاطر وهو ما يخطر فى القلب من الواردات على القلب مجاز مرسل من إطلاق الحال وإرادة المحل ثم

شبهه بشىء صلب كحجر تفرقت أجزاؤه بحيث صار لا ينتفع به ولا يعبأ به بجامع الإهمال فى كل على طريق الاستعارة المكنية وإثبات الانكسار تخييل، ثم إنه كناية عن كونه حزيناً مسكيناً ذليلا لكونه لا يعبأ بـه عنـد أهل الله الصديقين، وقوله: من قلة العمل الصالح: أى امتثال المـأمورات واجتناب المنهيات، وهكذا شأن العبيد الصديقين مـن العلمـاء العـاملين عرفوا أنفسهم بالذل والهوان ولم يثبتوا لها عملاً ولا تقـوى ولا فضـلا فعرفوا ربهم فكانوا فى مقعد صدق عند مليك مقتدر - رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم - **(برضا)** أى بسبب رضا منك فإنك إذا رضيت عنـى هان علىَّ كل أمر عسير ولذا قال بعضهم:

لئن كنت عنى يا منى القلب راضيا فكل الذى ألقاه فـى الحب طيبا

(ليكون) بالياء كما فى شـرح المصـنف أى لأجـل أن يكـون **(بوصلك)** أى قربك **(مبتهجى)** مصدر ميمى بمعنى ابتهاجى أى سرورى مضاف لياء المتكلم اسم يكون، وخبرها الجار والمجرور، أى لأجـل أن يكون ابتهاجى وسرورى بوصلك لا بغيره، وفى البيت جناس الطباق بين الكسر والجبر، ولما سأل المصنف - قدس سره - جبر كسره بالرضـا ناسب أن يطلب خلعته فقال: **(واخلع)** أى يا مولاى **(خلع)** جمـع خلعـة بالكسر وهو ما يخلع على الإنسان **(الرضوان)** قال فى "تهذيب الصحاح": الرضا بالقصر، والرضوان بالكسر والضم، والمرضاة بمعنى واحد اهـ وهو بمعنى الإقبال، ولما كانت الخلع الإلهية لا تحصى خص بالذكر خلع الرضوان، والمراد الرضوان الأكبر الذى أعطاه الله لأبى بكر الصديق - رضى الله تعالى عنه - وقد جاء فى الحديث الشريف الأزهر: «**يـا أبـا بكر إن الله أعطاك الرضوان الأكبر**» قال: وما رضوانه الأكبـر؟ قـال: «**إن الله يتجلى للخلق عامة ويتجلى لك خاصـة**» والمصنف من ذريتـه

فطلب أن يعطى ما أعطى لجده ولا مانع من أن الله سبحانه وتعالى يمنحه ذلك هو وأتباعه وقد تكلم الأصل هنا بكلام طويل عميق لا يدركه إلا من ذاق مشربه فانظره إن شئت **(على صب)** أى عاشق مشتاق مشتق من الصبابة وهى كثرة الشوق وحرارته **(فى حبك)** أى بسبب محبتك التى ترفع من قامت به **(حب)** بالكسر أى يا محبوبى حذف منه حرف النداء **(هجى)** أى ذم، من هجوته هجواً وهجاء، وانقلبت الواو ياء فى المبنى للمفعول لتطرفها وانكسار ما قبلها، كذا فى شرح المنفرجة للقاضى زكريا، وسبب هجو الناس له عدم شربهم من مشربه مع أن كل واحد منهم يدعى حب الله تعالى وهم صادقون لكن الحب متفاوت، فليس من شرب كأس الخمرة المعتقة كمن اكتفى منها بشم الرائحة، وهذا الكلام من المصنف لا يعارض قول ابن الفارض:

فاللوم لؤم ولم يمدح به أحد وهل رأيت محباً بالغرام هجى

لأن مراده أنه لا يحصل له هجو من أهل الغرام الذين شربوا من مشربه وأما من غيرهم فلابد منه، كما قال ابن الفارض أيضا:

تبا له قومى مذ رأونى متيما وقالوا بمن هذا الفتى مسه الخبل

وما علموا أنى قتيل لحاظها وأن لها فى كل جارحة نصل

فإن المحبة مقرونة بالمحن خصوصا من لم يذق المحبة قط لأن الله تعالى أجرى عادته بأن العبد إذا اشتغل بمولاه ذمته الناس بألسنة حداد ونسبوه إلى الكذب والزور و ربما هجوه وحقروه، وأنشد سيدى عبد الغنى النابلسى - نفعنا الله ببركاته - فقال:

قد أتينا الحمى على منهاج هل لنا فى هواكم من هاج

قال القطب سيدى محمد السباعى – قدس سره –: وقد وقع لى مع بعض من يدعى العلم فى درس الأستاذ الشيخ الأمير الكبير – رضى الله تعالى عنه – أن الأستاذ قال فى الدرس: من طلب العلم على حقيقته كان ذلك سبباً فى وصوله، فقال هذا البعض هذا رد على من يذكر الله تعالى وصار يرمينى بألسنة حداد فغضبت من ذلك غضباً شديداً وقلت له: أنت كاذب ولم تفهم قول الشيخ؛ فإنه قال من طلب العلم على حقيقته، وطلبه على حقيقته هو العمل به، وقد قال الإمام مالك –رضى الله تعالى عنه– : من عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم، وهو العلم الباطنى فإذا ورثه الله ذلك وصل، وهو مقصد الشيخ فى قوله: من طلب العلم إلخ وصرت أحاجه حتى أسكته وذلك ببركة أهل الطريق، وعلى كلٍ لم يسلم أحد من أحد خصوصاً إذا كان له جانب مع الله تعالى وإن ربك لبالمرصاد اهـ

ومما ليم عليه أيضا سيدى محمد المنير خليفة الأستاذ الحفنى – رضى الله تعالى عنهما – حين سفره فى بعض البلاد، ثم أنشد قصيدة ضمنها الرد على الشاذ المخالف لهؤلاء القوم وتشطيرها لسيدى السيد صالح الزجاجى الشافعى الخلوتى خليفة السيد صالح السباعى – رضى الله تعالى عنهما وعن بقية عباد الله الصالحين – وهى هذه:

لقد قال ربى اذكرونى ووحدوا لأذكركم عندى وجندى سامع
وأدنيكمو من حضرة القدس تشهدوا فكيف أخالف خالقى وأمانع
ومن يكره التوحيد فهو منافق جهول إلى طرق الضلال يسارع
ومن لام أهل الذكر تاه بغيه ومن ينه عنه فهو عاص مخادع
هو العروة الوثقى بها فتمسكوا ودوموا عليها بابتهال وسارعوا
ومن راحها صرفا أديروا كنوسكم لتلقوا بها الرحمن والنور لامع
فيا لائما لوذقت يوما شرابها لصرت بها نشوان والنور ساطع

ولو شاهدت عينـاك أنـوار حانهـا تركت ملامـى والأنـام جوامـع
فطوبى لمن فى حضرة القرب نالهـا وقد رفعـت أسـتارها والبراقـع
مزقت أثـواب الحيـا فـى جمالهـا وصار جليس الحق للحـى رافـع
بها الأوليا نـالوا المعـالى بـذكرها وكل بوادى القدس للنعـل خـالع
أداروا كؤسـاً طـاب نشـر شـرابها وفى شـربها للسـالكين منـافع
قصـدت تجليهـا لرؤيـا جمالهـا وقلبى مشوق بالوصـال وطـامع
بقـول عسـاها أن تـرق لصـبها توارت وعن عينى ضياها ممـانع
فمن يكرها البكـرى سـقانا شـرابها كشمس ببدر التم والضوء لامـع
فحين دنـا للقطـب طيـب شـرابها بألحانهـا والحـان للكـل جـامع
وحين بدا الحفنـى يسـقى كئوسـها سكرت بها فيهـا فبانـت لوامـع
ينادى أطـلاب الجمـال بـى اقتـدوا فبـادرت نحـو الحان فيها أسارع

اهـ، ما قاله العلامة المنير وألحق بعضهم بها أبياتا:

ومن دنها الـدردير دار بكأسـه ولم يخش لوما من عذول ينـازع
وأضحى بحـان القـرب للحـب ونادى هلموا والسـباعى سـامع
وفاز بوصل الوصل مع جمع جمعه ولاحت به أنـوار ذكـر سـواطع

ولما كانت نفحات الحق لا تنال إلا بطريق الفيض طلبه منه بقوله: **(وامنح قلبى)** أى أعطه وأنله يا كثير العطاء **(نفحاتك)** جمع نفحة وهـى الدفعة من العطية أى نفحات طيب قربك **(يا مولاى)** أى يا ناصرى على أعدائى **(وعجل)** أى أسرع إلىَّ **(بالفرج)** أى بإذهاب الغم، ولمـا سـأل تعجيل الفرج بنيل الآمال المطلوبة وتحصيل الأحوال المرغوبة خشى أن تعوقه ذنوبه عن الإجابة فطلب محوها متلهفاً بقوله: **(واحسـرة قلبـى)** "وا": حرف ندبة تقول: وا زيداه والقصد مـن الندبـة الإعـلام بعظـم

المصاب، والمراد هنا التلهف والتأسف على فوات محو الخطايا، ومعلوم أن المندوب منادى والمنادى مطلوب إقباله، فيكون قد نزل الحسرة منزلة العاقل الذى يطالب إقباله، والحسرة كما فى "تهذيب الصحاح" شدة التلهف على الشىء الفائت من حسر على الشىء حسراً وحسرة فهو حسير اهـ **(إن)** بكسر الهمزة شرطية **(لم)** حرف نفى وجزم وقلب **(تمح)** مجزوم بلم **(خطايا)** جمع خطيئة، والخطيئة الذنب كما فى "القاموس" اهـ **(الذنب)** الألف واللام للجنس الصادق بالبعض والمراد به الذنب الواقع عمداً وبالخطايا ما هو أعم فيكون من إضافة العام للخاص المسماة بالإضافة التى للبيان كشجر أراك فلا يلزم عليه إضافة الشىء إلى نفسه **(من الدرج)** قال فى "القاموس" بالفتح الذى يكتب فيه ويسكن اهـ والمراد به هنا صحيفة الملائكة الكرام ففى الحديث: «**إذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله وليس عليه شاهد بذنب**»، رواه ابن عساكر عن أنس **(واغفر يارب)** أى يامالكى ومربىَّ **(لناظمها)** أى ناظم هذه القصيدة **(وله)** أى الناظم **(رقى أعلى)** أى منتهى وغاية **(الدرج)** بالفتح جمع درجة وهى الطبقات من المراتب، أو درج الجنة، ففى الحديث: «**إن عدد درج الجنة عدد آى القرآن، فمن دخل الجنة من قرأ القرآن لم يكن فوقه أحد**»، وقال ﷺ: «**درج الجنة عدد آى القرآن بكل آية درجة فتلك ستة آلاف ومائتا ألف وست عشرة آية بين كل درجتين ما بين السماء والأرض فينتهى به إلى أعلى عليين لها سبعون ألف ركن وهى ياقوتة تضىء مسيرة أيام وليال**»، رواه الديلمى عن على – كرم الله وجهه – أو المراد بها درج الولاية الخاصة وهى ثلاث درجات على عدد منبره ﷺ، وبين كل درجة ودرجة ألف درجة، فيكون المصنف طلب أقصى الدرجات وذلك أمر

جائز، ولما علم المصنف أن هذه القصيدة تقرأ مع الورد بحضور سامع يسمع ذلك من إنس أو جن أو روحانيين أو المجموع من ذلك ناسب أن يقول: **(واسمح)** أى جد له بنيل المطالب وحصول المآرب **(للسامع)** الذى سمع داعى الله فأجابه **(ما نشدت)** من النشدة بالكسر، والنشد رفع الصوت أى مدة رفع الصوت بها، فالفاعل ضمير مستتر عائد على القصيدة وقوله: **(قم نحو حماه وابتهج)** كلام مستأنف ويحتمل أن الفاعل هو قوله له: قم نحوه حماه وابتهج **(أو ما حاد سحراً يحدو)** عطف على قوله ما نشدت، وأو بمعنى الواو، ومدة حداء الحادى، والحداء فى اللغة الغناء للإبل، والمراد هنا إنشاد هذه القصيدة بين المريدين المشبهين بالإبل فى الهيام عند سماع ذكر ما يطرب، فإنها ربما قتلت نفسها من السير وهى لا تحس بذلك لغيبتها عن وجودها، وكذا المحب الصادق إذا سمع هذه القصيدة المشتملة على ذكر محبوبه هاجت عنده الأشواق فربما غاب عن إحساسه خصوصاً فى أوقات الأسحار، وإلى ذلك أشار بقوله: **(الشدة)** أى شدة الشوق والغرام **(أودت)** أى أهلكت **(بالمهج)** بزيادة الباء فى المفعول أى أهلكت المهج أى الأرواح، وجملة "الشدة أودت بالمهج" حال، والمراد صيرتها قريبة من الهلاك أى الذهاب والزهوق **(وصلاة الله على الهادى)** أى الدال لنا على طريق الإرشاد **(وسلام يهدى)** إليه عليه الصلاة والسلام، ففى الكلام احتباك، حذف من كل نظير ما أثبته فى الآخر فحذف من الأول جملة "يهدى إلخ" ومن الثانى "على الهادى" **(فى الحجج)** بكسر الحاء قال فى "المصباح": والحجة أيضا السنة، والجمع حجج مثل سدرة وسدر انتهى، أى يهدى كل منهما عليه ﷺ على مر السنين وفى البيت جناس الاشتقاق بين الهادى ويهدى، ثم أبدل من الهادى قوله **(لمحمدنا ولأحمدنا)** فاللام بمعنى على وخص هذين الاسمين

لأشرفيتهما على سائر أسمائه ﷺ **(ما فاح أقاح)** بفتح الهمزة والقاف جمع أقحوان بضم الهمزة، قال فى "القاموس": الأقحوان: البابونج، وجمعه أقاحي وأقاح اهـ، وهو نبت طيب الرائحة حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر قاله فى "المختار" وقال فى "المصباح": الأقحوان بضم الهمزة والحاء من نبات الربيع له نور أبيض لا رائحة له وهو البابونج عند الفرس اهـ، وقوله لا رائحة له أى لنوره الأبيض فلا ينافى أن النبات له رائحة، فعلى هذا يقرأ المتن بفتح الهمزة وكسر الحاء ويصح ضمها وهو خلاف ما سمعته من شيخنا الأستاذ السباعى - رضى الله تعالى عنه - فإنه قال: الذى أحفظه عن والدى السيد صالح السباعى كسر الهمزة وضم الحاء وهو عن شيخه الدردير قال سيدى محمد السباعى المذكور: وأرسلت أخاً فى الله تعالى لشيخنا الأمير يسأله عن ذلك فسأله فلم يجبه إلا بالذى نحفظه قال أستاذى السيد محمد المذكور: وسألت شيخى العلامة الشيخ المهدى عن ذلك: فأجابنى بقوله: كثيراً ما كنت أقرؤه مع شيخى ومربى روحى بكسر الهمزة وضم الحاء وناهيك بهؤلاء الأئمة الأعلام حجة **(فى المرج)** قال فى "المصباح": المرج أرض ذات نبات ومرعى والجمع مروج مثل فلس وفلوس وقال فى "المختار": المرج مرعى الدواب فهو بفتح الميم وسكون الراء وحرك للضرورة، ونقل عن المصنف أنه بضم الميم والراء **(وعلى الصديق خليفته)** أى أول خليفة له ﷺ **(وكذا)** عمر **(الفاروق)** - رضى الله تعالى عنه - وسمى بذلك لكثرة فرقه بين الحق والباطل **(وكل نجى)** أى ناج من الهلاك الدنيوى والأخروى أو مناج لربه بسره فهو مأخوذ من النجاة أو المناجاة **(وعلى عثمان شهيد الدار)** أى المقتول شهيدا فى دار الهجرة **(وفى)** بعهد الله الذى عاهده عليه من الإيمان والأعمال الصالحة **(فسما)** أى ارتفع **(أعلى**

الدرج) أى المراتب، وقيل غير ذلك كما مر **(وأبى الحسين)** على بن أبى طالب – رضى الله عنه وكرم وجهه – **(مع الأولاد)** أى أولاده ﷺ بقرينة قوله: **(كذا الأزواج)** أى أزواجه ﷺ **(وكل شجى)** أى حزين على تقصيره فى القيام بحق الربوبية كما هو شأن الكمل من أهل الله تعالى **(وعلى المهدى)** المنتظر خروجه آخر الزمان، وأحاديثه بلغت مبلغ التواتر فلا معنى لإنكارها قال ﷺ: «**المهدى منا يختم به الدين كما ختم بنا**»، رواه الطبرانى وهو من أهل البيت من ذرية الحسن والحسين أى منسوب لهما ومنسوب للعباس فيكون نجل الحسن وسبط الحسين من جهة أمه، وسبط العباس من جهة أبيه فيكون حسنياً حسينياً عباسياً، وينزل عيسى عليه السلام فى زمانه بالمنارة البيضاء شرقى مسجد دمشق والناس فى صلاة العصر فيتأخر له الإمام فيتقدم فيصلى بالناس بسنة رسول الله ﷺ ومدته أربعون سنة يجتمع مع عيسى عليه السلام فى سبع سنين أو تسع سنين ثم قال المصنف: **(وعترته)** أى جماعته الذين ينصرونه على أعدائه **(المشبع فى زمن الوأج)** بالهمز هو الجوع الشديد كما فى "القاموس"، ثم يحتمل أن يراد به حقيقته وأنه يحصل جوع لأهل الحق فى ذلك الوقت فيكون المهدى سبباً فى شبعهم، ويحتمل أن يراد به الكرب الحاصل لهم من أهل الضلال والمراد بالإشباع إزالة ذلك الكرب الشبيه بالإشباع بالطعام المزيل أثر الجوع **(وعلى من مهد للأرضين)** وهو رجل يخرج فى زمن المهدى من خراسان ببلاد الشرق يقال له الهاشمى وهو أخو المهدى من أبيه، وقيل ابن عمه يأتى إليه فى خمسة آلاف يمهد هذا الهاشمى الأمر للمهدى كما مهدت قريش للنبى ﷺ **(كما قد برح الحبج)** قال فى "القاموس" حبج يحبج بدا وظهر والمعنى أنه مهد الأرضين فى وقت ظهور المهدى أو قرب ظهوره لتبريحه أى شدته وقوته قال فى

"المصباح": وما برح يفعل كذا بمعنى المواظبة والملازمة، وبرح الخفاء إذا وضح الأمر وبرح به الضرب تبريحاً اشتد وعظم، وهذا أبرح من ذاك أى أشد اهـ، **(ما مال محب نحوهم)** بقلبه **(أو سار الركب)** جمع راكب وقوله: **(على السرج)** على حذف مضاف أى ذات السرج بضم الراء **(أو ماداع يدعو المولى)** أى يطلب منه تحصيل ما ينفعه أو دفع ما يضره **(يرجو للنصر مع الفرج)** أى كشف الغمة، ثم يشرع التالى فى هذه الصلوات النبوية المروى بعض ألفاظها عن جبير عن سعيد بن عطاء كما ذكره صاحب "شرح الدلائل" وهى: **(اللهم صل وسلم على سيدنا محمد فى الأولين)** أى المتقدمين فى الزمان على هذه الأمة من أهل الإيمان فى الأمم الماضية، أو المراد بهم أول هذه الأمة، أو المراد من كان قبل هذه الصلاة **(وصل وسلم على سيدنا محمد فى الآخرين)** هم هذه الأمة وآخرها، أو من يأتى بعد هذه الصلاة على مقابلة ما تقدم فى الأولين **(وصل وسلم على سيدنا محمد)** صلاة متصلة متجددة **(فى كل وقت وحين)** يراد بهما معا مطلق الزمان وهو هنا من عطف المرادف وهو الأقرب **(وصل وسلم على سيدنا محمد فى الملأ الأعلى)** وهم الملائكة، ووصفوا بالعلو لكونهم دائماً فى حضرة القدس **(إلى يوم الدين)** أى مستمرة الى يوم الجزاء وهو يوم القيامة **(وصل وسلم على جميع الأنبياء والمرسلين)** قد اختلفت الروايات فى عدد كل من الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فروى أن الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر، وفى رواية وأربعة عشر، وفى رواية وخمسة عشر.

وروى أن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، وقيل غير ذلك والصحيح الإمساك عن حصرهم، قال تعالى: **﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ**

عليك﴾ [غافر:٧٨]، فيجب التصديق بأن لله رسلا وأنبياء على الإجمال لا يعلم عددهم إلا هو سبحانه وتعالى إلا الخمسة وعشرين فتجب معرفتهم على التفصيل كما أشار إلى ذلك بعضهم بقوله:

حتم على كل ذى التكليف معرفة بأنبياء على التفصيل قد علموا

فى تلك حجتنا منهم ثمانية من بعد عشر ويبقى سبعة وهمو

إدريس هود شعيب صالح وكذا ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

(فائدة) قال العلامة البحيرمى – رضى الله تعالى عنه –: استنبط بعض العلماء من اسم محمد ﷺ عدة الرسل وهم ثلاثمائة وأربعة عشر أو خمسة عشر، ووجه ذلك أن فيه ثلاث ميمات فإذ بسطت كل واحدة منهن فقلت ميم كانت عدتها بحساب الجمل تسعين فيتحصل منها مائتان وسبعون وإذا بسطت الحاء فقلت حا كانت بتسعة والدال أيضا فقلت دال كانت خمسة وثلاثين فالجملة ما ذكر ثلثمائة وأربعة عشر ففى اسمه الكريم إشارة إلى أن جميع الكمالات الموجودة فى المرسلين موجودة فيه ﷺ وإذا قلت حاء بالبسط زادت همزة كانت الجملة ثلاثمائة وخمسة عشر، قال بعض شراح البسملة: وقد من الله على باستخراج عدد الأنبياء من اسم محمد ﷺ وهو مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا كعدة أصحابه يوم وفاته ﷺ، ووجه ذلك أيضا أن تضرب عدد حروفه بالجمل الصغير وهى عشرون، لأن الميمين بالجمل الصغير بثمانية والحاء بثمانية والدال بأربعة فالجملة عشرون تضربها فى نفسها بأن تضرب العشرين فى عشرين تبلغ أربعمائة تضربها فى كامل عقود المرسلين وهم ثلاثمائة وأربعة عشر أو خمسة عشر واحذف ما زاد على العقود يكون الخارج ما ذكر مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا اهـ، **(وعلى الملائكة المقربين)**

صفة كاشفة لأن جميعهم متصلون بالقرب من الله تعالى وإن تفاوتوا فيه **(وعلى عباد الله الصالحين)** جمع صالح وهو من قام بحقوق الله وحقوق عباده **(من أهل السموات)** أى سكانها **(وأهل الأرضين)** أى عمارها من إنس وجن، وهى بفتح الراء جمع أرض بسكونها اهـ، قاله فى "الصحاح" **(ورضى الله)** المراد به هنا الإنعام والترضى والترحم يستحبان على الصحابة وغيرهم من العلماء، لكن الترضى في الصحابة أشهر، وأما تخصيصه بهم فهو خلاف ما عليه الجمهور **(تبارك)** أى تزايد بره وإحسانه **(وتعالى)** أى تقدس وتنزه عن كل نقص **(عن ساداتنا)** جمع سادة وهو جمع سيد أى موالينا وأشرافنا **(ذوى)** أى أصحاب **(القدر)** أى الشأن والمقدار **(الجلى)** أى الواضح كالشمس فى رابعة النهار **(أبى بكر وعمر وعثمان وعلى)** – رضى الله تعالى عنهم أجمعين – وتقدم الكلام عليهم فانظره إن شئت **(وعن سائر)** أى جميع **(أصحاب رسول الله أجمعين والتابعين لهم)** أى للأصحاب **(بإحسان إلى يوم الدين)** أى إلى قرب يوم الجزاء **(احشرنا)** أى اجمعنا فى زمرتهم يوم القيامة **(وارحمنا)** أى برحمتك الخاصة بهم فقوله: **(معهم)** تنازع فيه كل من الفعلين قبله **(برحمتك)** أى بسر رحمتك التى وسعت كل شىء **(يا أرحم الراحمين يا الله)** تقدم الكلام على ما يتعلق بهذين الاسمين **(يا حى يا قيوم)**، وفى الحديث: كان ﷺ اذا أهمه الأمر رفع رأسه إلى السماء وقال: «**سبحان الله العظيم**»، وإذا اجتهد فى الدعاء قال: «**يا حى يا قيوم**» **(لا إله إلا أنت يا الله)** وفى الحديث: كان ﷺ لا يقوم من مجلس إلا قال: «**سبحانك اللهم ربى وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك**» وقال: «**لا يقولهن أحد حيث يقوم من مجلسه إلا غفر له ما كان منه فى ذلك المجلس**»، **(يا ربنا يا واسع المغفرة)** أى يا من مغفرته

واسعة لأنها البحر المحيط فنسبة الذنوب والعيوب لمغفرة علام الغيوب لا تقاس بذرة من بر ولا بنقطة من بحر، وفى الحديث: «**قل اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبى ورحمتك أرجى عندى من عملى**» (**يا أرحم الراحمين اللهم آمين**) أى استجب منا وآمنا بخير (**ثم يذكر الله تعالى حتى يطلع الفجر**) أى الفجر الصادق وهو الذى يخرج معترضا بالأفق كما هو معلوم (**ويختم**) أى التالى الذكر (**بفاتحتين**) ويضم لكل واحدة ما تيسر من دعوات ويجعل (**أحدهما للمصنف**) أى يهدى ثوابها له جزاء على تصنيفه هذا الورد (**والثانية**) يهديها (**لأهل الطريق**) أى طريق السادة الخلوتية ويخص شيخه بفاتحة حياً كان أو ميتاً (**ويقوم**) بعد ذلك (**للصلاة**).

وهذا آخر ما أوجده الله تعالى على لسان ذى الباع القصير الذليل الحقير، أسأل الله من فضله العميم متوسلاً بنبيه الكريم أن يجعل هذا الكتاب خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل قاصر وعليم، وأن يكون سبباً للفوز بجنات النعيم، وأن يطهر ظواهرنا بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأن يخلص سرائرنا من شوائب الأغيار والشيطان ودواعيه وأن يتفضل علينا بالسعادة التى لا يلحقها زوال، وأن يذيقنا لذة الوصال بمشاهدة الكبير المتعال، وأن يلحقنا بالذين هم فى رياض الجنة ويتقلبون على أسرتها تحت الحجال يجلسون، وعلى الفرش التى بطائنها من استبرق يتكئون، وبالحور العين يتمتعون، وبأنواع الثمار يتفكهون يطوف عليهم ولدان مخلدون، بأكواب وأباريق وكأس من معين، لا يصدعون عنها ولا ينزفون، وفاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون، وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون، جزاء بما كانوا يعملون، فنالوا بذلك السعادة الأبدية وكانوا بلذائذ المشاهدة هم الواصلون، والصلاة والسلام على

وهذا أخر ما أوجده الله تعالى على لسان ذى الباع القصير الذليل الحقير، أسأل الله من فضله العميم متوسلاً بنبيه الكريم أن يجعـــل هـــذا الكتـــاب خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل قاصر وعليم، وأن يكـــون ســـبباً للفوز بجنات النعيم، وأن يطهر ظواهرنا بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأن يخلص سرائرنا من شوائب الأغيار والشيطان ودواعيه وأن يتفضل علينا بالسعادة التى لا يلحقها زوال، وأن يذيقنا لـــذة الوصـــال بمشـــاهدة الكبير المتعال، وأن يلحقنا بالذين هم فى رياض الجنة ويتقلبـــون علـــى أسرتها تحت الحجال يجلسون، وعلى الفرش التى بطائنها مـــن اســـتبرق يتكئون، وبالحور العين يتمتعون، وبأنواع الثمار يتفكهون يطوف علـــيهم ولدان مخلدون، بأكواب وأباريق وكأس من معين، لا يصدعون عنها ولا ينزفون، وفاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشـــتهون، وحـــور عـــين كأمثال اللؤلؤ المكنون، جزاء بما كانوا يعملون، فنـــالوا بـــذلك الســـعادة الأبدية وكانوا بلذائذ المشاهدة هم الواصلون، والصـــلاة والســـلام علـــى الواسطة العظمى لنا فى كل نعمة وعلى آلـــه وأصـــحابه كلمـــا ذكـــره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

وقد أنهينا هذا الشرح فى حال إقامتنا فى الأرياف وحين نزولنا فى بلدتنا شبرا جنزه بالمنوفية لصلة الأهل وزيارة سيدى أحمد البـــدوى – قـــدس سره – وكان وقت كسل وتغير بال، فمن اطلع من الإخوان فينبغى له أن يصفح عن الخطأ الواقع فيه وينبه عليه بهامشه بعد تدقيق النظـــر فـــإذا ظفرت بمسألة عظيمة فادع لى بحسن الخاتمة وإذا ظفرت بعثرة فادع لى بالتجاوز والمغفرة.

والعذر عند خيار الناس مقبـــول   واللطف من شيم السادات مأمول

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب وقد تم جمعه وتبييضه ضحوة يوم الأحد غرة محرم الحرام سنة سبعين بعد المائتين والألف من هجرة من له العز والشرف ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

بعد حمد الله على آلائه والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه فقد تم بعــون غافر المساوئ طبع شرح العلامة الشيخ عمر الشبراوى على ورد السحر لمن أضحى زند فكره بين أهل الحقيقة يورى مربـــى المريـــدين ســـيدى مصطفى البكرى محلى الهوامش بالشرح المسمى "مفتاح الأسرار علـــى ورد الستار" للأستاذ المذكور، ضاعف الله له الأجور، ونفعنـــا ببركاتـــه وأعاد علينا من نفحاته، بمطبعة الراجى من الله حسن الوفا حضرة محمد أفندى مصطفى فى أواخر شهر محرم الحرام من سنة ١٣١٩ من هجرته عليه الصلاة السلام.

قام بالتصحيح
مكتب الروضة الشريفة للبحث العلمى
وتحقيق التراث والتصحيح والمراجعة
ت: ٠١٠٤٩٥٢٢١٤-٥٤٥٩٧٥٠